أكاديمية تفسير
TAFSEER ACADEMY

برنامج السعدي – المستوى الأول 2017

تفريغ محاضرات مادة

"تاريخ التفسير"

للدكتور/ ناصر محمد الماجد

إعداد:

فريق عمل تفريغ المحاضرات

تحت إشراف:

رئيفة درويش

15 صفر 1439 هـ / 4 نوفمبر 2017 م

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الأولى

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واجعل ما علمتنا حجة لنا لا علينا وشاهدا لنا لا علينا.

أيها الإخوة الكرام طلاب أكاديمية تفسير للدراسات القرآنية، أرحب بكم في المحاضرة الأولى لمقرر تاريخ التفسير والتي تُقدَّم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول، وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح.

في بدء هذا المقرر أرحب بكم وأهنئكم على انضمامكم لهذا البرنامج، وأسأل الله عز وجل أن يبلغ بكم مبالغ أهل العلم وأن يسلك بكم سبيلهم، وأوصيكم مع بدء هذا المقرر بإخلاص النية لله عز وجل فإن هذا العلم عبادة. فكما يصفَ الإنسان قدميه ليصلي لله عز وجل، وكما يُمسك عن الطعام والشراب صياما لله، وكما يقصد بيت الله عز وجل لحجه وعمرته، كذلك هذا العلم عبادة لله، ولهذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من تعلَّمَ عِلمًا مِمَّا يبتَغى بِهِ وجهُ اللَّهِ، لا يَتعلَّمُهُ إلَّا ليُصيبَ بِهِ عَرَضًا منَ الدُّنيا، لم يجِد عَرفَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ". ولا بأس بالإنسان أن يجدد نيته وأن يراجعها وأن يصفها بين الفينة والأخرى، فقد يبدأ الإنسان بنية حسنة لكن تأتيه الشوائب بعد ذلك فيراجع نفسه ويحاسبها، وربما بدأ الإنسان ونيته فيها شوائب فيصفيها وينقيها. والعلم، علم هذه الشريعة، بفضل الله عز وجل يورث في المرء تذكرا لحقيقة مرده لله عز وجل مما يعينه على تصفية وتنقية نيته. كما أوصيكم بالفرصة التي أتيحت لكم فهي والله فرصة جد عظيمة لتحصيل هذا العلم المبارك الذي ينفع الإنسان في دينه ودنياه وفي دنياه وآخرته .

هذا المقرر -أعني به مقرر تاريخ التفسير- سندرس فيه عددا من المفردات والموضوعات المتنوعة الكثيرة التي تُبتنَى على رصد لتاريخ علم التفسير. سنتناول في هذا المقرر عددا من الموضوعات ومنها: الكلام عن مصطلح التفسير، والكلام عن أهمية علم التفسير وحكمه وفضله ومنزلته، والكلام عن المؤلفات في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، سنتكلم بكثير من التفصيل فيما يتعلق بنشأة هذا العلم وتطوره، كما سنرصد أيضا المراحل التي مر بها هذا العلم، وسنقوم بتقسيم مراحل هذا العلم منذ نشأته إلى يومنا هذا، أيضاً سنذكر أبرز المراحل والمحطات التي مر بها هذا العلم منذ نشأته، ثم تطوره وازدهاره، ثم بعد ذلك ركوده، إلى عصرنا الحديث.

ولهذا سيكون من ضمن كلامي عن مراحل هذا العلم الكلام عن عصر النبوة، وعن التفسير النبوي، عن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في بيان القرآن، وسنتكلم أيضا عن تفسير الصحابة وأشهر من عُني بالتفسير من

الصحابة، كما سنتكلم عن مظانّ تفسيرهم أيضا، ومثل ذلك سيكون كلامنا أيضا عن التابعين وعنايتهم بكتاب الله عز وجل وأشهر من عني بالتفسير منهم، وكذلك مظانّ أقوالهم في التفسير. سيكون أيضاً لنا وقفة مختصرة مع الإسرائيليات وسبب الضعف في التفسير بالمأثور. هذا وسنتكلم أيضا عن سمات التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الصحابة، وفي عهد التابعين. أيضا سيكون كلامنا كذلك عن تدوين هذا العلم، وبداية تدوينه، وسمات التدوين فيه، وأبرز من دون في هذا العلم. سنتكلم أيضا عن ازدهار هذا العلم وتطوره وانتشاره وتوسّعه وكثرة المؤلفات فيه وأبرز المؤلفات التي أُلفت في هذا العلم. كما سيكون كلامنا أيضا عن مرحلة مرَ بها هذا العلم من الركود وأسباب ذلك، وأبرز الكتب التي أُلفت في تلك المرحلة. سنختم حديثنا بالكلام عن العصر الحديث والنهضة العلمية التي شهدتها علوم الشريعة ومن ضمنها وأهمها علم التفسير، وسنتكلم عن أبرز سمة تميز العصر الحديث وأبرز المؤلفات في هذا العصر .

تلك أيها الإخوة لمحة سريعة عن الموضوعات التي سندرسها في هذا العلم.

ما الذي سنخرج منه بعد دراسة هذا المقرر؟

أرجو الله عز وجل أن نكون بعد انتهائنا من دراسة هذا المقرر قد رسمنا خريطة ذهنية للمراحل التي مر بها علم التفسير. أي علم من العلوم له خط زمني وخريطة ذهنية، هذا الخط الزمني يبدأ منذ ولادة هذا العلم -وهو نشأة هذا العلم وظهوره-، ثم بعد ذلك يبدأ هذا الخط الزمني بالتصاعد شيئاً فشيئاً حتى يبلغ أوج هذا العلم ويسمى بالعصر الذهبي أو عصر الازدهار والتطور. بعض العلوم تحافظ على هذا المستوى، وهي علوم قليلة نادرة، وبعضها يمر بها مراحل من الركود لهذا العلم وقد ترجع مرة أخرى فتصعد وتتطور إلى عصرنا الحديث .

إذن، إن شاء الله عز وجل إذا أكملنا دراسة هذا المقرر سيكون في أذهاننا خط زمني لتاريخ علم التفسير. بعد الانتهاء من دراسة هذا المقرر سنخرج بمادة علمية تتعلق بالمصادر التي ألفت في علم التفسير، سيكون تركيزنا على تلك المصادر والكتب التي لها تأثير كبير في علم التفسير والتي تعتبر من المصادر الأصيلة في هذا العلم، سنمر أيضا مرور الكرام على ارتباط علوم الشريعة بعضها ببعض ومن ضمنها علم التفسير، وسنناقش أيضا بعض الأفكار العلمية المتعلقة بوجه ارتباط علوم الشريعة بعضها ببعض .

تلك أيها الإخوة بعض من أبرز المخرجات التي نرجو الله عز وجل أن يوفقنا لها بعد إكمالنا لهذا المقرر.

✓ **تمهيد عن "تاريخ التفسير"**

الحقيقة أن كلمة **التاريخ** من الكلمات التي تشيع وتنتشر عند العامة والخاصة، كل الناس، صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، يتكلمون عن التاريخ، ولكل منا مفهومه للتاريخ، فكل شخص له مفهومه للتاريخ، بل كل أمة وكل عصر لهم مفاهيمهم في التاريخ، يعني أمة الإسلام لها فهم للتاريخ يختلف عن غيرها من الأمم .

وقد يكون هناك فهم للتاريخ في عصر من العصور يختلف عن عصر آخر، وقد يكون الفهم لمعنى التاريخ عند العرب غير معنى التاريخ عند غيرهم، ولكن في كل المعاني بكل الدلالات وبكل الإيحاءات، فإن معنى التاريخ مرتبط بالزمن. معنى التاريخ دائما مرتبط بالزمن الماضي، فما قبل هذه اللحظة هو تاريخ، وهذه هي علامة فارقة في مسألة التاريخ، فكل ما سبق هذه اللحظة فهو من التاريخ، كذلك التاريخ يُبتنى على استقراء السنن الكونية، والسنن الإلهية في وجود الأمم وظهورها وعوامل ازدهارها وتطورها وسماتها ثم أيضا اندثارها وأسباب ذلك الاندثار .

✓ لماذا ندرس علم تاريخ التفسير؟ ما الفائدة التي قد نخرج بها من دراسة لأمر ماض قد انقضى؟

- إن دراسة تاريخ أي علم ومنه دراسة تاريخ علم التفسير أمر مهم، فعند دراسة كل علم، يجب أن يبتدئ طالب العلم بدراسة تاريخه، وبدراسة نشأته وتطوره، وبدراسة المراحل التي مر بها هذا لعلم، لماذا؟ لأن ذلك -كما قدمت قبل قليل- يساعدنا على رسم خريطة ذهنية عن هذا العلم، وتصور إجمالي لهذا العلم. الدراسة التاريخية للعلم تعطيك تصوراً إجمالياً عن هذا العلم، وعن أقسامه، وعن مراحله، وعن أنواعه، وعن المؤلفات فيه، والمصادر، وعن المراحل التي تقلب فيها .
- كذلك يعطينا تصورا عاما عن الخط الزمني لهذا العلم منذ نشأته إلى العصر الحديث،
- كذلك دراسة تاريخ التفسير توقفنا على الجهد الضخم الجبار الذي بذله أهل العلم على مر العصور منذ نشأة هذا العلم وظهوره إلى يومنا هذا. فهذا في الحقيقة إرث حضاري ضخم نفاخر به كل الأمم حينما ننظر إلى التراث الضخم الذي خلفه أهل الإسلام من العلماء فيما يتعلق بمجال التفسير، ولو نظرت إلى المصادر التي تشير إلى التاريخ في علم التفسير وما يرتبط به لهالَك عظم الأمر ولكان هذا المطبوع الموجود بين أيدينا يشكل جزءا محدودا من التراث العلمي لهذه الأمة والذي بعضه قد فُقد، وبعضه قد نُسي، وبعضه قد ضاع في جملة ما ضاع، وبعضه قد أُتلِف في جملة ما أُتلِف.

تلك بعض السمات المهمة لدراسة علم تاريخ التفسير.

✓ تعريف مصطلح "التفسير"

حتى ندرس تاريخ التفسير لا بد انا أن نفهم ما المراد بمصطلح التفسير الذي سندرس تاريخه؛ لأن تحرير المصطلح ومعرفة المراد به يعيننا أيضا على معرفة تاريخه، بحيث أننا إذا درسنا وعرفنا مصطلح التفسير استطعنا أن نضبط التاريخ المرتبط به فلا ندخل في أمور أخرى خارجة عن معنى التفسير، وهذا له أهميته ويكشف مقدار أهمية معرفة مصطلح علم التفسير؛ بل ضبط المصطلحات بشكل عام حتى تعرف تاريخها وما الذي تدرسه منها، ما الذي يدخل فيها ويخرج عنها .

تعريف التفسير في اللغة:

التفسير، كما يقول ابن فارس، إن مادة فَسَرَ (الفاء والسين و الراء) كلها أصل صحيح واحد يدور على معنى **الكشف والجلاء**. مادة فسر هذه كلها تدور على معنى الكشف والجلاء؛ لذلك يسمى السَفَر سفرا، يقولون لأنه يكشف عن أخلاق الناس، وقيل لأنهم ينكشفون عن أماكنهم، أيضا منه يقال سَفَرت المرأة عن وجهها أي كشفت عن وجهها، ومنه المرأة السافرة يعني الكاشفة عن وجهها، منه أن يقال أسفر الصبح يعني إذا انكشف الظلام وبان النهار يسمى عندئذ انكشافا. كلها إذن تدور حول معنى الكشف والجلاء. وهذا المعنى اللغوي لكلمة التفسير هو بعينه يدور عليه المعنى الاصطلاحي لكلمة التفسير.

تعريف التفسير في الاصطلاح:

فالتفسير يدور حول معنى الكشف، ويدور حول معنى البيان، ويدور حول معنى الجلاء لكتاب الله عز وجل. وإذا نظرنا لكلام أهل العلم في تعريف مصطلح التفسير سنجد محاولات متنوعة ومختلفة في ذكرهم لمصطلح التفسير. فمنهم من يطيل في ذلك ومنهم من يقصر، منهم من يكون تعريفه أشبه ما يكون بالشرح ومنهم من يكون مختصرا جدا. وهناك إشكالية تواجه العلوم النظرية في التعريف، فالعلوم النظرية يواجه أهل العلم إشكالية في تعريفها لأن العلوم النظرية في الغالب توصف ولا تحد، وأيا يكن اختلاف أهل العلم في مصطلح التفسير فإنه يدور على ثلاثة أركان:

- أن هذا التفسير علم كسائر العلوم،
- وأنه متعلق بالقرآن الكريم فليس علما متعلقا بالسنة أو بالعقيدة أو غيرها بل بالقرآن الكريم.
- وأن غايته فهم مراد الله عز وجل في كتابه .

هذه ثلاثة أركان يجب أن تتوفر في أي تعريف من التعاريف التي تذكر في التفسير.

إذا فهمنا هذه الأركان وقارنّاها بالمعنى اللغوي نستطيع أن نذكر اصطلاحا أو تعريفا يحقق هذا المعنى، فممكن أن يقال مثلا : **إن التفسير علم يبحث في فهم معاني القرآن الكريم .**

✓ ما الأهمية لعلم التفسير؟ وما الحاجة له؟ وما الذي يدعونا إلى دراسة علم التفسير؟

- إن دراسة هذا العلم له ثمرات كثيرة تدل على أهميته، يكفي في ذلك أن هذا العلم متعلق بأشرف ما يمكن للإنسان أن يشتغل به، فهو متعلق بكلام الله عز وجل، والشيء يشرف بحسب ما يضاف إليه، وكفى شرفا أن يكون تعلقه بكلام الله عز وجل، إذ أن فضل كلامه عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه. هذا الارتباط -ارتباط التفسير بكلام الله تعالى- يعطيه أفضل المقام وأعلاه وأشرفه.
- إن علم التفسير لما كان مرتبطا بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم كما أخبر الله عز وجل عن كتابه بأنه هدى وبيان وشفاء ورشاد للخلق، ونحن لا نستطيع أن نقف على هذا الهدى وهذا البيان وهذا الرشاد إلا بفهم كلام

الله عز وجل، ووسيلتنا لفهم كلام الله هو التفسير. إذن، تفسير كلام الله عز وجل يجعلنا نقف على ما في هذا الكتاب من الهدى والبيان والرشاد .

- وأمر آخر له ارتباط بهذه الفائدة الدالة على أهمية هذا العلم وهي أن القرآن الكريم قد تضمن ما يحبه الله ويرضاه، كذلك تضمن ما يبغضه عز وجل و يأباه، تضمن ما أمر الله به خلقه وما نهاهم عنه، فهو رسالة الله عز وجل لخلقه وهو الصلة بين الخالق والمخلوق، فنحن لا نستطيع أن نعرف ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به، ولا نستطيع أن نعرف ما الذي نهى الله عنه، وما الذي لا يحبه الله، إلا بهذا الكتاب، فتفسير هذا الكتاب يعيننا على فهم ومعرفة ما يريده الله عز وجل منا وما أمرنا به وكذلك ما نهانا عنه وما أبغضه عز وجل .

✓ ما الأوجه التي يعرف بها تأويل القرآن الكريم؟

إذا قلنا بأن التفسير بهذه الأهمية وهذه المكانة فما هي الأوجه التي نستطيع بها أن نؤول القرآن الكريم؟

هناك أوجه متنوعة لتأويل القرآن الكريم أشار إليها حبر الأمة وترجمان القرآن **ابن عباس** -رضي الله عنه- حينما قال : "التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله". فهذه أربعة أوجه ذكرها ابن عباس.

1. **وجه يعرفه الناس بمقتضى لغة العرب**: بمجرد أنك ناطق بلغة العرب تفهم القرآن الكريم، وأكثر القرآن الكريم جاء على هذا النحو، ولهذا قال الله عز وجل في كتابه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: 195)، بيّن واضح، بمجرد أن تكون ناطقا باللغة العربية تفهم أكثر كلام الله عز وجل، وهذا معنى قوله عز وجل، أو هذا جزء من معنى قوله عز وجل قوله :﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر: 17)، كونه بلسان عربي واضح يعين على التذكر وعلى الفهم.
2. **وجه لا يعذر أحد بجهله:** وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل هذا الكلام في الفقرة التالية، نوع من كلام الله عز وجل أو من التفسير لا يعذر أحد بجهله، لا يعذر مكلف بجهله وسيأتي إن شاء الله بيان ذلك .
3. **تفسير لا يعلمه إلا العلماء**: وهذا هو النوع الثالث الذي أشار إليه ابن عباس رضي الله عنه. إذن إذا كان لا يعلمه إلا العلماء فهو نوع خاص يحتاج إلى علم خاص.
4. **تفسير لا يعلمه إلا الله عزوجل:** وهذا النوع يشير فيه ابن عباس -رضي الله عنه- إلى الغيبيات التي طوى الله عز وجل علمها عن خلقه. وهذه الغيبيات كثيرة، مثل خبر الله عز وجل عن الأحداث التي تسبق قيام الساعة، هذه أحداث غيبية، كعلامات الساعة الكبرى التي تقع قرب قيام الساعة، فهي غيب محجوب عنا. أو تلك التي تقع بعد قيام الساعة كما يقع للموتى في قبورهم أو بعد قيامهم، وكذلك ما ذكر الله عز وجل من صفة الجنة والنار وما يرتبط بهما، فذاك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله . من الغيب أيضا حقائق ما أخبر الله عز وجل

من صفاته فقد أخبر الله عز وجل عن كثير من صفاته، وحقائق هذه الصفات كيفياتها، هذه غيب غطى الله عز وجل عنا معرفتها، مثل قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌۖوَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى:11).

هذه الأقسام الأربعة ما الذي يشتغل عليه المفسرون منها ؟

أهل العلم يشتغلون على الأنواع الثلاثة الأولى: على ما يعرفه العرب بلسانهم، وعلى ما لا يُعذر أحد بجهله، وعلى ما يعرفه العلماء، أما النوع الرابع وهو ما لا يعرفه إلا الله فذاك غيب محجوب لا يستطيع أحد من الخلق أن يعرفه، ومن حاول فإنه لن يصل. ولذلك هناك من حاول معرفة بعض حقائق الغيبيات فجاء بقول مبتَدع، فسر القرآن الكريم على ما يخالف لغة العرب، وعلى ما يخالف ما ثبت من الشريعة من أقوال أهل الابتداع. ومما نستانس به في هذا المقام ما قاله الطبري -رحمه الله- في مقدمته حيث قال: "إن أنواع التفسير ثلاثة: ما لا يعلمه إلا الله، ونوع منه ما يُعلم من جهة النبي صلى الله عليه وسلم، ونوع منه ما يعلمه كل ذي علم باللسان بشرط ألا تخرج عن أقوال السلف" .

نقف عند هذا القدر ونكمل إن شاء الله عز وجل في المحاضرة القادمة.
سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**
قام بالمراجعة الأولى: **أخت في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. يطيب لي الترحيب بكم في الحلقة الثانية من مقرر تاريخ التفسير الذي يقدم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول بأكاديمية تفسير.

أيها الإخوة و الأخوات كنا في الحلقة السابقة قد تكلمنا عن مقدمة سريعة للتعريف بهذا المقرر وبما يحتويه من مفردات وأشرنا إلى بعض المفردات الأساسية التي سنتناولها في هذا المقرر. كذلك تكلمنا عن تعريف التفسير باختصار، وعن أركان التعريف، وأشرنا إلى مصادر علم التفسير، وأشرنا إلي أهمية علم التفسير. أيضاً تكلمنا عن تاريخ علم التفسير، وأهمية العناية به. أشرنا إلى أوجه التفسير أيضاً، كذلك وقفنا عند مقولة **ابن عباس** -رضي الله تعالى عنه- في أوجه تفسير كلام الله عز وجل، حيث أشار إلى أن تفسير كلام الله عز وجل على **أربعة أوجه**:

1- منه ما تعرفه العرب بلغتها

2- ومنه مالا يعذر أحٌد بجهلة

3- ومنه مالا يعلمه إلا العلماء

4- ومنه مالا يعلمه إلا الله عز وجل.

وهذه الرواية عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنه- تلقي الضوء على مسألة أيضاً ستكون محل بحثنا في هذه المحاضرة وهي:

✓ حكم التفسير

هذا العلم بهذه الأهمية وهذه المكانة، وهو مرتبط بكلام الله عز وجل، الذي هو النور والهدى والضياء، والذي هو يتضمن ما يحبه الله عز وجل ويرضاه وما لا يحبه ولا يرضاه، هذا العلم، ما حكمه وماحكم تعلمه والأخذ به؟ الحقيقة أن مقولة **ابن عباس** -رضي الله تعالى عنه- تلقي مزيداً من الضوء إذا أردنا أن نعرف حكم تفسير كلام الله عز وجل فهي تجعلنا ابتداءً ندرك أن **كلام الله عزوجل يمكن أن يقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: ما يتعلق بأفعال المكلفين، مثل: الأمر والنهي والحلال والحرام .

وحكم تعلم هذه الآيات: يجب على كل مكلف أن يعلم مراد الله عز وجل في ذلك، وأن يفهم عن الله عز وجل مراده . فحينما يقول الله عز وجل: ﴿وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ويقول -تعالى-: ﴿وآتُوا الزَّكَاةَ﴾، ويقول -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ : 97]، هذه تكليفات فيها أمر وفيها نهي فيجب على المكلف أن

يفهم مراد الله عز وجل فيها. ومثل قول الله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ....﴾ [الْمَائِدَةِ : 3] هذه تتضمن عدداً من المحرمات التي حرمها الله عز وجل علينا، فيجب على المكلف أن يعرف مراد الله في هذه الآيات. إذن، هذا النوع من الآيات يجب على المكلف أن يعلم مراد الله فيها، ومثله تماماً ما يتعلق باعتقاد المكلف إجمالا؛ المسائل الاعتقادية التي يجب على المكلف اعتقادها إجمالا يجب عليه أن يعلم مراد الله عز وجل فيها .

القسم الثاني: ما لا يتعلق بأفعال المكلفين حلالاً وحراماً، وجوباً وتحريما بل هي يمكن أن يقال أنها آيات هدى ورشاد وبيان، وأنها تهدي للتي هي أقوم كما قال الله عز وجل ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الْإِسْرَاءِ : 9]، هذا النوع من الآيات لا تعلق لأفعال المكلفين من العباد بها من حيث الإجمال.

وحكم تعلم هذه الآيات ومعرفتها: فهمها ومعرفة مراد الله فيها من فروض الكفايات. لا يجب على كل أحد أن يعرف مراد الله عز وجل فيها، وما مقصوده منها، لأن لا يتَّرتب عليها تكليف وثواب وعقاب، بل كلما ازداد الإنسان علماً وهدىً سيزداد بصيرة، لكن لا نستطيع أن نلزمه بذلك وأن نكلفه بهذا؛ لأن التكليف يلزم عليه الثواب أو العقاب. وهذا النوع من الآيات تعلمها من فروض الكفاية؛ إذا قام به بعض الأمة سقط عن البقية، ولا يجب على الأمة جميعا أن تعرف مراد الله عز وجل فيها .

وإذا كان هذا حكم التفسير، وأن فيه مما يجب علينا جميعا معرفته وفيه مما يجب على بعض المكلفين دون بعض، فهذا يقودنا إلى أن نسأل سؤلاً آخر: ماهي المصادر التي تعيننا على فهم كلام الله عز وجل ؟

✓ مصادر التفسير

كل علم من العلوم له مصادره التي يعتمد عليها في فهمه ومعرفته ومعرفة أصوله ومسائله وفروعه، كذلك علم التفسير له عدد من المصادر، نحن لا نريد في هذا المقرر بسط الكلام عن المصادر ولا الحديث عنها بتوسع؛ لأن هناك مقرر خاص سيتناولها بالتفصيل وهو مقرر أصول التفسير الذي سيمر عليكم إن شاء الله عز وجل في مستويات قادمة، لذلك سنذكر تلك المصادر باختصار حتى نربط أجزاء المقرر بعضه ببعض:

1. أول مصادر التفسير: القرآن الكريم

القرآن نفسه وذاته هو أول مصادر التفسير؛ لأن كلام الله عز وجل أولى ما فسر به، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: هو كلامه عز وجل أعلم المتكلمين بالكلام من تكلم به بذاته. ولهذا ما أجمله الله عز وجل في موضع بَيَنَه في

موضع آخر، وما ورد عاماً في موضع خصصه في موضع آخر، وما ورد مطلقاً في موضع قيده في غيره، ما ورد مبهماً في موضع تجد له تعييناً وبياناً في موضع آخر .

ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الْفَاتِحَةِ : 6-7] ، المنعَم عليهم في الآية وصف مجمل، فمن هم؟ هؤلاء جاء تفصيلهم في موضع آخر حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاءِ : 69]، فجاءت مجملة في موضع ومفصلة في موضع آخر.

2. السنة النبوية :

إن النبي صلى الله عليه وسلم هو أعرف الناس بمراد الله عز وجل، بل مهمته الأساسية بيان القرآن الكريم. يقول عز وجل ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل،44]. فمهمة النبي صلى الله عليه وسلم الأساسية هي بيان القرآن، فضلاً عن أنه أعظم من تكلم بلغة العرب وأعرف الناس بهذا اللسان، وهو أيضا عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

ومثال آخر في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الْأَنْعَامِ : 82]، هذه الآية عندما نزلت أشكلت على الصحابة رضي الله عنهم وشقت عليهم؛ لأنه ما من أحد منا إلا وقد وقع منه ظلم لنفسه، تفريط في بعض ما أمر الله عز وجل به، أو تفريط في الوقوع في بعض ما نهى الله عز وجل عنه. فإذا كان الجنة لا يدخلها إلا الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم، فمعناه لن يدخل أحد الجنة. فشق ذلك على الصحابة فسألوا النبى الله -صلى عليه وسلم -فأزال عنهم الإشكال، وأخبر أن المراد بالظلم هنا هو الشرك، فقال: "أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحِ: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾"، فأزال الاشكال الذي كان عندهم.

3. أقوال الصحابة والتابعين:

هم أفضل القرون وهم مع ذلك أيضاً أهل لسان، القرآن نزل بلغتهم. ومع أن القرآن نزل بلغتهم فإنه أيضاً نزل عليهم وأنهم هم الذين شاهدوا نزول القرآن، وعرفوا الأسباب التي احتفت بنزوله، والحوادث التي قارنت نزوله، لذلك سيكون فهمهم لمعاني القرآن العزيز أولى من فهم غيرهم وأتم، مع تعديل الله لهم، وفضلهم، وسلامة نياتهم ومقاصدهم، وعدم وجود البدع والأهواء التي ظهرت فيمن بعدهم. بل غالب التفسير الذي بين أيدينا ومعظمه ومجمله مأخوذ إما عن الصحابة أو عن التابعين، ولهذا أجمع أهل العلم أن أقوال الصحابة والتابعين -في الجملة- تقدم على أقوال من جاء بعدهم.

4. لغة العرب :

فإن القرآن كما أخبر الله عز وجل نزل بلسان العرب، يقول الله عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء،195] ولهذا قال **ابن عباس**، كما مر معنا في الحلقة الماضية، حيث قال: "وتفسير تعرفه العرب بلغتها". فهذا القرآن نزل بلغة العرب، فبمجرد أن تتكلم بلغة العرب وتتقنها وتحسنها، تفهم مراد الله عز وجل، بل أكثر القرآن على هذا النحو، بمجرد كون الإنسان يتكلم بلغة عربية وبلسان صحيح سليم يفهم عن الله عز وجل مراده.

5. الفهم والاستنباط:

الفهم والاستنباط يمكن أن يعد مصدراً آخر من مصادر التفسير، وبعضهم لا يعده من مصادر التفسير ولا يمكن الرجوع له ويقع فيه خلاف.فبعض أهل العلم يعدونه من المصادر في التفسير؛ لأنه في ضوء فهم العالم أو المفسر للغة واستنباطه، فقد فِهِم معنى الآية. وبعضهم يحمل على ذلك قول **علي بن أبي طالب** -رضي الله عنه- لما سُئل هل ترك لكم الرسول صلى الله عليه وسلم من شيء، قال: لا، إلا فهماً أوتيه عبد من عباد الله في كتاب الله عز وجل. على كلٍ هذا المصدر مما اختلف فيه أهل العلم ولكن أذكره من باب العلم به.

وهذه المصادر هي من أهم المصادر التي تُعتمد في فهم وتفسير كلام الله عز وجل :

الأول : القرآن الكريم

الثاني : السنة النبوية

الثالث : أقوال الصحابة والتابعين

الرابع : اللغة العربية

الخامس : الفهم والاستنباط

ولهذه المصادر تفصيلات وضوابط وسمات وخصائص بعضها سيمر معنا في الحلقات القادمة وبعضها سيمر معكم في مادة أصول التفسير وقد يمر معكم أيضاً بعضها في مناهج المفسرين واتجاهاتهم .

✓ التأليف في تاريخ التفسير

إذا كان تاريخ التفسير بهذه المكانة وله هذه الأهمية التي أشرنا إليها سابقا، فإن أنظار أهل العلم اتجهت إلى العناية برصد حركة هذا العلم منذ نشأته إلى يومنا هذا: حركة التدوين فيه، ورصد جهود أهل العلم في خدمة كلام الله عز وجل تدويناً، وحفظاً، وضبطاً له، وكل ما يتعلق بكلام الله عز وجل، ومن ذلك التفسير. المصادر التي تعتني بتاريخ التفسير متنوعة، منها:

- المؤلفات والموسوعات التي اعتنت بتاريخ التدوين في العلوم الإسلامية، وهذه تأتي في مقدمتها. هناك موسوعات اعتنت برصد حركة التدوين في العلوم الإسلامية، ومنها علم التفسير مثل كتاب ***كشف الظنون***

عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: **حاجي خليفة**. فقد ذكر كماً كبيرا هائلا من الكتب التي أُلفت في التفسير وفي غيرها من العلوم.

- من المصادر التي نعتمدها في تاريخ التفسير **كتب التراجم والطبقات**، سواء طبقات المفسرين أو غيرها. هذه تذكر، ترصد شيئًا من حركة التأليف في التفسير وترصد أيضاً جانباً من جهود أهل العلم في خدمة كلام الله عز وجل.
- أيضاً في العصر الحديث هناك عدد من **الرسائل والمؤلفات** التي رصدت الجهود العلمية وجهود هذه الأمة في تفسير كلام الله عز وجل حيث رصدت تلك المؤلفات ورصدت النشاطات العلمية والجهود المختلفة لأهل العلم في خدمة كلام الله عز وجل.

في العصر الحديث تتجه أنظار كثير من الباحثين إلى دراسة مناهج المفسرين. والحقيقة إن دراسة مناهج المفسرين هي جزء مهم من تاريخ التفسير، ولذلك يتداخل علم تاريخ التفسير مع مناهج المفسرين واتجاهاتهم؛ لأن دراسة مناهج المفسرين قد تدرس من جانب عصر من العصور، وقد تدرس أيضًا مناهجهم باعتبار مصر من الأمصار. فيمكن أن يدرس مثلًا القرن الثالث الهجري أو القرن الرابع الهجري. ممكن يدرس شمال أو شرق البلاد الإسلامية أو غربها مثلًا، أو يدرس منطقة معينة مثل بلاد الشام أو بلاد مصر. فيدرسها مصرًا من الأمصار أو عصراً من العصور. وقد يدرسها أيضا باعتبار اتجاه المفسر فيها، كمن يدرس مثلاً: الكتب التي اعتنت باللغة العربية، أو اعتنت بالأحكام التفصيلية، **فكتب مناهج المفسرين هي من أهم المصادر التي نعتمدها في رصد تاريخ التفسير**. ولهذا فغالب الكتب التي تكلمت عن مناهج المفسرين- الحقيقة- فيها رصد لتاريخ التفسير. من أشهرها (وكثيرًا ما يُتداول) كتاب ***التفسير والمفسرون*** للدكتور **محمد حسين الذهبي**، وكتاب: ***المفسرون مدارسهم ومناهجهم*** للدكتور **فضل عباس**، أيضًا كتاب ***تعريف الدارسين بمناهج المفسرين*** للدكتور **صلاح الخالدي**، وغيرها من الكتب والرسائل العلمية، وهي كثيرة جدًا، التي اعتنت بتاريخ التفسير ومناهج المفسرين.

أيها الإخوة، هذه مقدمة مختصرة أردنا أن نمهد بها قبل الدخول في رصد الحركة العلمية لتاريخ التفسير. تكلمنا عن تعريف التفسير، عن مصادره، عن أوجهه، عن أبرز المصادر التي تُعتمد في رصد حركة تاريخ التفسير، كل ذلك تمهيدًا للدخول في صلب الموضوع المتعلق برصد حركة التأليف والتدوين في علم التفسير، بل في حق ما يتعلق بتاريخ علم التفسير عمومًا والجهد العلمي الذي بذلته الأمة.

سنحاول إن شاء الله أن نبتديء الآن برصدٍ، نحاول من خلاله الوقوف على **مراحل نشأة علم التفسير وتطوره وازدهاره**، نرصدها من أول ما نشأ هذا العلم وظهر إلى يومنا هذا. ذلك أن كل علم من العلوم له دورة حياة تبتدئ بالنشأة والظهور، ثم التطور والاستمرار، ثم الازدهار. بعض العلوم قد تندثر، وبعضها قد تحافظ على بقائها

وتوهجها، وبعضها قد يصيبها نوع من الركود ثم ترجع مرة أخرى. كل علم - كما ذكرت لكم- له هذه الدورة من الحياة. فكل طالب علم متخصص في علم من العلوم لابد أن يكون عنده رصد لهذا العلم ودورة علمه وهو ما يسمى بالخط الزمني لهذا العلم أو الخريطة الذهنية لمسيرة هذا العلم منذ نشأته إلى يومنا هذا.

من المهم أن نعرف أن كل العلوم من حيث استوائها ونضجها على ثلاثة أنواع :

- علوم ما زالت تُطبخ .
- علوم طبخت ونضجت أيضاً.
- علوم طبخت ونضجت بل واحترَقت .

هكذا تكون **العلوم على ثلاثة أنواع**، فعلوم منها ما نضج ولم يستوِ، وعلوم منها ما طبخ ونضج واستوى على سوقه، وعلم طبخ ونضج واحترق بمعنى لم يعد فيه مجال للزيادة. ولذلك أذكر في ذلك مقولة **الزركشي** التي نقلها عن بعض مشائخه في كتابه ***المنثور في قواعد الأصول*** حيث قال: "فائدة: **كان بعض مشائخي يقول العلوم ثلاثة: علمٌ نَضَج وما احترق مثل علم الأصول والنحو، وعلمٌ لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث**" انتهى كلامه .

بغض النظر عن هذه الأمثلة التي ضربت على هذه الأنواع الثلاثة هل هي صحيحة أم لا، فهذا الكلام فيه مجال للبحث والنظر، وإنما المقصود هو الإشارة إلى أن العلوم متفاوتة هذا التفاوت الذي ذكره الزركشي، ومنه علم التفسير الذي مر بمراحل تطور فيها وازدهر، ثم مر بمرحلة أصابه الركود، ثم بمرحلة بعد ذلك في عصرنا الحديث. وكل مرحلة من هذه المراحل لها خصائصها، ولها سماتها، ولها ميزتها عن المرحلة التي تسبقها أو تأتي بعدها.

وهنا أريد الإشارة إلى تنبيهين وهما المقصود من ذكر هذه المراحل وتقسيمها وهما:

الأمر الأول: تقريب الصورة لطالب العلم

تقريب الصورة التاريخية، فنحن سنتكلم عن 1500 سنة، فنحن نريد أن نقرب لطالب العلم الخط الزمني لهذا العلم -علم التفسير- ولا نريد أن نقول أنها مراحل قطعية ولا مجال للإختلاف فيها، لا، بل فيها خلاف، وقد يضع أحد الباحثين خمس مراحل وقد يأتي آخر ويضع ست مراحل أو سبع مراحل فيزيد وينقص، لذا هذه المراحل المقصود بها هو تقريب الصورة الزمنية لطالب العلم. ولذلك هي ليست حدية نهائية قطعية، وإنما هي خاضعة للاجتهاد. وقد تقبل هذه الأقسام وقد لا تقبل، وقد يزيد الباحث عليها وقد ينقص عنها.

الأمر الثاني: ليست كل العلوم مستوية في هذه المراحل والتقسيمات.

علم التفسير له مراحله الخاصة، قد نجد علمًا من علوم القرآن تختلف مراحله، أو نجد مثلاً علم الحديث تختلف مراحله عن علم التفسير. لكل علم من العلوم مراحله الخاصة به.

نتوقف هنا على أمل- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة نواصل الكلام عن مراحل نشأة علم التفسير.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **نهى الخشن**

قام بالمراجعة الأولى: **أخت في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثالثة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. فيطيب لي الترحيب بكم في هذه المحاضرة الثالثة من مقرر تاريخ التفسير الذى يقدم ضمن برنامج السعدى، المستوى الأول، بأكاديمية تفسير.

أيها الأخوة الكرام في الحلقتين الماضيتين تكلمنا عن تعريف علم التفسير وأهميته، وحكمه، وأيضا أشرنا إلى معنى المناهج والمؤلفات في علم التفسير، واليوم إن شاء الله سنبدأ الكلام عمّا يتعلق بموضوع:

✓ مراحل نشأة علم التفسير وتطوره

إن الكلام عن هذا الموضوع هو غاية في الأهمية، بل هو فى الحقيقة صلب هذا المقرر، فالمقرر يعتني بتاريخ علم التفسير، ونحن إن شاء الله سنتكلم عن نشأة علم التفسير وتطوره، نرصد رصدًا تاريخيًا هذا العلم، من تاريخ ظهوره إلى يومنا هذا.

نحن نعلم أيها الإخوة أن لكل علم من العلوم دورة حياة، فكما للإنسان وللكائن الحيّ دورة حياة، كذلك كل العلوم لها دورة حياة تبدأ من تاريخ ظهور ذلك العلم ونشأته، ثم ازدهاره وتطوره، وقد يمر أيضا هذا العلم بمرحلة ركود، ثم يعود أيضا إلى مرحلة التطور والازدهار والنهوض مرةً أخرى، كل العلوم أيضا إما أن تكون علوم قد نضجت واستوت على سوقها وتحررت مسائلها، وبعضها قد لا يزال في مرحلة النضج، ولم يكتمل ذلك. إلى هذا المعنى يشير **الزركشي** - رحمه الله - في بداية كتابه ***المنثور في القواعد الفقهية*** - نقلا عن بعض المشائخ – يقول: "فائدة : كان بعض المشائخ يقول العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق، وهو علم الأصول والنحو، وعلم لا نضج ولا احترق، وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق، وهو علم الفقه والحديث". وهذه الأمثلة التي ضربها الإمام الزركشي - رحمه الله - قد تكون محل نظر، وإنما المقصود الإشارة فقط إلى أن العلوم تمر بمراحل متنوعة في تطورها وازدهارها، وليست كلها على طريقة واحدة، أو على أسلوب واحد، أو على تاريخ واحد تمر به. كذلك علم التفسير هو من هذه العلوم التي مرت بمراحل من التطور والنشأة، على ما سيأتي بيانه بإذن الله عز وجل.

سنتكلم في مراحل علم التفسير، ونشأته، وتطوره، على مراحل متنوعة، سنذكر في كل مرحلة بداية هذه المرحلة ونهايتها وخصائص كل مرحلة من هذه المراحل، ينبغي أيضا - ونحن نذكر هذه التقاسيم لمراحل نشأة علم التفسير- أن نشير إلى أن هذه التقاسيم أمر **اجتهادي**، قد يختلف في نظر الباحثين، وأهل العلم والدارسين، فقد يضع أحد

الباحثين والدارسين أقسامًا ومراحلًا لهذا العلم، ويأتي غيره فيزيد عليها، أو ينقص منها، أو ربما يعارضه فيها كلها، فهي ليست أمور توقيفية، إنما أمور اجتهادية مبنية على استقراء تاريخ علم التفسير.

✓ لماذا تعتبر مراحل نشأة علم التفسير وتطوره هي أمور اجتهادية وليست أموراً توقيفية؟

لأن العلم يتداخل بعضه ببعض، والتاريخ الحضاري والتاريخ الإنساني ليس حديًا، يعني له بداية وانتهاء، فكل مرحلة من مراحله تدخل في المرحلة السابقة لها وتؤثر في المرحلة التالية لها، فهي ليست مولودة فجأة ومباشرة، بل هي تنشأ شيئاً فشيئًا. كذلك أيضا من نافلة القول - ونحن سنتكلم عن مراحل نشأة علم التفسير وتطوره - أن هذا التقسيم وهذه المراحل التي سنذكرها هي خاصة بعلم التفسير، بمعنى أنه لا يلزم أن تكون هذه المراحل التي ذكرناها أو سنذكرها تنطبق على غيره من العلوم: على علم العقيدة، أوعلم الفقه، أو غيره من العلوم الإنسانية الأخرى، بل كل علم من تلك العلوم له مراحل، نعم قد تشترك في تاريخ بعض هذه المراحل، لكن لا يلزم أن تكون في كل مراحلها متشابهة، أو مماثلة لغيرها.

✓ مراحل نشأة علم التفسير وتطوره

بالنظر في التدوين في علم التفسير والتاريخ الذي مر به هذا العلم، يمكن أن نقسم علم التفسير من حيث نشأته وتطوره إلى عدد من المراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والظهور

وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة النشأة والظهور، وهذا أمر طبيعي، فكل علم لابد أن تكون مرحلته الأولى هي نشأته وظهوره، وتبدأ هذه المرحلة من ظهور هذا العلم إلى نهاية القرن الثاني الهجري، أو أواسط القرن الثاني الهجري، وهي على هذا التاريخ الزمني تشمل: عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - ،وعصر الصحابة - رضي الله عنهم-، وأيضا يدخل في جزء منها عصر التابعين. إذًا مرحلة النشأة والظهور تشمل: عهد النبوة، وعهد الصحابة، وأوائل عهد التابعين. سنتكلم عن هذه العصور الثلاثة: عصر النبوة، وعصر الصحابة، وعصر التابعين، وسنبين خصائصها ومميزاتها، وأبرز المصادر التي نرجع إليها إذا أردنا أن نأخذ التفسير من هذه المرحلة.

في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم -:

نحن نعلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت مهمته تبليغ القرآن الكريم، وعليه، فيبدأ نشأة هذا العلم وظهوره من أول آية نزلت من كتاب الله من قوله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:1] هذه الآية في أول نزولها يبدأ معها نشأة وظهور علم التفسير.

لماذا نقول ذلك؟ لأن مهمته - عليه الصلاة والسلام - هي تبليغ القرآن، تبليغ لفظه ومعناه، وابتدأ التبليغ بأول نزول آية من القرآن الكريم، فهو لما نزلت هذه الآية الكريمة بلَّغ لفظها، وبلغ معناها، يعني هذه طبيعة مهمة النبي

- عليه الصلاة والسلام - ولهذا يقول الله عز وجل لنبيه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة العنكبوت: 45]، ويقول عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل 44]

فبنزول القرآن الكريم، بل بنزول أول آيات منه، ظهر علم التفسير. وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم – يبين للناس لفظ القرآن ومعناه، وكان - عليه الصلاة والسلام - حريصًا، غاية الحرص، في إبلاغ القرآن للناس أجمعين، وكان حريصًا على أن يؤديه كما تلقاه من جبريل - عليه السلام -. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاني وهو يتلقى الوحي من جبريل - عليه السلام -، فقد كان - النبي صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه جبريل، ويلقي عليه الآيات كان يردد الآيات مع نفسه حتى لا ينساها؛ كما يفعل أحدنا إذا ألقي عليه كلام، وهو يريد أن يتذكر هذا الكلام ولا ينسى، يبدأ يردده والانسان يتكلم، فكان يعاني من ذلك معاناه شديدة، ولهذا قال الله عز وجل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة القيامة: 16 - 19] ، يقول له ربه عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به؛ مخافة أن يفوتك شيء منه، فإننا سنجمعه في قلبك فلا تنسى، ولكن إذا قرأ جبريل فاستمع له، حتى إذا انتهى من تلاوته فإننا سنجمعه في صدرك، وتقرأه وتبينه للناس، ولا تنسى شيئا منه.

والصحابة - رضي الله عنهم - قد كانوا عربًا أقحاحًا، نزل القرآن بلسانهم، ولهذا كانوا يفهمون القرآن بمجرد سليقتهم، بمجرد لسانهم، وما كانوا يرجعون إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في شيء من القرآن إلا فيما أشكل عليهم أو لم يظهر لهم معناه، وإلا فالقرآن كما قال الله عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء: 19] فهو نزل بلغتهم، ولذلك هم بمقتضى لغتهم ولسانهم وسليقتهم يفهمون كلام الله عز وجل.

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يشتغل الصحابة - رضي الله عنهم - بتعلم القرآن؛ حفظا، وتلاوة، وفهما، ومدارسة، وعملا، وتطبيقا له، بل كان عليه الصلاة والسلام يبث فيهم روح الحماسة لتعلم القرآن الكريم، وحفظه ومدارسته، بل ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجعل المقياس المعيار في من يُقَدِمُ من الصحابة؛ ليس نسبه، ولا سنه، ولا ذكاءه وفطنته، أبدا بل كان في الغالب المقياس والمعيار هو أكثرهم أخذا للقرآن الكريم، فمن كان أكثرهم أخذا للقرآن جعله أميراً على السرية التي يبعثها عليه الصلاة والسلام، ومن كان أكثرهم للقرآن قدَّمه للصلاة بالناس، بل من كان أكثرهم للقرآن قدَّمه أثناء دفنه عند موتهم. وأكثر من هذا، كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى أن يكتب عنه شيء غير القرآن، يقول عليه الصلاة والسلام: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غيرَ القرآن فليمْحُه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار"، الحديث في صحيح مسلم.

لماذا؟ لقد أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يكون تركيز الصحابة - رضي الله عنهم - منصباً ومقتصراً على تلقي القرآن وعلى تلقي لفظه، على تلقي معناه، على العمل به وتبليغه للناس؛ ولذلك لم يرد أن يزاحم القرآن أي شيء

آخر، ولهذا انعكس هذا التشجيع والحرص من النبي - صلى الله عليه وسلم - على الصحابة، فقد كان القرآن الكريم شغلهم الشاغل؛ حرصوا على حفظه، مدارسته، وملأ أوقاتهم ليلا ونهارا في تعلمه، وتلاوته، وحفظه.

أبو عبد الرحمن السُلَمي - التابعي المشهور - يحدثنا عن الحالة التي كان عليها الصحابة في تلقي القرآن وتعلمه؛ يقول: حدثنا الذين كانوا يُقرؤننا القرآن كعثمان ابن عفان، وعبدالله بن مسعود، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا العلم والعمل جميعا. إذًا، هذا منهج الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- في تلقي القرآن وأخذه؛ يتعلمون عشر آيات، وفي بعض الروايات أقل من عشر آيات، يتعلمون تلاوتها، ثم يحفظونها، ويتعلمون معناها، وأيضا يعملون بما فيها من الأحكام والأوامر. ويقول ابن مسعود - رضي الله عنه - وهو يؤكد هذا المعنى يقول: "كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ" رواة الطبري. فكان هذا منهج الصحابة، الذي رباهم عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلقي القرآن وأخذه.

✓ كيف كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يبين القرآن ويوضحه؟

نحن قلنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت مهمته الأولى هى بيان القرآن وتوضيحه، فكيف كان عليه الصلاة والسلام يبين القرآن، كيف كان يوضحه للناس. هناك طرق لبيان النبي - عليه الصلاة والسلام – للقرآن الكريم، نحن لا نريد التفصيل في هذه الطرق، والتوسع فيها، ذلك إنكم إن شاء الله ستأخذون مقررا مستقلا يتعلق بأصول التفسير، ستبيَن فيه هذه الطرق بشكل أوسع، ويؤخذ عليها مسائل وتطبيقات متنوعة، وإنما أريد الإلماح والإشارة إليها سريعا؛ لأننا في رصدنا التاريخي لعلم التفسير نريد أن نشير فقط إلى الطرق التي كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يبين القرآن بها، وهي تتلخص في ثلاث طرق:

1. أول هذه الطرق: **البيان القولي لمعاني القرآن الكريم**، وسيأتي معنا إن شاء الله تعالى أمثلة على ذلك، مثل بيانه عليه الصلاة والسلام لمعنى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : 7] مثل بيانه لمعنى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، سيأتي إن شاء الله ضرب أمثلة على ذلك.
2. من أنواع بيانه عليه الصلاة والسلام: **البيان الفعلي**، وهذا قد يغفل عنه بعض الناس، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبين بقوله، ويبين بفعله، مثل ماذا؟ مثل بيانه للحج، مثل بيانه للصوم، مثل بيانه للصلاة، فقد بينها النبي - صلى الله عليه وسلم – بفعله، وقد يكون بيانه الفعلي أكثر من بيانه القولي في مثل هذه الصور.
3. والنوع الثالث من البيان هو: **التقرير**، وهو أن يقرّ النبي صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة على فهمٍ فهمه، أو على عملٍ عمله، أخذه من القرآن الكريم.

✓ البيان القولي لمعاني القرآن الكريم

يأتي بيان النبي صلى الله عليه وسلم القولي مثل بيانه لمعنى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : 7] حيث قال أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون، كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

مثل أيضا: الإشكال الذي وقع من الصحابه في معنى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : 82]، "قال الصحابة: أيّنا يارسول الله لم يظلم نفسه؟" فهم فهموا فهما في معنى الظلم، وهو الظلم بإطلاقه العام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : 13] فأزال الإشكال عنهم وبيّن لهم معنى الآية. أيضا مثل بيان السبع المثاني يقول عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87] فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه فسر الفاتحة بقوله: "هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته".

إذًا بيانه - عليه الصلاة والسلام - للقرآن الكريم إما أن يكون بيانا قوليا بقوله، أو بيانا فعليا بفعله، أو بيانا بتقريره.

يبقى هناك سؤال آخر قد يرد هنا، وهو أن يقال:

✓ هذا البيان النبوي للقرآن الكريم، كيف هو من حيث الظهور والخفاء؟ كيف هو من حيث كونه نصيّا أو غير نصيّ ؟

الحقيقة أن بيان النبي - صلى الله عليه وسلم - للقرآن باعتبار ظهوره وخفائه يمكن أن يقسم إلى **قسمين:**

1. ما كان ظاهرا بيّنا نصا في معنى الآية، كالأمثلة التي سقناها قبل قليل، مثل: تفسيره للسبع المثاني، ومثل تفسيره للكوثر وما المراد به، ومثل تفسيره للمغضوب عليهم والضالين، فهذا بيان نصيّ في معنى الآية، وهو ظاهر.
2. النوع الآخر من بيانه عليه الصلاة والسلام: بيان ما قد لا يكون ظاهرا، ولا يكون نصا في معنى الآية، بل يحتاج إلى فكر ونظر من العالم أو المفسر حتى يصل إلى استنباط معنى الآية من تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - أو ربط الآية بقول النبي - عليه الصلاة والسلام - أو فعله، أو تقريره. والناس في هذا القسم الثاني يختلفون، وبينهم مراحل ومنازل متفاوتة، بحسب ما يفتح الله به عز وجل على كل أحد منهم.

إذًا بيان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد يكون بيانا ظاهرا جليا نصا في معنى الآية الكريمة، وقد يكون ذلك البيان بيان غير ظاهر، ولا نص في معنى الآية، بل يختلف الناس في ذلك وفي ربطهم بمعنى الآية الكريمة، ومعنى الحديث النبوي.

المسألة الأخرى التي يكثر الحديث عنها والتي تتعلق ببيان النبي - صلى الله عليه وسلم - للقرآن الكريم هي:

✓ **هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم؟ ثم هل فسره كله أم لا؟**

هذه من المسائل التي يكثر الحديث عنها، ويكثر في ذلك نقل كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية يقرر فيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بيّن لفظ القرآن الكريم ومعناه، وحتى أن البعض من الباحثين والدارسين جعل هذه المسألة خلافية بين أهل العلم، وأصبح فيها أقوال؛ القول الأول، والقول الثاني، والقول الثالث، وأدلة القول الأول، وأدلة القول الثاني، وأدلة القول الثالث، ثم المناقشة، ثم الترجيح. ونحن لا نريد أن نخوض في هذا كله حقيقةً، لأن هذا ليس المقصود المقرر، وإنما نريد فقط أن نشير إلى أن الخطأ في تصور هذه المسألة، والزعم أن فيها خلافا أصلا بين أهل العلم، وأن هناك أقوال في هذه المسألة. سنحاول أن نشير إلى هذه المسألة باختصار، وكيف نشأت هذه المسألة، وأيضا تصور حقيقة هذه المسألة، فنحن لا نريد أن نخوض فيها من كل جوانبها، وإنما يعنينا فقط الجانب التاريخي الذي هو محل دراستنا، وسنختصر من أجل ذلك الكلام في نقاط،

عند بحث هذه المسألة يجب أن يستحضر الباحث أن **ألفاظ القرآن الكريم وآياته تنقسم من جهة المخاطبين إلى قسمين:**

القسم الأول منها: **ألفاظ من القرآن الكريم وآياته لا تحتاج إلى بيان وتفسير**، وإنما يفهمها المخاطب بمجرد كونه ناطقا بلغة العرب، بمجرد أنه يتكلم بلغة العرب، وأن هذه اللغه هي لغته يفهم القرآن الكريم، مثل قولك: أقبل ، وهلم ، وذهب ، ورجع ... ونحو ذلك، هذه ألفاظ لا تحتاج إلى بيان وإلى شرح وإلى تفصيل، فبمجرد أنك تتكلم لغة العرب فأنت تفهم هذه الألفاظ، فالعربي بمقتضى كونه عربيا وبمقتضى كونه ناطقا بلغة العرب متكلما بها يفهم معاني آيات القرآن الكريم على هذا النحو، مثل قوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾[الفتح: 29] مثل قوله عز وجل ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36] مثل قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: 66]، معنى محمد، معنى رسول، اعبدوا، لا تشركوا، أحياكم، يميتكم، هذه الألفاظ يفهمها العربي بمقتضى كونه ناطقا بلغة العرب، وعليه؛ مثل هذه الألفاظ والآيات لا تحتاج إلى بيان ولا تحتاج إلى تفسير .

وعلى هذا النوع، جاءت أكثر آيات القرآن الكريم، بل دعونا نقول على سبيل الاحتياط، كثير من آيات القرآن الكريم - إن لم تكن أكثر آيات القرآن الكريم - جاءت على هذا النحو، بمعنى أن العربي بمقتضى كونه عربيا، وبمقتضى كونه متكلما بلسان العرب يفهم هذه الألفاظ. ولهذا لم يُنقل عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه فَسَّر هذه الآيات التي يفهمها العربي بمقتضى كونه عربيا، لا يشكِل على هذا أن العُجمة ظهرت بعد ذلك.

المعنى على الذين نزل عليهم القرآن، هل كانوا عربا أم لا، هل كانوا يفهمون أم لا، هذا هو المهم، ظهور العجمة بعد ذلك بعد الفتوحات الإسلامية، ودخول غير العرب في الإسلام، واختلاطهم بالعرب، وتأثيرهم على لسان العرب؛

حتى ظهرت العجمة فيهم، هذا لا يؤثر على ما نحن بصدده، فقد طرأت العجمة على العرب بعد زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وزمن الصحابة، حتى نحن اليوم يشكل علينا بعض الألفاظ التي يفهمها العرب، حتى عوام العرب؛ لأن العجمة دخلت على لسانهم، فهذا غير مؤثر.

القسم الثاني سنتكلم عنه إن شاء الله عز وجل في المحاضرة القادمة.

هذا والله أعلم، وصلى الله على وسلم وبارك على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**
قام بالمراجعة الأولى: **أخت في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد؛ يطيب لى الترحيب بكم في المحاضرة الرابعة من مقرر تاريخ التفسير، الذى يقدم ضمن برنامج السعدى المستوى الأول. أيها الأخوة الكرام، كنا في المحاضرة الماضية قد تكلمنا عن نشأة علم التفسير، وتكلمنا عن أول مرحلة في هذا العلم: وهى مرحلة الظهور والنشأة، وأشرنا إلى أن مرحلة ظهور هذا العلم تبدأ من تاريخ ظهور هذا العلم إلى أواسط القرن الثانى الهجرى، بمعنى أنها تشمل عصر النبى صلى الله عليه وسلم، وعصر الصحابة، وأوائل عصر التابعين. تكلمنا عن التفسير النبوى، وذكرنا أوجه بيان النبى صلى الله عليه وسلم للقرآن. وانتهى بنا الحديث إلى مسألة يكثر فيها الكلام؛ وهى:

✓ هل فسر النبى صلى الله عليه وسلم القرآن بأكمله أم لا؟

أشرنا في بدء كلامنا إلى أن يستحضر الباحث أو المتكلم في هذه المسألة أن **ألفاظ القرآن الكريم من حيث كونها بينة أو عدمه، من حيث فهم المخاطب تنقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: يفهمه المخاطب بمجرد كونه متكلمًا باللغة العربية

ذكرنا أن غالب القرآن الكريم على هذا القسم. وإذا كان غالب القرآن الكريم على هذا النحو، فمعناها أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفسر هذه الآيات التي يفهمها الإنسان بمقتضى كونه متكلما بلسانه، ولا يمكن أن يتصور أن أحدا من أهل العلم يقول أن النبى صلى الله عليه وسلم فسَّر هذه الآيات التي يفهمها الإنسان بلغته العربية، ولا حتى عن الصحابة، فلم يُنقل عن النبى صلى الله عليه أنه فسر آيات تفهم بمجرد لسان العرب، ولم يُنقل عن الصحابة ذلك، لأن الاشتغال بتفسير الشيء الذى يفهمه الإنسان بمجرد لغته هذا من العيّ ومن السفه الذى يُجَلّ عنه مقام النبوة.

وينبغى الإشارة إلى أنه من نافلة القول أن من تكلم في هذه المسألة كابن تيمية رحمه الله وغيره من أهل العلم، فهم قطعًا لم يقصدوا في بحثهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسَّر هذا النوع من الألفاظ والتراكيب أو الآيات. وإذا سلمنا بهذا فعلا، بأن كثيرا من القرآن نزل بلغة العرب، وأن كثيرا من القرآن يفهمه الإنسان بمجرد كونه متكلما بلغة العرب، سيخرج من بحثنا كثير من آيات القرآن الكريم التي لا تحتاج إلى تفسير، والتي لم يفسرها النبى صلى الله عليه وسلم، لماذا لم يفسرها؟ لأنها أصلا لا تحتاج إلى تفسير، بمجرد كون الإنسان متكلما بلغة العرب يفهم معنى الآية. هذا هو القسم الأول الذى تكلمنا عنه.

القسم الثانى: قسم من القرآن الكريم لا يفهمه العربى بمجرد لغته وسليقته اللغوية

بعبارة أدق لا يفهم المراد منه وإن فهم معنى اللفظ في ذاته، ولكن ما مراد الله عز وجل به هذا الذى لا يفهمه.

ولعل الأمثلة توضح ذلك: مثلا العربى يفهم معنى الصلاة، ويفهم معنى الزكاة، ويفهم معنى الحج، بمقتضى كونه متكلما باللغة العربية، لكنه لا يفهم ما الذى يريده الله عز وجل بالصلاة؟ ما الذى يريده الله عز وجل بالحج أو بالزكاة؟ الصلاة يعرف أن معناها الدعاء، والزكاة يعرف أن معناها الطهارة والنماء، والحج يعرف أن معناه القصد، لكن ما معنى الدعاء هنا؟ ما المراد به؟ ما المراد بالطهارة والنماء؟ ما المراد بالقصد هنا؟ ما الذى يريده الله عز وجل بذلك؟ هذا الذى لا يفهمه العربى، حتى وإن كان متكلما بلغة العرب. ومثله الآيات التي تتكلم عن الجنة والنار، والصراط المنصوب على متن جهنم، والميزان، كل هذه الأشياء، وكل هذه الألفاظ من حيث أنها لفظ يفهم معناها، لكن ما هي حقائقها، ما المراد بها؟ هذا الذى لا يفهمه العربى بمجرد مقتضى لسانه.

آيات القرآن الكريم التي لا يفهمها العربي بمجرد لغته وسليقته اللغوية، يمكن أن تُقَسَّم باعتبار حاجة المكلف إلى فهمها حتى يمتثل أمر الله، إلى قسمين:

القسم الأول: آيات أُلزم المكلف بالعمل بها، من تكاليف الشريعة وواجباتها. فنوع منها يتعلق بالحلال والحرام، فالمكلف هنا محتاج إلى فهم مقصود الشارع، إلى فهم مراد الله عز وجل بهذه الآيات حتى يمتثل ما كلف به، فهو إذًا بحاجة إلى أن يفهم معنى الآية حتى يمتثل ما كُلف به، ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لابد أن يفهم معنى ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ حتى يصلى، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ لابد أن يفهم معنى الزكاة حتى يزكى، وهكذا باقى الآيات المتعلقة بما كلف به العبد.

هذا النوع من الآيات التي لا يَفهم المراد بها المخاطبُ بمجرد كونه يتكلم اللغة العربية، وهى أيضا مما يحتاجه حتى يمتثل أمر الله عز وجل، **هذا القسم، النبى صلى الله عليه وسلم بيّنه كاملا، وفسره كاملا، ووضحه كاملا.** هذا قد بيَّنه النبى صلى الله عليه وسلم أتمَّ بيان وأكمل بيان، وهذا مقتضى كونه رسول، وكونه مبلّغ عن الله عز وجل، وهذا معنى قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44]، ومعنى قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64]. هذا النوع الذى يحتاجه المكلف لإمتثال أوامر الله عز وجل لم يختلف أهل العلم أن النبى عليه الصلاة والسلام بيَّنه ووضحه للناس، لا يوجد خلاف بين أهل العلم أبدًا في هذا الأمر، بإجماع أهل العلم، بإجماع الأمة، أن النبى بيَّن للناس كل ما يحتاجونه لإمتثال أوامر الله عز وجل مما أمرهم به في كتابه، فهذا لا يختلف فيه أهل العلم.

لكن قد يقع الاستشكال أو الخلاف في كيفية بيان النبى عليه الصلاة والسلام لهذا النوع من آيات القرآن الكريم، وقد يظن بعض الناس أن البيان يقتصر على البيان الصريح، البيان اللفظى، وهذا الأمر يناقض الواقع الذى كان

عليه النبى عليه الصلاة والسلام، وقد قررنا ذلك في الحلقة الماضية، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبين بقوله بيانا لفظيا، وبيانا فعليا، وحتى تقريرا، فسنته عليه الصلاة والسلام الشاملة لقوله وفعله وتقريره، كلها من جملة ما يحصل بها بيان القرآن الكريم.

من أمثلة البيان اللفظي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يندرج ضمن البيان اللفظى ما رواه مسلم عن أنس بن مالك -رضى الله عنه-: أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الكوثر ثم قال: "أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ، فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ". فالنبى صلى الله عليه وسلم فسَّر المراد بالكوثر، وأنه نهر بالجنة وعده الله عز وجل به، فهذا بيان قولى لفظى منه عليه الصلاة والسلام.

من أمثلة البيان العملي الفعلي من النبي صلى الله عليه وسلم: ما جاء في بيان معنى الحج، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "خذوا عنى مناسككم"، ثم حج عليه الصلاة والسلام وتلقت الأمة حجته الفعلية، ونقلتها إلينا، وبه فهمنا أمر الله عز وجل لنا بالحج، كذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "صلوا كما رأيتمونى أصلى"، فقد نقل إلينا صفة صلاته عليه الصلاة والسلام، وما يستتبع هذه الصلاة من الطهارة ونحوها، وذلك كله بيان لمعنى قول الله تعالى ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. وهذا النوع من التفسير النبوى والعمل به (أعني به البيان العملي) واسع وكبير، هو مجال للدراسة ومجال للبحث فيه، ومجال للتوسع في استنباطه، وضرب الأمثلة عليه وصوره التي تندرج ضمنه.

إذن، النوع الأول -قلنا- ما يحتاجه المكلف لامتثال أوامر الله تعالى، وهذا النوع لا شك أن النبى صلى الله عليه وسلم قد وضحه وبينه وفسره للأمة كلها، فكل ما كان في القرآن الكريم من أوامر ونواهى خوطب بها المكلف، قد بيَّنها النبى عليه الصلاة والسلام، بإجماع الأمة، ولا شك في ذلك.

القسم الثاني: آيات في القرآن الكريم لا يفهم العربي معناها،وهي لا تتعلق بما كُلِّف به، أي، لا يحتاجها المكلف حتى يمتثل ما أمربه الله عزوجل. وهذا القسم له أمثلة كثيرة، مثل الأمور الغيبية، ومثل ما ذكر في صفة الجنة والنار، وصفة الصراط، والميزان، وبعض الحوادث التي تقع في مستقبلا أو وقعت قبل ذلك، كأسماء أصحاب الكهف، عددهم، اسم كلبهم، كما يندرج ضمن ذلك بعض الإشارات الكونية التي وردت في القرآن الكريم في بعض الآيات مما أظهره العلم الحديث. فعِلم المكلف بهذه الآيات ومعانيها لا يتعلق به حلال أو حرام، ولا يتعلق به تكليف، ولا يتعلق به جزاء أو حساب، نعم، فهمه لها يزيد من إيمانه، لكن لا يتعلق به تكليف، بمعنى أن الله عز وجل لا يسأله يوم القيامة لماذا لم يفهم هذه الآية، ولماذا لَم يستنبط معناها أو لم يدرس معناها، ذلك لأنه لا يتعلق بها تكليف أو ثواب أو عقاب.

هذا النوع بعضه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم تفسيره أو بيانه، بل تُرك لفهم واستنباط أهل العلم الراسخين فيه. والحقيقة أن هذا من ضمن ما جعل القرآن الكريم آيةً معجزةً إلى قيام الساعة.
وأحسب أننا إذا تتبعنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتبه ومؤلفاته، وهو الذى اشتُهِر عنه الكلام في هذه المسألة؛ هل النبى صلى الله عليه وسلم فسر القرآن كله؟ إذا تتبعنا كلامه لم يشق علينا أن نرى ابن تيمية يقرر أن النبى صلى الله عليه وسلم سكت عن بيان بعض هذه المغيبات، بل مما يؤكد ذلك أنه جعل من طرق بيان القرآن الكريم بعد الرجوع إلى القرآن الكريم والرجوع إلى السنة، الرجوع إلى الصحابة -رضى الله عنهم- والتابعين. وهذا يدل على أنه فعلا يعتقد أن هناك آيات من القرآن الكريم لم يبينها ويفسرها النبى صلى الله عليه وسلم، ولو كان النبى صلى الله عليه وسلم قد بيَّنها ونص عليها، فما الحاجة إلى الرجوع إلى الصحابة والتابعين. يقول ابن تيمية -رحمه الله- في مقدمته المشهورة وهو يذكر طرق التفسير: "وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة" إذن هو يقول: "إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة"، فهذا معناه يقينًا أنه لم يرد أن النبى صلى الله عليه وسلم فسر كامل ألفاظ القرآن الكريم، وإلا فما الحاجة إلى الرجوع إلى الصحابة عندئذٍ، قال: "فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين" انتهى كلامه. إذن، هو يقول أنه إذا لم تجد في القرآن ولا في السنة بيان وتفسير لمعنى آية، ارجع إلى الصحابة الذين أخذوا عن النبى عليه الصلاة والسلام، وهذا يدل أنه لا يرى أن النبى فسر كل ألفاظ القرآن الكريم.

هذه كانت إلماحة سريعة لمسألة هل فسر النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كله أم لا.

✓ كيف نستطيع الوصول إلى التفسير النبوي

ننتقل إلى مسألة أخرى وهي: كيف نستطيع الوصول إلى التفسير النبوى؟ أو ما هي طرقنا للوصول إلى التفسير النبوى؟ فنقول: **التفسير النبوي ليس له طريق إلا طريق الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم.**

✓ ما المصادر التي نرجع إليها حتى نصل إلى الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم

أما المصادر التي نرجع إليها حتى نصل إلى الروايات عن النبى عليه الصلاة والسلام فهي متنوعة، منها:

1. دواوين أهل الإسلام التي حفظت سنة النبى صلى الله عليه وسلم، وأعظمها فيما يتعلق بالتفسير: تفسير الطبرى، وتفسير الصنعانى، ومصنف عبد الرزاق، والدر المنثور، وتفسير ابن أبى حاتم، وغيرها من التفاسير التي حفظت لنا سنة النبى صلى الله عليه وسلم.

2. من المصادر التي نعتمدها في معرفة التفسير النبوى: **أقوال الصحابة** الذين اعتمدوا في تفسيرهم وفهمهم على ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم، فكثير من تفسير الصحابة مأخوذ عن النبى عليه الصلاة والسلام.
3. المصدر الثالث الذى نأخذ منه التفسير النبوى: **أقوال التابعين** الذين اعتمدوا في تفسيرهم وفهمهم على ما ورد عن النبى عليه الصلاة والسلام.
4. من المصادر التي نستقى منها التفسير النبوى: **أقوال المفسرين**، فبعض المفسرين اعتنى بالمرويات عن النبى عليه الصلاة والسلام في التفسير، وهم في ذلك يختلفون، فمنهم من له عناية ظاهرة، ومن ليس له عناية بذلك، فمنازلهم تختلف.
5. كذلك، **جهود العلماء غير المفسرين**، هناك بعض العلماء غير المفسرين ممن ليس لهم تفاسير ولكن لهم مؤلفات أخرى اعتنوا فيها بنقل بعض أقوال النبى صلى الله عليه وسلم-ومروياته في التفسير.

هذه المصادر الخمسة نستطيع أن نتلقى منها المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن الكريم.

هذه المصادر الخمسة كلها نستطيع أن نتلقى منها المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن الكريم.

الخلاصة: هذا ما يتعلق بالتفسير النبوى، وذكرنا فيه حقيقة التفسير النبوى وأقسامه وأنواعه، كذلك أشرنا إلى مسألة تفسير النبى عليه الصلاة والسلام للقرآن وأصل هذه المسألة، أشرنا أيضا إلى المصادر التي نعتمد عليها حينما نريد أن نأخذ من تفسير النبى عليه الصلاة والسلام، وأن هذه المصادر خمسة: إما دواوين أهل الإسلام التي حفظت سنة النبى صلى الله عليه وسلم، أو أقوال الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- التي اعتمدوا فيها على تفسير النبى صلى الله عليه وسلم، أو أقوال التابعين -رحمهم الله تعالى- الذين اعتمدوا فيها على تفسير النبى صلى الله عليه وسلم، أو أقوال المفسرين الذين اعتنوا بنقل سنة النبى عليه الصلاة والسلام، وكذلك، جهود العلماء غير المفسرين، فهناك بعض الأقوال والروايات التي لا نجدها في كتب التفسير وإنما نجدها عند بعض العلماء مبثوثة في مؤلفاتهم في المصادر المتنوعة.

هذا والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين. أما بعد، فأرحب بكم في هذه الحلقة أو المحاضرة الخامسة من محاضرات مقرر تاريخ التفسير والتي تقدم ضمن مقررات برنامج السعدي المستوى الأول بأكاديمية تفسير.

كنا أيها الأخوة في المحاضرة الماضية قد تكلمنا عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، وأشرنا إلى مكانة تفسيره صلى الله عليه وسلم، وأبرز المصادر التي يمكن أن نقف عليها إذا أردنا أخذ تفسيره عليه الصلاة والسلام. ونحن أول ما تكلمنا عن المرحلة الأولى هي مرحلة نشأة وظهور علم التفسير، ذكرنا أنها تشتمل على عصر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعصر الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- والتابعين. وفي هذه المحاضرة بإذن الله عز وجل سنبدأ الكلام عن:

✓ التفسير في عصر الصحابة وعصر التابعين

مرحلة التفسير في عصر الصحابة والتابعين هي من أهم المراحل التي ينبغي دراستها لمن يريد الوقوف على تاريخ علم التفسير وتطوره لأنها مرحلة غاية في الأهمية، بل هي الركن الركين الذي قام عليه بناء التفسير فيما بعد ذلك؛ بل نستطيع أن نقول إن دواوين التفسير ومؤلفات أهل العلم في تفسير كلام الله عز وجل في أصلها تقوم على هذا المروي عن الصحابة والتابعين، ومن قبلِهم عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولعلنا في آخر كلامنا عن هذه المرحلة سنشير إلى مكانة التفسير في هذه المرحلة بما تشمله من عصر النبي والصحابة والتابعين. وكلامنا اليوم هو عن التفسير في مرحلة الصحابة والتابعين.

نحن نعلم أن الله عز وجل لما فتح البلاد على المسلمين في عصر الصحابة كانوا -رضي الله عنهم- مشاعل وهداية فانتشروا في تلك الأمصار المفتوحة في بلاد الشام والعراق وقد حملوا العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وأرادوا تبليغه للناس، فاشتغلوا بتعليم الناس كلام ربهم عز وجل تلاوةً، وتحفيظاً له، وتدريساً، وبياناً لمعانيه.

والناس قد أقبلوا على كلام الله عز وجل تعلماً وأخذاً عن هؤلاء الصحابة الذين لقوا النبي -صلى الله عليه وسلم؛ لأن لهؤلاء الصحابة مزية ليست لأحد بعدهم أبدًا، وهي أنهم لقوا النبي صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن أنهم أهل اللسان وأهل اللغة التي نزل عليها القرآن الكريم، فالناس دارسوا الصحابة وأخذوا عنهم، وتلقوا عنهم.

وهؤلاء الصحابة الذين كان الناس يرجعون إليهم ويأخذون عنهم، هم يختلفون في منازلهم، وفي أقدارهم، وفي عنايتهم بتفسير كلام الله عز وجل، ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم ذكر اختلاف الصحابة -رضي الله عنهم- في هذا الشأن، ويشير إلى هذا الأمر الحديث الحسن الصحيح الذي رواه أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أرحمُ أُمَّتي بِأُمَّتي :أبو بكرٍ ، وأَشَدُّهُمْ في أَمْرِ اللهِ : عمرُ ، وأَصْدَقُهُمْ حَياءً : عثمانُ ، وأَقْرَؤُهُمْ لِكتابِ اللهِ : أُبَيُّ بْنُ كعبٍ ، وأَفْرَضُهُمْ : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وأعلمُهُمْ بِالحَلالِ والحَرَامِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، ألا وإِنَّ لِكلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وإِنَّ أَمِينَ هذه الأُمَّةِ : أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ" (سنن الترمذي). فالنبي صلى الله عليه وسلم يشير في هذا الحديث إلى اختلاف منازل الصحابة، وأماكنهم، وأقدارهم، فبعضهم قد برّز في جانب، والآخر يبرّز في جانب آخر، فهذا في الحلال والحرام وهذا في الفرائض، وهذا في القرآن، وفي هذا إشارة إلى اختلاف الصحابة واختلاف أقدارهم، هناك عدد من الصحابة برز شأنهم ومكانتهم في تفسير كلام الله عز وجل.

** المفسرون من الصحابة:

((عدّ السيوطي -رحمه الله- من اشتهر بالتفسير من الصحابة وسماهم وهم:
الخلفاء الراشدون الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-. وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء مثل: أنس ابن مالك، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة، غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جداً ولم يكن لهم من الشهرة بالقول في القرآن ما كان للعشرة المذكورين أولا. كما أن العشرى الذين اشتهروا بالتفسير تفاوتوا قلة وكثرة، فأبو بكر وعمر وعثمان لم يردعنهم في التفسير إلا النذر اليسير، ويرجع السبب في ذلك إلى تقدم وفاتهم واشتغالهم بمهام الخلافة والفتوحات. أما علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فهو أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير، والسبب في ذلك راجع إلى تفرغه عن مهام الخلافة مدة طويلة دامت إلى نهاية خلافة عثمان -رضي الله عنه-.
ولو رتبنا **أكثر الصحابة رواية للتفسير** لكان في مقدمتهم:
عبد الله بن عباس، ثم عبد الله بن مسعود، ثم علي بن أبي طالب، ثم أبي بن كعب -رضي الله تعالى عنهم أجمعين)).
(ملحوظة: هذه الفقرة ليست من كلام المحاضر).

1. علي بن أبي طالب

علي بن أبي طالب كان أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير ، كما جاء في دواوين التفسير، فإذا اطلعنا عليها سنجد أن علي بن أبي طالب كان أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير. يروي أبو الطفيل أنه قال : شهدت عليًا يخطب في الناس وهو يقول: "سلوني عما تشاؤون سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم،

وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل". وقول علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- هذا الكلام، وطلبه من الناس أن يسألوه هو لأمرٌ مشروع؛ لأن مقصد الصحابة -رضي الله عنهم-، وسيأتي معنا روايات أخرى من الصحابة، تدل على أنهم كانوا يخبرون الناس بمنزلتهم في العلم، بمنزلتهم فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن مقصدهم كان أن يبينوا للناس ما أخذوه من علم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما تحمَّلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يبلغوه لهم، مثل ما قال الله عز وجل حاكياً عن يوسف -عليه السلام-: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُفَ: 55].

فإذا كان مقصد الإنسان من بيان العلم الذي يحمله أن يدعو الإنسان إلى أخذ العلم عنه، وإلى تحمله، وإلى إعانته على نقل العلم الذي وصل إليه، كحال الصحابة، فلا بأس بذلك، بل **عبد الله بن مسعود** -رضي الله عنه- وهو من أكثر من روي عنه في التفسير، بل أكثر من علي بن أبي طالب، أخرج عنه ابن جرير الطبري وغيره أنه قال: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه المطايا –يعني الرواحل مثل الإبل وغيرها- لأتيته".

2. عبد الله بن عباس

عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما- هو ترجمان القرآن، وهو حبر الأمة، ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له، فإنه -عليه الصلاة والسلام- دعا له فقال: "اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ"، ولهذا كان **عبد الله بن عباس بإطلاق هو أكثر الصحابة رواية في التفسير**، لا يُشقُ له في ذلك غبار. ولعل مما بلغ به هذه المنزلة العظيمة في تفسير كلام الله عز وجل حتى صار مرجعًا للناس، هو بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم معنا حتى صار مرجعاً للناس بعد وفاة غالب الصحابة -رضي الله عنهم. وقد لقي ابن عباس -رضي الله عنه- الصحابة وعاش بينهم وهو صغير في السن لذلك أخذ عنهم وتلقى عنهم حتى إذا مات الصحابة ولم يبق أحد منهم، لم يبق إلا ابن عباس، فكان مرجعاً للناس لأنه من آخر الصحابة وفاةً، ولهذا تلقى الناس عنه تفسير كلام الله عز وجل.

ومن الطريف هنا أن نذكر حادثة أشار إليها هو -رضي الله عنه- عن نفسه -رضي الله عنه- وتشير إلى نباهته وذكائه على صغر سنه يقول: "إني كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ لأن الصحابة كانوا في وقته موفورون، فكان يأتي ليسأل ثلاثين شخصاً من الصحابة عن مسألة واحدة.

ومن أبلغ الصور الدالة على نباهته وفطنته وذكائه: عن ابن عباس قال: "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار :هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير . فقال: يا عجبا لك يا بن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فترك ذلك ، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب –يعني تعرف أن الريح قد يأتي فيحمل التراب

فيسفه عليه -، فيخرج فيراني فيقول : يا بن عم رسول الله، ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك . قال : فأسأله عن الحديث . قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني".

وكان ابن عباس حين أتاه ذلك الفتى من الأنصار لم يجاوز الخامسة عشر حينها، وهذا سبب تعجب الأنصاري لقول ابن عباس في ذلك الوقت، لكن ابن عباس كان ينظر إلى أبعد من ذلك. كان ينظر إلى أن هؤلاء الصحابة مهما طال بهم الزمن، فلن يعمروا في هذه الدنيا، وهم لن يظلوا صغاراً بل سيكبروا بعد ذلك وسيأتي الناس إليهم وسيرجعون إليهم.

حصّل ابن عباس علمًا عظيماً، صحيح أنه أكثر الصحابة رواية في التفسير لكن غالب أقواله وآرائه ورواياته في التفسير أخذها عن هؤلاء الصحابة الكرام.

قال عنه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: "كان ابن عباس قد فات الناس بخصال؛ بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب، ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى، ولا أثبت رأيا فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوما التأويل ويوما المغازي، ويوما الشعر، ويوما أيام العرب، وما رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما ". يوماً للتأويل: يعني التفسير، ويوماً للمغازي: يعني الأخبار والسِيَر.

ومن طريف الأخبار أيضًا ما يرويه الطبري في تفسيره عن سعيد ابن جبير قال: "قال يهودي بالكوفة -وأنا أتجهز للحج- إني أراك رجلاً تتبع العلم فأخبرني أي الأجلين قضى موسى؟ - في قول الله عز وجل: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [الْقَصَصِ : 28] - قلت لا أعلم، وأنا الآن قادم على حبر العرب -يعني ابن عباس رضي الله عنهما- فسائله عن ذلك، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي، فقال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن النبي إذا وعد لم يخلف - لأن النبي يفعل أطيب الأمور وأكثرها خيرًا، وأعظمها برًا ووفاءً، فإذا خُيِّر بين أن يقضي ثمان سنين أو عشر سنين فسيقضي العشر، تلك أخلاق النبوة -، قال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال: صَدَقَ وما أنزل على موسى صدق، - وهو يحلف بالذي أنزل على موسى، يعني التوراة - والله أعلم". وهذا الفهم استنبطه ابن عباس استنباطًا.

هذا الحرص الشديد من الصحابة على تعلم الناس وعلى تعليم الناس العلم، وعلى بثه وعلى نشره، بل وانتقالهم من المدينة وتفرقهم في الأمصار لتعليم الناس كلام الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم جعلت الحواضر الإسلامية المشهورة كمكة والمدينة والشام والكوفة، جعلت هذه الحواضر الإسلامية عواصم ثقافية زاخرة بالعلم

فيها حركة علمية ضخمة في تلك المدن يفد إليها الطلاب من كل مكان وتعقد فيها حلقات العلم وجلساته، ومن أشهر تلك الحواضر الإسلامية والمدن التي كانت مركزًا علميًا يفد إليه الناس لتعلم العلم وأخذه وتلقيه، مكة، لا سيما في التفسير. فمكة كانت من أشهر تلك الحواضر، وسبب ذلك هو وجود ابن عباس -رضي الله عنهما- في مكة، فكان على رأس تلك المدرسة، أو بعبارة أدق كان هو المعلم الأول في مكة المكرمة، يأخذ الناس عنه العلم ويتلقونه عنه. ولهذا قال ابن تيمية فيما قال أن أعلم الناس بالتفسير أهل مكة وسبب ذلك وجود ابن عباس -رضي الله عنه- فيها.

وقد اشتهر طلابه الذين أخذوا عنه وتلقوا العلم منه بالتفسير أيضًا فكانوا مقدمين وبارزين فيه؛ مثل: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، مولى ابن عباس وطاووس بن كيسان، وعطاء، هؤلاء أخذوا العلم عن ابن عباس وهم أيضًا كانوا من أشهر السلف عناية بالتفسير، وأكثر هؤلاء التابعين عناية بالتفسير **مجاهد**، ومجاهد -رضي الله عنه- ورحمه هو أشهر من يُروى عنه التفسير من التابعين، له قرابة ستة الآلاف رواية في التفسير، فيمكن أن نقول أن مجاهد أكثر من له روايات في التفسير بإطلاق من الصحابة والتابعين، هذا في مكة.

3. أُبَيّ ابن كعب

في المدينة، وهي من الحواضر الإسلامية وعواصمه الكبيرة، كان هناك عدد من الصحابة الذين لم يخرجوا منها وإنما بقوا فيها، من أشهرهم **أُبَيّ ابن كعب**، وأبي بن كعب له مكانته ويكفي في ذلك ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب حينما قال: "استَقْرِؤا القرآنَ من أربعةٍ :من ابنِ مسعودٍ ، وسالمٍ ، مولى أبي حذيفةَ ، وأُبيِّ بنِ كعبٍ ، ومعاذِ بنِ جبلٍ"، والحديث في صحيح مسلم، فهذه وصية النبي صلى الله عليه وسلم وهي شهادة لهؤلاء الأربعة ومنهم أبي بن كعب.

وقد مرَّ معنا قبل قليل حديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر فضائل الصحابة ومكانتهم وأبرز ما عُرفوا به، فهو يقول مثلاً: "أرحمُ أُمَّتي بِأُمَّتي :أبو بكرٍ ، وأَشَدُّهُمْ في أَمْرِ اللهِ : عمرُ ، وأَصْدَقُهُمْ حَياءً : عثمانُ ، وأَقْرَؤُهُمْ لِكتابِ اللهِ : أُبَيُّ بْنُ كعبٍ ، وأَفْرَضُهُمْ : زَيْدُ بْنُ ثَابتٍ ، وأعلمُهُمْ بِالحَلالِ والحَرَامِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، ألا وإِنَّ لِكلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وإِنَّ أَمِينَ هذه الأُمَّةِ : أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ"، فأعطى لأبي ابن كعب هذه المزية عن سائر الصحابة؛ بل أشدُّ من ذلك وأعجب ما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- :

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأُبَيّ: " إن اللهَ أمرني أن أقرأَ عليكَ القرآنَ". قال أبي: آلله سمّانِي لكَ؟ قال: " الله سمّاكَ لِي" . فجعل أُبَيّ يبكِي. قال قتادة : فأُنبئتُ أنه قرأَ عليه ﴿لَمْ يَكُنِ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾.. الحديث. وهذا لا شك من المنزلة العظيمة لأبي بن كعب، وأن الله عز وجل بذاته العلية يسميه خصوصاً.

في رواية أخرى عند الإمام أحمد أنه قيل لأبي: يا أبا المنذر! أفرحت بذلك؟ يعني فرحت بأن الله سمَّاك؟ قال: وما يمنعني، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. يقول: ما الذي يمنعني من الفرح وهذا أعظم ما يفرح به الإنسان.

أهل المدينة أخذوا التفسير وتلقوه عن أبي ابن كعب منهم ومن أشهرهم زيد ابن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرضي.

4. عبد الله بن مسعود

من المدن الإسلامية المشهورة التي كانت منارة علم: الكوفة، فقد كان فيها ابن مسعود -رضي الله عنه-، وهو من هو، صاحب المنزلة والمكانة العالية، وهو القائل: "والذي لا إله غيره، ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيمن نزلت، ولو أعلم أحداً أعلمُ مني بكتاب الله عز وجل تبلغه المطايا لأتيته".

وهو الذي أخذ من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، كما جاء في صحيح البخاري، يقول عبد الله بن مسعود: "والله لقد أخذتُ من فِي رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، والله لقد علمَ أصحابُ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أني مِن أعْلَمِهِم بكِتابِ اللَّهِ وما أنا بخَيْرِهِم".

وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم شهادة عظيمة فقال: "من أحبَّ أن يقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنزلَ فليقرأْه على قراءةِ ابنِ أمِّ عبدٍ". يعني غضاً طرياً كأنه نزل الآن، وهذه شهادة عظيمة لابن مسعود. وفي الحديث الذي مرَّ معنا قبل قليل حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: "استَقْرِؤا القرآنَ من أربعةٍ :من ابنِ مسعودٍ ، وسالمٍ ، مولى أبي حذيفةَ ، وأُبيِّ بنِ كعبٍ ، ومعاذِ بنِ جبلٍ".

يروي أبو نعيم في الحلية عن أبي البحتري قال: قالوا لعلي بن أبي طالب: أخبرنا عن ابن مسعود، قال: "عَلِمَ القرآن والسنة، ثم انتهى وكفى بذلك علما". يعني وقف عندهما فلم يجاوزهما.

ويقول عنه عقبة بن عمرو : "ما أرى رجلًا أعلمَ بما أنزلَ اللَّهُ على محمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ من عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، فقالَ أبو موسَى: إن تقل ذلِكَ ، فإنَّهُ كانَ يَسمعُ حينَ لا نَسمعُ ، ويدخلُ حينَ لا نَدخُلُ". يعني كان يتفرّغ للعلم وطلبه وتلقيه.

تبوُّء ابن مسعود لهذه المنزلة العالية جعلت الناس خاصة أهل العراق يرجعون إليه ويأخذون عنه، وأول مبدأ ذلك أن عمر -رضي الله عنه- كان من أعرف الناس بالرجال، لما أرسل عمار بن ياسر على الكوفة أميراً عليها، أرسل معه عبد الله بن مسعود معلمًا ووزيراً، فتفرغ لتعليم الناس علم الشريعة، وفي مقدم ذلك التفسير، ولهذا أخذ عنه كثير من أهل العراق منهم: علقمة ابن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومُرَّة الهمداني، والحسن البصري، وقتادة ابن دعامة السدوسي.

هؤلاء الذين ذكرناهم من الصحابة حقيقةً هم غالب من نُقِل عنهم التفسير، وكذلك من أخذوا عنهم من التابعين مثل: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة (مولى ابن عباس)، وطاوس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح، وعلقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، والحسن البصري، وغيرهم. فأكثر المروي في التفسير مما نجده الآن في كتب التفسير مأخوذ عن هؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم من الصحابة ومن تبعهم من التابعين، وإذا تأملت كل هذا التفسير الذي بين أيدينا في أصله وأصل بنائه لا يخرج عن هذا المروي عن الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين-.

نكمل في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى،
هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أختان في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: في إعادة صياغة بعض فقرات هذه المحاضرة، ولإلقاء مزيد من الضوء حول المفسرون من الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- تم الاستعانة بكتاب التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، الجزء الأول.

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة السادسة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد. فأرحب بكم في هذه المحاضرة السادسة من محاضرات تاريخ التفسير والذي يقدم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول.

تكلمنا في المحاضرة الماضية عن التفسير في عصر الصحابة والتابعين وأشرنا إلى أبرز المفسرين من الصحابة والتابعين، وختمنا الكلام بإشارة مهمة، وأعيد التأكيد عليها في بدء هذه المحاضرة، وهي أن من ذكرناهم من الصحابة والتابعين عليهم قام بناء علم التفسير، وكل دواوين أهل الإسلام في التفسير المتداولة بيننا اليوم هي في أصلها قائمة على هذا الذي أخذ عن الصحابة والتابعين، على من سمينا من الصحابة والتابعين، ولا يكاد يخرج عنه، وأعني بذلك المعاني الأولية للآيات الكريمة، دع عنك تشقيق الكلام والتوسع في المباحث والاستطرادات الفقهية والبلاغية واللغوية والاستنباطات والاستنتاجات، إنما أقصد أصل معنى الكلمة.. أصل معنى الآية، المعنى الأصلي المقصود من الآية في غالبه، في جلِّه، في معظمه لا يخرج عن هذا، وتصوُرنا لهذه الحقيقة يجعلنا نقف على أهمية هذه المرحلة وعلى مكانتها وعلى ميزتها.

✓ كيف نستطيع الوصول إلى تفاسير الصحابة والتابعين، وما مصادرها؟

- إذا كان هذا التفسير المروي عن الصحابة والتابعين بهذه المنزلة فكيف نستطيع أن نصل إليه وأن نقف عليه؟ **لا يوجد طريقة للوقوف على تفسير الصحابة والتابعين إلا بالرواية.** ليس هناك طريقة أخرى نستطيع أن نقف على تفسير الصحابة والتابعين من خلالها إلا الرواية، الروايات التي تروي عن الصحابة وتروي عن التابعين، هذه الروايات التي حفظت لنا أقوال الصحابة والتابعين وآرائهم ورواياتهم.
- يمكن أن نصل إلى أقوال الصحابة عن طريق روايات التابعين، فإن كثير من علم التابعين مأخوذ عن الصحابة. وسواء هذه الروايات منقولة عن الصحابة أو عن التابعين، سنجد أنها مذكورة في دواوين أهل الإسلام التي حفظت لنا آثار الصحابة والتابعين، وهي متنوعة. من أعظم تلك الدواوين: **تفسير الطبري، وتفسير الصنعاني، ومصنف عبد الرزاق، والدر المنثور، وتفسير ابن أبي حاتم**. كتب المفسرين فيها كثير من الروايات المروية عن الصحابة والتابعين، فنجد كثيرًا من المفسرين يقول: قال ابن مسعود.. ، قال ابن عباس..، قال علي بن أبي طالب..، قال أبي بن كعب..، قال أبو هريرة..، فيذكر أقوالًا ورواياتٍ ويقول: هذا قول مجاهد.. وهذا قول عكرمة.. وهذا قول طاووس.. وهذا قول قتادة..

- فكثيرٌ من كتب التفسير تعتني بالمروي عن الصحابة والتابعين، وهم يختلفون في ذلك، كتب التفسير تختلف، هناك من يعتني عنايةً كبيرةً حتى يذكر الرواية عن الصحابة والتابعين مسندةً، وبعضهم قد يذكرها غير مسندةٍ، وبعضهم قد يذكر القول ولا يشير إلى أن هذا قول ابن عباس أو قول فلان، وإن كان لا يخرج عن أقوالهم ، وهذا كثيرًا ما يقع عند المفسرين، فيقول: اختلف أهل العلم في معنى هذه على قولين أو على ثلاثة أقوال، ويذكر القول دون أن يشير إلى من قال به من الصحابة والتابعين.
- وهناك كتب لا تتعلق بالتفسير؛ لكنها حفظت لنا كثيرًا من أقوال الصحابة والتابعين في التفسير مثل **كتب التراجم، وكتب الطبقات، وكتب الفقه والأحكام**، فتجد فيها كثيرًا من الأقوال والروايات عن الصحابة والتابعين في تفسير كلام الله عز وجل.

✓ **ما الذي يميز التفسير في عصر الصحابة والتابعين عن غيره من العصور التي جاءت بعده؟**

هناك عدد من **السمات والمميزات** التي يجدر التنبيه عليها وهي في غاية الأهمية، وهي:

1. **أن العلم كان في تلك المرحلة كان يؤخذ بطريق الرواية والمشافهة**

هذه هي أول سمة وميزة للتفسير في عصر الصحابة والتابعين: يؤخذ العلم ويُتَلقى ويتناقل بين الناس عن طريق الرواية والمشافهة، لأن العرب كانوا في أصلهم أمة أمية كما قال عليه الصلاة والسلام، لا تقرأ ولا تكتب، فليست أمة كتابة حتى تكتب العلم، وإنما تتلقى العلم وترويه عن طريق الرواية والمشافهة دون الكتابة، فكانت الرواية والمشافهة هي وسيلة نقل العلوم، كل العلوم كانت تتناقل بالرواية والمشافهة ومنها علم التفسير، وهذا ليس خاصًا بالتفسير أو علم آخر من علوم الشريعة، بل كل العلوم، بل حتى العلوم التي ليست من علوم الشريعة، مثل الأخبار والسير، بل حتى الطرائف وأخبار الناس وقصصهم والحوادث، كلها كانت تُنقل بطريق الرواية والمشافهة، حتى الطرائف كانت تُروى بالإسناد بطريق الرواية والمشافهة، فلم يكن خاصًا بالتفسير أو غيره من العلوم، كل العلوم كانت على هذا النحو، الأداة لنقل العلم بين الناس في ذلك الوقت كانت الرواية، يعني، يتلقى العلم بإسناد، حدثني فلان عن فلان عن فلان، والمشافهة دون الكتابة.

هل هذا يعني أنه لم يكن هناك كتابة أبدًا؟ لا، كان موجودٌ هناك كتابةٌ، لكنها لم تكن هي السمة الغالبة، وعندنا الصحيفة الصادقة التي كتبها عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولكن تلك الكتابات كانت قليلةً جدًا، وتلك الصحف كانت قليلةً جدًا.

2. **العناية بالأسانيد**

ويراد بها سلسلة الإسناد، وهم الرواة الذين رووا الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة، أو عن التابعين، أو حتى عن من جاء بعدهم من أتباع التابعين، وكما تقدم معنا قبل قليل، كل العلوم الشرعية

وغير الشرعية من الأخبار والقصص والروايات والحوادث التي تحصل، حتى أخبار الفكاهة والحمقى والمجانين كلها كانت تُروى بطريق الإسناد، فهي تُسند إلى قائلها، سواء كان قائلها هو النبي صلى الله عليه وسلم، أو كان أحد الصحابة، أو كان أحد التابعين، أو حتى أتباع التابعين، وهذه سمة مهمة وبارزة في التفسير في تلك المرحلة، أنه كان مسندًا. وسيتم إن شاء الله التعليق عليها أكثر من ذلك حينما نتكلم عن المرحلة التالية لها وهي مرحلة التدوين، وهل علم التفسير كان علمًا مرتبطًا بغيره من العلوم ثم استقل عنها أم لا، سنتكلم عن هذا إن شاء الله في مرحلة التدوين، وهي المرحلة التي تأتي بعد هذه المرحلة.

3. أن تفسير كلام الله عز وجل لم ينقل إلينا كاملًا

لا يوجد لدينا تفسيرٌ كاملٌ للقرآن الكريم منقولٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين، والحقيقة فإن هذه السمة أو الخصيصة تشمل عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة وأول عصر التابعين، فهؤلاء لم ينقل عنهم تفسيرٌ كاملٌ للقرآن الكريم، وإنما ظهر بعد ذلك، وسيأتي الكلام إن شاء الله عن هذا في عصر تدوين العلوم.

لماذا لم ينقل إلينا تفسيرٌ كاملٌ للقرآن الكريم؟ لأنه لم يكن هناك حاجة تدعو إلى ذلك، فالصحابة والتابعون كانوا عربًا أقحاح يفهمون الكلام بمجرد سماعه، فهم يفهمون القرآن الكريم بمجرد أن يسمعوه، وغالب القرآن الكريم على هذا النحو.. يفهمه الإنسان بلغته، وإنما يحتاجون إلى بعض المواضع التي قد يكون فيها إشكال أو إبهام أو يجهل سبب نزولها أو يكون فيها ناسخ ومنسوخ، أو يحتاج إلى تعيين مبهم ونحو ذلك، فتأتي الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين.

4. أن أكثر المنقول من التفسير في هذه المرحلة (مرحلة النشأة) يتميز ببيان مفردات ألفاظ القرآن وغريبه

وفيه إشارة إلى أسباب النزول، أو الناسخ والمنسوخ، أو تعيين المبهم، أو بيان قصة، أو بيان بعض الأحكام، فمدار التفسير في هذه المرحلة كلِّه على ما يتعلق بفهم المعنى دون التوسع في المباحث المرتبطة بالمعنى؛ كالتوسع في الأحكام والتوسع في الاستنباط والتوسع في مسائل اللغة، هذه لم تكن محل العناية في تلك المرحلة، بل ميزة هذه المرحلة أنه يقتصر على الفهم الأولي والمعاني الأولية لكلام الله عز وجل، إما بيان غريب لفظة، أو بيان سبب نزولها، أو كان فيها ناسخ ومنسوخ، أو إن كان فيها مبهم فيُعَيَّن، أو مطلق فيُقَيَّد، أو مجمل فيُعَيَّن، أو عام فيخص، ونحو ذلك.

5. عدم التكلف والتعمق في التفسير

وهذه لها ارتباط بالسمة السابقة لها، فقد كان من ميزة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجهم من التابعين أنهم أقل الناس تكلفًا وتعمقًا وخوضًا في مسائل الجدل والكلام وتشقيق الكلام وتوسيعه،

ذلك النوع من التشقيق في الكلام والتوسع الذي لا يورث عملًا فقط مجرد الكلام لذات الكلام دون أن يورث عملًا، بل كان همهم رضي الله عنهم، ومن سار على نهجهم، العمل بما علموا، ولهذا قل الكلام المنقول عنهم، وفي المقابل كثر عملهم. ولا نقصد بهذا أن الصحابة ما كانوا دقيقين في الفهم ولا عميقين فيه، أبدًا؛ بل ما نقل عنهم يحتوي أدق المعاني وأعمقها، وإنما المقصود أنهم ما كانوا يتوسعون في الكلام عن المعاني التي لا تورث عملًا، وهذا يقودنا إلى سمةٍ سادسةٍ من سمات مرحلة النشأة والظهور وهي:

6. أن التفسير في تلك المرحلة كان يتميز بإتباع العلمِ العملَ

كانوا يتعلمون المعاني من أجل أن يعملوا بها، ليس فقط من أجل التعلم والعلم لذاته بل من أجل العمل به، وهذه ميزةٌ كبيرةٌ جدًا في منهج الصحابة رضي الله عنهم خصوصًا، ومن سار على طريقتهم من التابعين، كانوا يجمعون بين العلم والعمل في ذات الوقت، فيتعلم المعنى ويعمل به في ذات الوقت، وقد ذكر في الأثر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: "إِنَّمَا أَخَذْنَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِالْأُخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَمَلِ، قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا، (وفي رواية: كنا إذا تعلمنا العشر من القرآن لم نتعلم العشرالتي بعدها حتى نتعلم حلالها وحرامها وأمرها ونهيها)، وَإِنَّهُ سَيَرِثُ الْقُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَشْرَبُونَهُ شُرْبَ الْمَاءِ لَا يُجَاوِزُ هَذَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَنَكِهِ" ، الجمع بين تعلم القرآن تلاوةً،وفهم معناه والعمل به. وهذه هي الطريقة التي كان يسير عليها الصحابة، وهي الطريقة التي جعلت هذا التأثير للقرآن فيهم على هذا النحو حتى انعكس على واقعهم وسلوكهم وحتى أثَّروا في العالم، فكانوا قادة الناس في نحو 25 سنة، وهي مدة قصيرة جدًا في تاريخ البشرية بسبب هذا المنهج.. تعلم العلم من أجل العمل به. ويقول ابن مسعود رضي الله عنه أيضًا: "كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ ." رواه الطبري.

7. قلة الاختلاف في هذه المرحلة

هذه من السمات المهمة أيضًا، يعني يكاد يكون الخلاف نادرا جدا، الخلاف الذي نعنيه هو خلاف التضاد، القول الذي يعارضه القول الآخر، يعني هذا يقول حلال وهذا يقول حرام، هذا يقول ليل وهذا يقول نهار، هذا الخلاف والقول المتعارض يكاد يكون نادرًا جدًا خصوصًا في عصر الصحابة، قليل وجوده، فقد **كان أكثر الخلاف المنقول عنهم هو خلاف تنوع لا خلاف تضاد، وهذا يرجع لأسباب كثيرة من أهمها:**

- سلامة النية، فقد كانوا أهل القرون المفضلة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ...) الحديث.
- عدم ظهور أهل البدع والأهواء بينهم، فلم تنشأ الفرق الكلامية والمذاهب البدعية. وهذا جعل الخلاف المنقول عنهم قليلًا جدًا بل نادرًا أن يوجد، وأعني بذلك خلاف التعارض، لكن خلاف التنوع قد يقع بينهم كثيرًا.

هذه باختصار أبرز سمات مرحلة النشأة والظهور، وهي تشمل عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وذكرنا فيها سبعًا من المميزات، نلخصها:

1- أن العلم كان يتناقل بطريق المشافهة.
2- أنه كان مسندًا.
3- أن تفسير القرآن الكريم لم يكن كاملًا في تلك المرحلة.
4- أن غالب ما يُروى عن السلف في تلك المرحلة هو لبيان المعنى الأصلي الأولي الابتدائي للآية الكريمة.
5- عدم التكلف والتعمق.
6- إتباع العلمِ العملَ.
7- قلة الاختلاف في هذه المرحلة.

لعلنا إن شاء الله في المحاضرة القادمة نتكلم عن قيمة التفسير المروي في هذه المرحلة، مرحلة النشأة والظهور.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **ولاء**
قام بالمراجعة الأولى: **أحمد عبد الرحمن**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة السابعة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة السابعة من محاضرات مقرر تاريخ التفسير الذي يقدم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول. كنا في المحاضرة الماضية أشرنا إلى أبرز السمات والخصائص التي تميز مرحلة نشأة وظهور تاريخ التفسير بما تشمله هذه المرحلة من عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وعصر الصحابة وعصر التابعين.

اليوم إن شاء الله سيكون حديثنا عن عدد من الموضوعات بالغة الأهمية، ولعلنا نبدأها بالكلام **عن قيمة المروي من التفسير في مرحلة النشأة والظهور**، والتي تشمل عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وعصر الصحابة -رضي الله عنهم-، وعصر التابعين -رحمهم الله.

✓ قيمة المروي من التفسير في مرحلة النشأة والظهور

لبيان قيمة المروي من التفسير في هذه المرحلة، هناك كلامٌ مجمل، وآخر مفصل:

أما **الكلام المجمل**، فالمقصود به هو أن التفسير في هذه المرحلة التي تشمل عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وعصر الصحابة والتابعين هو أساس التفسير وأوضحه وأصحه، ويجب تقديمه على كل التفسير الذي جاء في كل المراحل التي بعده، هذا من حيث الاجمال، وهذه قاعدة عامة.

إذن، مجمل القول هو أن التفسير المروي في مرحلة النشأة والظهور سواء كان عن النبي أو الصحابة أو التابعين هو أساس التفسير، وهو أصله، وبناء علم التفسير كله عليه، نستطيع أن نقول جازمين واثقين أن أصل علم التفسير وأصل بناء كتبه كلها مأخوذ عن هذه المرحلة، مرحلة النَّشأة والظهور، سواء كان عن النبي أو عن الصحابة أو عن التابعين، لا يكاد يخرج في أصله عن المروي عنهم، فهم أساس التفسير، وهذا بحمد الله ما وعاه أئمة التفسير، ولذلك لا يخرج أي تفسير في أساسه وأصله عن هذا المروي عنهم.

وأما التوسع في المعاني وفي المباحث اللغوية وتشقيق الكلام فيها، وفي الأحكام والتفصيل فيها، وفي الاستنباطات والمعاني والتجليات والفتوحات - وهي كثيرة - فقد ظهر بعد ذلك، وبه تضخمت التفاسير وكبرت وأصبحت مجلدات بسبب هذا، مع الأخذ في الاعتبار أن المعاني الإبتدائية الأولية المتعلقة ببيان غريب الالفاظ، أو الناسخ والمنسوخ، أو تقييد المطلق، أو تعيين المبهم، أو بيان المجمل، أو تخصيص العام، أو بيان أسباب النزول وغريب الألفاظ، كل هذا مأخوذ في أساسه عن هذه المرحلة، مرحلة النشأة والظهور، ولذلك هي مرحلة غاية في الأهمية، هذا من حيث العموم في حكم التفسير.

وأما **الكلام المفصل**، فالمقصود به هو أن هناك تفصيل في القاعدة العامة سالفة الذكر، وتفصيل هذه القاعدة هو أن المروي في هذه المرحلة، مرحلة النشأة والظهور، يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: التفسير النبوي، وتفسير الصحابة، وتفسير التابعين.

1. **المروي عن النبي** صلى الله عليه وسلم في معنى الآية فذلك هو التفسير الذي لا يجوز بإطلاقٍ الخروج عنه ولا مخالفته ولا معارضته، فالمروي عن النبي صلى الله عليه وسلم له حكم، وهو: أنه يقدم بإطلاق ولا يلتفت لقول غيره، إذا كان هناك نصاً عن النبي في معنى الآية، فلا يلتفت لاجتهاد المفسرين القابل للصواب أو الخطأ، بمعنى:
   - إذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون، فهذا هو التفسير.
   - إذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: أن الفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته، فهذا هو التفسير.
   - إذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:82]، بأن المقصود به الشرك، فذلك هو التفسير، لا يجوز لأحد أن يخالفه ولا أن يخرج عنه بإطلاق، وهو - النص الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى الآية - القول الأول في التفسير وهو الذي يقدَّمُ على كل شيء، لا يجوز مخالفته ولا تقديم تفسير آخر عليه شيء، سواء كان من اجتهاد المفسر من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من المفسرين، بأن يفسر الآية بحديث ورد عن النبي فالذي ربط بين الآية والحديث هو المفسر وليس النبي صلى الله عليه وسلم،

   فالتفسير النبوي هو النص الصريح الذي جاء يبين معنى الآية، أما الربط بين آية من القرآن وحديث للنبي صلى الله عليه وسلم لبيان معناها فهو اجتهاد من المفسر.
2. **المروي عن الصحابة:** يأتي تفسير الصحابة رضي الله عنهم في المرتبة الثانية بعد المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وله حكمه الخاص، وتفصيل أحكامه مما ليس هذه محله.
3. **المروي عن التابعين:** يأتي تفسير التابعي في المرتبة الثالثة بعد المروي عن النبي وعن الصحابة، والمروي عن التابعي له أيضاً حكمه الخاص، وتفصيل أحكامه مما ليس هذا محله.

خلاصة القول في مسألة حكم المروي عن الصحابة والتابعين هو أن فيه تفصيل في هل يقبل أو لا يقبل، ومتى يقبل وما هو الذي يقبل منه، هذا فيه تفصيل، وهذا المقرر الذي ندرسه الآن ليس محل هذا التفصيل، ولعلكم إن شاء الله تدرسون ذلك في مقرر أصول التفسير، لكن ما يهمنا ذكره في هذا المقرر هو أن تفسير الصحابة والتابعين في الجملة وفي الأصل يُقَدَّم على من جاء بعدهم من المفسرين.

✓ لماذا يتم تقديم تفسير الصحابة والتابعين على من جاء بعدهم؟

لعدد من الأسباب، أهمها:

1. أنهم شاهدوا تنزيل الآيات أو أخذوا عمن شاهد تنزيل الآيات، وهذه ميزة لا يشاركهم فيها أحد، ما في أحد يشارك الصحابة في ميزة أن الآيات نزلت عليهم، وشاهدوها وهي تنزل وشاهدوا الأسباب المقترنة بنزولها، والأحوال المحيطة بذلك النزول، لا يوجد أحد بهذه الميزة إلا الصحابة، ولا يوجد بميزة من أخذ عمن شاهد التنزيل إلا التابعين، وهذه ميزة كبيرة جدا للصحابة والتابعين، تجعل قولهم مقدماً على قول من جاء بعدهم.
2. أنهم صحبوا النبي أو شاهدوا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم فأما الذين صحبوا النبي فهم الصحابة وهذه ميزة لا توجد لغيرهم، فهم قد صحبوا من نزل عليه الوحي -الصحابة- أو أنهم - التابعين -تبعوا ولقوا من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة، فهم داخلون في الخيرية التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: (خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) وهذا تفضيل لهذه القرون الثلاث.
3. نزول القرآن بلغتهم: وهي سمة خاصة بهم لا يشاركهم فيها غيرهم، أن القرآن نزل بلغتهم هم، وعلى مجاري كلامهم وأساليبهم وطرائقهم، فهم أهل اللسان واللغة .ولا شك أن صاحب اللغة واللسان أولى أن يقبل قوله من غيره، لأن هذه لغته وهذا لسانه الذي يتكلم به، فكيف ندع فهم الصحابة والتابعين لمعاني الآيات ونأخذ بأقوال من جاء بعدهم، ممن قد يكون أصله أعجمي وممن يكون لو تكلم للحن في كلامه ولم يعرف قوله.
4. قلة الاختلاف وقلة الأهواء: أيضا من سمات الصحابة والتابعين التي جعلت لتفسيرهم هذه الميزة بينهم هو أنه لم تظهر الفرق ولم تظهر البدع ولم يظهر الابتداع في عصر الصحابة مطلقا، ولا في أول عصر التابعين وإن ظهرت فهي قليلة جدا ولم تأخذ حجمها الذي أخذته بعد ذلك حينما توسعت تلك الفرق وانتشرت وظهرت وظهر أثرها الفكري والمنهجي في العلوم الشرعية.
5. سلامة نياتهم ومقصدهم: وهي من السمات التي تميز الصحابة والتابعين فهم أسلم الناس قلوبا، وأبرهم عملا، وأقلهم تكلفا، يكفي في ذلك شهادة الله عز وجل لصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الْفَتْحِ : 18]، وشهادة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالخيرية حيث يقول: (خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ...) الحديث.

هذه الخصائص الخمس لا توجد لأحد ممن جاء بعدهم أبدا، وواحد من هذه الخصائص الخمسة كافية في تقديم قولهم على قول من جاء بعدهم كيف وقد اجتمعت هذه الخمس فيهم وعندئذ كيف يصح في العقل وفي المنطق العلمي أن يترك قولهم وأن يقدم قول من جاء بعدهم على قولهم.

✔ قد يقول قائل: إذا كانت قيمة التفسير المروي عن الصحابة والتابعين وأهميته في هذه المنزلة العظيمة التي أشرت إليها، كيف نفهم هذا الكلام حينما نجد بعض الآراء أو الأقوال تحكم على **التفسير المأثور** والمنقول من روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين بالضعف، وأنها لم يصح منها شيء؟

((ما هو التفسير المأثور؟

يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة -رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.[1]

التفسير المأثور يشمل ما كان تفسيرا للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيرا للقرآن بالسنة، وما كان تفسيرا للقرآن بالموقوف على الصحابة أو المروي عن التابعين.[2]))

الناس- وخصوصا المعاصرين- في مسألة التفسير المأثور عن النبي والصحابة والتابعين وأتباع التابعين، في مسألة قبوله ورده والحكم بضعفه أو عدم ذلك، منقسمون بين إفراط وتفريط، بين مبالغة في رده وبين مبالغة في قبوله وتقديسه، لدرجة أن لا يقبلوا أي نقد أو أي نظر في ذلك المروي عنه:

- **فريق يرده مطلقا**: فهناك عند بعض المعاصرين من يردُّ ما يُروى عن السلف، وقد استقر في خلدهم أن غالب هذه الروايات عن السلف في معاني الآية أنها ضعيفة، وأن الأصل فيها الضعف، وأنه لا يلتفت لها إذ خالطتها الإسرائيليات، وخالطها الدخيل والموضوع والمكذوبات وما لا يقبله العقل، وينسج على هذا نسجاً طويلاً عريضاً، حتى زهد هو في التفسير المروي عن السلف وأراد أن يزهد الناس عنه.
- **وفريق يقبله مطلقا**: بدون تمحيص مادام مروياً عن السلف، فإذا قيل: هذا قول ابن عباس، يقبله، أو قيل: هذا قول ابن مسعود، يقبله دون أن يمحص في هذا القول أو أن ينظر فيه، وربما يَذكُرُ القولَ عن الصحابي أو عن التابعي ونقيضِهِ، فيروي عن ابن عباس قولا أولياً، ثم يروي عنه قولاً آخر على النقيض من هذا القول.

وهذا الحال، سواء كان قبولاً أو رداً لا يخرج في حقيقته عن كونه إفراطا أو تفريطا، إفراطا في القبول، أو تفريطاً في الرد، ولهذا سنذكر بعض النقاط المتعلقة بضعف التفسير بالمأثور لتوضيح هذه الصورة وإلقاء مزيد من الضوء عليها.

[1] د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 112.
[2] د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 114.

تناول الكثير من العلماء بالتحليل والتعقيب المقولة المشهورة للإمام أحمد -رحمه الله- : "ثلاث علوم ليس لها أصول؛ المغازي والملاحم والتفسير"، والتي قد يفهم من ظاهرها أن كل المغازي لا أصل لها، وأن كل الملاحم لا أصل لها وأن كل التفسير لا أصل له بإطلاقٍ، ولكننا نجد أن أهل العلم الحاذقين الذين تناقلوا ورووا هذه المقولة لم يفهم منهم أحد هذا الاطلاق الذي قد يتبادر الى الذهن، ولننقل بعض أقوالهم:

- أشهر من نقل هذه المقولة عن الإمام أحمد، هو الإمام الخطيب البغدادي، وجهها توجيهًا خاصًا فقال رحمه الله: (وهذا الكلام محمول على وجه: وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها ولا موثوق بصحتها لسوء أحوال مصنفيها وعدم عدالة ناقليها وزيادات القصاص فيها. فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من وجوه مرضية وطرق واضحة جلية . وأما الكتب المصنفة في تفسير القرآن فمن أشهرها كتابا الكلبي و مقاتل بن سليمان)، فالخطيب البغدادي الناقل لهذه الرواية عن الإمام أحمد يشرح هذه المقولة بأنه لا يمكن أن تُفهم إطلاقها؛ بل أن مقصود الإمام أحمد يُحمل على وجه خاص من الاحتمالات التي وجه بها كلام الإمام أحمد، وأنه أراد كتباً خاصة في الملاحم والمغازي والتفسير مبنية على الضعف وعلى سوء حال مؤلفيها أو نقلتها. هذه طريقة في توجيه كلام الإمام أحمد.

- ابن تيمية أيضا له طريقة أخرى في توجيه كلام الإمام أحمد ذكره في مقدمته المشهورة في التفسير: ***مقدمة في أصول التفسير***، فلما ذكر هذه المقولة للإمام أحمد علق عليها بقوله: (قال الإمام أحمد: ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير والملاحم والمغازي، ويروى ليس لها أصل أي إسناد؛ لأن الغالب عليها المراسيل)، يعني الغالب على المغازي والملاحم والتفسير المراسيل، ما معنى المراسيل؛ المرسل هو ما رفعه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون ذكر الواسطة - وهو الصحابي - فيسمى ذلك مرسلا، فهي لا تصح مرفوعة إلى النبي، وإنما موقوفة على من رويت عنه من التابعين. وهذا في الحقيقة توجيه حسن من الإمام ابن تيمية، لأن هناك كثير جدا من المراسيل الموقوفة على التابعين مما صح إسنادها عنهم، لا يصح رفعها إلى النبي لكن إسنادها -ثابت-عنهم، ولا ينازع أحد في ثبوتها عن التابعين.

نكمل إن شاء الله الكلام عن هذه المسألة في المحاضرة القادمة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله**

قام بالمراجعة الأولى: **خلدون الأتاسي**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثامنة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الثامنة من محاضرات مقرر تاريخ التفسير الذي يقدم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول.

- بدأنا الكلام في المحاضرة الماضية عن مسألة في غاية الأهمية، وهي مسألة يكثر الكلام عنها في العصر الحاضر، وهي مسألة **ما ينسب إلى التفسير المأثور عن السلف من الضعف**.
- وأشرنا إلى أن الناس في هذه المسألة بين طرفي نقيض، بين من يبالغ في الرد ووصم التفسير المأثور عن السلف بالضعف، وأنه يغلب عليه الخرافات والوضع والكذب وأقوال الزنادقة والإسرائيليات، وبين من يبالغ أيضًا في القبول وعدم التحري، ويتساهل في المروي عنهم.
- وأشرنا أيضًا إلى مقولة الإمام أحمد المشهورة: "ثلاث علوم ليس لها أصول؛ المغازي والملاحم والتفسير"، وتكلمنا عن توجيه أهل العلم لها، وأن ما من أحدٍ من أهل العلم الذين نقلوا هذه الرواية قال بما تدل عليه أو بما يُفهم من إطلاقها، وهي أن المغازي والملاحم والتفسير لا أصل لها، ما أحد من أهل العلم قال بهذا.
- كما ذكرنا مقولة الخطيب البغدادي في توجيه مقولة الإمام أحمد، وهو قد روى هذه المقولة عن الإمام أحمد، وأنه يرى أن ذلك يخص كتبًا بعينها، إما غير معتمدة لا يوثق بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، أو عدم عدالة ناقليها.
- وأشرنا أيضًا إلى طريقة الإمام ابن تيمية في توجيهها، حيث يقول: إن مقولة ذلك يعني أن المرفوع منها إلى النبي صلى الله عليه وسلم قليل غالبه لا يصح، وإن صحت مرسلةً، أي وإن كانت صحيحة فمرسلة، وهذه لا ينازع فيه أحد، فإن الصحيح الموقوف على التابعين أو على الصحابة كثير جدًا في التفسير لا يشكك فيه ولا ينازع فيه أحد.
- وقلنا بأن بعض الباحثين المعاصرين يرى أن مقولة الإمام أحمد المشهورة، محمولة على تساهل بعض المفسرين في نقل روايات التفسير.
- واليوم بإذن الله تعالى، نكمل حديثنا في هذا الموضوع، موضوع **الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه**.

✓ الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه

((بعد أن قمنا في المحاضرة السابقة بتعريف ما هو التفسير المأثور، فتجدر الإشارة إلى بعض الأمور:
يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه *التفسير والمفسرون*: "أن تفسير القرآن بالقرآن أو بما ثبت من السنة الصحيحة، فذلك مما لا خلاف في قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف ولا يجد الشك إليه سبيلا. وأما ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف في سنده أو في متنه فذلك مردود غير مقبول، ما دام لم تصح نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وأما تفسير القرآن بما يُروى عن الصحابة أو التابعين، فقد تسرب إليه الخلل، وتطرق إليه الضعف. ولقد كانت كثرة المروي من ذلك كثرة جاوزت الحد - وبخاصة عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما - أكبر عامل في صرف همة العلماء ولفت أنظارهم إلى البحث والتمحيص، والنقد والتعديل والتجريح، حتى لقد نُقل عن الإمام الشافعي أنه قال: "لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث". وهذا العدد الذي ذكره الشافعي لا يكاد يُذكر بجوار ما رُوي عن ابن عباس من التفسير. وهذا يدل على مبلغ ما دخل في التفسير النقلي من الروايات المكذوبة المصنوعة.
ونستطيع أن نرجع أسباب الضعف في رواية التفسير المأثور إلى أمور ثلاثة:

- كثرة الوضع في التفسير.
- دخول الإسرائيليات فيه.
- حذف الأسانيد."[3] انتهى كلامه.))

فإذا قلنا: إن الناس بين طرفي نقيض في مسألة المأثور عن السلف في التفسير، وأن منهم من يقبلها مطلقاً بدون بحث أو تمحيص، ومنهم من يبالغ في رد روايات التفسير عن السلف حتى استقر في خلده وأراد أن ينقل للناس هذا المعنى، وهي أن غالب ما يروى عن السلف إما مكذوب، أو موضوع، أو فيه الخرافات، أو فيه الأخبار الإسرائيلية المكذوبة التي تناقض العقل والمنطق والعلم، فلماذا وقع هذا الأمر في خلدهم؟ وما هي الأسباب والعوامل التي جعلت الناس أو كثير من الناس يقع منه الشك في المروي عن السلف في التفسير؟

✓ أسباب وعوامل الشك في المروي عن السلف في التفسير

1. **كثرة الوضع في التفسير:** بالرغم من أن هناك أسباب كثيرة إلا أن أساسها يرجع إلى مسألة كثرة الوضع في التفسير بشكل كبير. قد لا يوجد علم من علوم الشريعة داخَلَه الوضع - وأعني بالوضع أن يوضع كذبًا في التفسير فينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، أو إلى الصحابة أو إلى التابعين أو إلى السلف عمومًا ما لم يصح عنهم، وما لم يقولوه أصلًا، وإنما هو مجرد كذب ووضع من قائله - مثل ما حدث في علم التفسير.

[3] د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 114-115.

فعلم التفسير تعرض كعلم إلى حملة وضعٍ فيه، وكذب فيه على النبي والصحابة وسلف الأمة بشكل كبير، على نحو لا يوجد في غيره من العلوم، يشمل هذا الوضع ما فعله الزنادقة من اليهود والفرس؛ حيث دسُّوا كثيرًا من الكذب في التفسير، وكان قصدهم الطعن في هذا العلم وفي كلام الله عز وجل بطعنهم في هذا العلم. كما أن أهل البدع والأهواء أيضًا استغلوا التفسير لأجل أن يصححوا بدعهم؛ لأنه **ما من صاحب بدعة إلا واستدل بالقرآن على بدعته**، كل أصحاب البدع يستدلون بالقرآن على بدعتهم، حتى غلاة المبتدعة من أهل الباطنية أسسوا لقاعدة أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الناس لهم أحوال الظاهر ونحن لنا أحوال الباطن. والباطن معانى منقلبة تمامًا تختلف عما نفهمه من كلام الله، فلأجل أن يسوِّغوا بدعهم كذبوا في التفسير ووضعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سلف الأمة ما يبرر ويصحح طريقتهم ويقوي أسلوبهم.

2. **الخلافات المذهبية والسياسية**: هذه الخلافات كان لها أثر على الوضع في التفسير، فقد يلجأ بعض الناس إلى تصحيح الأقوال الضعيفة أو الروايات المكذوبة؛ بل حتى وضعها، لتحقيق تعصبهم المذهبي أو من أجل الاستفادة من الخلافات السياسية ومحاولة التقرب إلى الحكام. فمثلًا لما قام بنو العباس على بني أمية وحلوا محلهم، أراد بعض من قل دينه أن يتقرب إلى بني العباس بوضع أحاديث كثيرةً جدًا، إما في فضل بني العباس، أو في علمهم، ونحو ذلك، ولهذا نجد أن من أكثر من وُضع عليه هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما، وكان اختيارهم لهذين العلمين،علي بن أبي طالب أو ابن عباس، لأنهما من النسل الزكي الطاهر، من نسل النبي عليه الصلاة والسلام، فهم يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النسب الزكي الطاهر، ولهذا كثر جدًا الروايات الموضوعة عن ابن عباس؛ حتى يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث"، وعلى الرغم من أن هذه المقولة محل بحث ونظر، إلا أنها قيلت بسبب وجود الكثير من الوضع على ابن عباس رضي الله عنه في التفسير.

3. **ظهور القُصَّاص والوعاظ**: من الأسباب أيضًا القُصَّاص والوعاظ الذين يريدون أن يعظوا الناس ويرققوا قلوبهم، فيضطر أحدهم إلى الكذب لقلة بضاعتهم في العلم، تجد أحدهم لا تحضره الأحاديث، لا تحضره الروايات الصحيحة، أو لا يعرفها فيلفّق من عنده ويخترع من عنده روايات وأحاديث تُرَغِّب الناس في الدين، فيكذب حِسبةً يريد أن يقرب الناس للدين وتعلمه وتلقيه، مثل الكذب الذي حصل في فضائل سور القرآن، وغير ذلك من الكذب، فهدفه هو أنه يريد أن يحبب الناس في القرآن الكريم وتعلمه. وكذلك نجد بعض الزهاد وبعض العُبَّاد الجهلة، يريد أن يرغب الناس في الدين فيكذب ليحمل الناس على قراءة كلام الله وعلى الاشتغال بتفسيره.

إذن، نستطيع أن نقول أن سبب **وقوع كثير من الناس في الشك في الروايات المنقولة عن السلف في التفسير يرجع في المقام الأول إلى الوضع في التفسير**، وهذا الوضع والكذب في التفسير كان من أسبابه ما ذكرناه من أنه إما ما دسّه الزنادقة من اليهود والفرس، وإما أهل البدع، وإما أهل التصوف الغالين في تصوفهم وفي محاولة تزهيد الناس في الدنيا بطريق غير صحيح، أو الخلافات المذهبية والسياسية. وهذه أبرز الأسباب التي جعلت الوضع يكثر خصوصًا في التفسير.

أما **لماذا كثر الوضع خصوصًا في علم التفسير عنه في باقي العلوم؟** فذلك لأن القرآن هو الوحي من عند الله عز وجل، وهو الأساس الذي يقوم عليه هذا الدين، وما من صاحب بدعة إلا ويستدل بالقرآن على بدعته، فأصحاب البدع قد يدَعون سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيقبلونها ويردونها، ولكنهم لا يستطيعون ردّ القرآن الكريم؛ لأنه أساس الدين، فإذا ردّوا القرآن فقد ردّوا الإسلام، ولهذا ما من صاحب بدعة إلا ويجعل القرآن له تُكأةً يعتمد عليها في بدعته، ونحن نعلم كما يقول ابن عباس: إن القرآن حمّال للوجوه، يعني يقبل أكثر من معنى في التفسير، صحيح قد تكون المعاني التي يقبلها أو تُورَد قد تكون ضعيفة أو متفاوتة في قوتها، لكنه حمّال للوجوه.

إذا أردنا أن نقف على **أكثر من وُضع عليه وكُذب عليه في التفسير**، فقد أشرت إلى اثنين وهما: **ابن عباس، وعلي ابن أبي طالب** - رضي الله عنهم أجمعين -، فإن هؤلاء بسبب علاقتهم بالنسب النبوي الكريم وصلتهم به عليه الصلاة والسلام، فضلًا عن قيام الدولة العباسية التي تنتسب إلى هذا النسب الكريم، جعل الكذب عليهما كثيرًا، ومن يريد التزلف للحكام وأمراء بني العباس يكذب في هذا السياق؛ بل قد اشتهر في كتب التاريخ أن بعض الناس كان يأتي إلى الخليفة فيسأله: هل تريد أن أضع لك في هذا الشيئ وأكذب لك؟! يعني يعرض له بكل صراحة أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، أو على الصحابة في هذا السياق إرضاءً للأمراء.

4. **حذف الأسانيد:** أيضًا من الأسباب المهمة في رواج الضعيف من المروي عن السلف في التفسير، وكثرته، وكثرة الكذب والوضع في التفسير، وحتى في غيره، هو **حذف الأسانيد**؛ ففي بداية تدوين علم التفسير كان يُدوّن مسندًا، فيقول: حدثنا فلان عن فلان عن فلان حتى يصل إلى القول، سواء كان القول قول النبي أو قول الصحابة أو من دونهم، فكان الكذب غير وارد؛ لأنه لا يستطيع أن يقول قولًا إلا ويذكر إسناده، وإذا ذكر الإسناد عرف الناس إن كان صادقًا أو كاذبًا، إن كان قد سمع من فلان أو لم يسمع منه، لكن لما جاءت المرحلة التالية، وهي مرحلة الاختصار بحذف الأسانيد اختصارًا على الناس، فبدلًا من أن يقول بإسناده الكامل إلى الصحابي أو إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: (قال النبي) مباشرة دون إسناد، أو: (قال الصحابي)، أو: (قال التابعي) دون إسناد، وبينه وبين الصحابي أو التابعي أو حتى الرسول صلى الله عليه وسلم مائتي سنة أو

أكثر من ذلك، فلا نستطيع أن نعرف إن كان صادقًا أو كاذبًا، لا نستطيع أن نعرف كيف روى هذا الكلام؛ ولهذا كان حذف الإسناد طريقًا لدخول الكذب في التفسير وفي غيره.

✓ قد يسأل البعض ويقول: هل مبالغة بعض الناس - خصوصًا المعاصرين من الباحثين في عصرنا الحاضر- في ردّ التفسير المأثور، وفي وصفه بالضعف، وفي وصفه بكثرة الوضع والكذب، وفي وصمه بوجود الإسرائيليات فيه، وذكر الأخبار المكذوبة التي تخالف الشرع والعقل والمنطق، هل هذه المبالغة منهم في محلها أم لا؟

إن هذا أمر في غاية الأهمية، وقد كثر الكلام خاصة من المعاصرين عن هذا الموضوع. والحقيقة أن هذه المبالغة في رد التفسير المأثور عن السلف تحت حجة كثرة الوضع في التفسير، وحجة وجود الإسرائيليات، لا تستقيم أمام النظر العلمي المجرد، لا تستقيم؛ بل إن الاسترسال في هذه المقولة وإعطاءها أكبر من قدرها وتلقيها بالقبول ونشرها بين الناس هو مسلك خطير جدًا ونتائجه وعواقبه وخيمة، لأننا إذا استرسلنا مع هذا القول ومضينا معه وتلقيناه بالقبول، سينتهي بنا إلى عدم الثقة بعلم التفسير كله، لأن علم التفسير، وكما ذكرنا في المحاضرة الماضية، في غالبه يقوم على المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين.

فدواوين التفسير التي بين أيدينا اليوم لا يخرج منها شيء في المعنى الأصلي للآية عن ما يروى عن السلف، لا يخرج أبدا بإطلاق، فإذا استرسلنا في هذه المقولة أدى بنا إلى الطعن في ذلك المروي. فإذا كان كل التفسير الذي بين أيدينا اليوم قائمًا على المروي عن السلف، وقلنا: إن المروي عن السلف كله موضوع ومكذوب وضعيف، فنحن بهذا نؤدي إلى الطعن في علم التفسير كله وردّه.

والغريب أن هذه المقولة هي ما يريدها أصحاب الاتجاه الحداثي المعاصر في قراءتهم للتفسير، وأنه يجب أن يقرأ التفسير قراءة معاصرة حداثية، وهذا المسلك الذي يسلكه بعض من يهتمون ويعتنون بعلم السلف ممن صفاتهم العناية بعلم السلف وتقديمه والاهتمام به وتقديره، يلتقون في هذه الطريقة التي يسلكونها من غير قصد ودون وعي بهذا المنهج والمسلك الحداثي، الذي ينبني في أساسه على الطعن في كل ما نقل عن السلف وردّه، شاءوا ذلك أم أبوا؛ لأنه في النهاية سيؤدي بنا إذا قلنا: إن غالب المروي عن السلف ضعيف، أو مكذوب، أو كله أو غالبه كذب وزور واختلاق وقصص واهية مروية عن بني إسرائيل لا تثبت، فنحن في النهاية نؤدي إلى ردّ ذلك المروي عن السلف، وإذا رددنا المروي عن السلف، فمعنى ذلك أن كل كتب التفسير التي بين أيدينا اليوم لا أثر لها ولا قيمة لها بعد ذلك، وهذا مسلك غاية في الخطورة.

ولهذا، فإن المنهج الوسط العدل يقوم على عدم المبالغة في الردّ، وأيضاً عدم المبالغة في القبول، بل منهج وسط عدل يخضع لضوابط علمية منهجية في قبول تلك الروايات المروية عن السلف أو ردّها، وليس مجرد العواطف

أو الاستحسان العقلي؛ لأن العقول تختلف والمدارك تتفاوت، ما تراه أنت مخالفًا للعقل قد يأتي غيرك ويراه مقبولا للعقل، وما لا يحيط به إدراكك أنت قد يأتي غيرك من يقول لا بالعكس، هذا أمر فعلًا قد يقع ومُدرَك ولا بأس به، فتفاوت العقول يجعلنا لا نستطيع أن نُحكِّم ذات العقل في قبول الشيء وردّه، ما تقبل الشيء وتردّه لأن عقلك يقبله أو يردّه، ما تقبل الشيء أو تردّه لمجرد العواطف. أحيانا تجد بعض الناس مثلًا في ما يتعلق برواية بني إسرائيل ولعداوتنا مع اليهود، يرد أي رواية عن بني إسرائيل، نحن نعاديهم لكن ليس بالضرورة أن نردّ كل رواياتهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم وقتلهم ومع ذلك قال: (حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، والصحابة وقد قاتلوا اليهود وأجلوهم وأخرجوهم، كانوا يروون عن اليهود ويأخذوا عنهم، فلا يلزم من العداوة لهم أن نغلِّب هذا الجانب العاطفي، فنردّ كل شيء مروي عنهم، كما أنه لا يلزم منه تصحيح كل المروي عنهم.

إذًا، **ما هو المنهج الذي يجب أن نطبقه في روايات السلف في التفسير قبولًا أوردًا؟**

بعض أهل العلم، وبعض الباحثين المعاصرين في قبوله أو ردّه لروايات السلف في التفسير، قد ينحو منحى تطبيق قواعد وشروط وضوابط المحدثين في قبولهم للحديث وردّه، ينحو منحى أئمة الجرح والتعديل في تطبيقهم لمناهج وقواعد وطرق قبول حديث النبي صلى الله عليه وسلم وردّه، ولهذا وجدنا بعض المصنفات التي صنفت في هذا الباب، في باب التفسير، فيقول: كالصحيح من التفسير، ويطبق قواعد أئمة الجرح والتعديل بحذافيرها في هذا السياق. فهل هذا المنهج سليم؟ وهل هو صحيح؟ وهل عمل به أهل العلم في طوال القرون السابقة أم لا؟ هذا هو محل بحثنا إن شاء الله تعالى ومدارستنا في المحاضرة القادمة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أختان في الله**

قام بالمراجعة الأولى: **أحمد عبد الرحمن**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة، وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها.

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة التاسعة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه. وبعد، يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة التاسعة ضمن محاضرات مقرر تاريخ التفسير الذي يقدم ضمن برنامج السعدي، المستوى الأول.

كنا أيها الإخوة في المحاضرة الماضية قد بدأنا الكلام عن **المأثور في التفسير عن السلف**، من جهة قبوله ورده، من جهة الوثوق به من عدمه، وأشرنا إلى أهمية هذه المسألة وكثرة الحديث عنها، خاصة في عصرنا الحاضر، وفي البحوث التي كتبت في العصر الحاضر مما يتعلق بالموروث من علم التفسير، فيما يتعلق بعلم الرواية في التفسير، وذكرنا أن الناس في هذا الباب على طرفي نقيض، منهم من يروي كل ما أثر ونسب إلى السلف، دون تفريق بين صحيحه وضعيفه، دون التفريق بين مقبوله ومردوده، دون التفريق بين معقوله وغير معقوله، ما دام أن هذا القول ينسب إلى ابن عباس أو إلى مجاهد أو إلى عكرمة أو إلى قتادة أو إلى غيرهم من السلف يذكره دون أدنى نظرٍ فيه، حتى لو كان في بعض الروايات الشيء المنكر المخالف للشرع أو المخالف للعقل. هذا المنحى الموجود عند المفسرين، وهو منحى قديم أيضًا ظهر، قابله منحى آخر برز في عصرنا الحاضر؛ وهو التشكك في ذلك الموروث عن السلف رحمهم الله في علم التفسير، في تلك الرويات الموروثة في علم الرواية في باب التفسير، التشكيك فيها بشكل كبير وتهمتها من حيث ثبوتها، ومن حيث قبولها، ومن حيث الاقتناع بها. وقد ذكرنا في المحاضرة الماضية مقولة الإمام أحمد وتوجيه أهل العلم لها.

والحقيقة، إن هذا المسلك - أعني به الشك والتشكيك في المروي في التفسير عن السلف - مسلك خطر جدًا ودَحْضُ مزلّة، لأنه كما ذكرنا سابقًا أن علم التفسير - هذه الكتب التي نتداولها في تفسير كلام الله عز وجل منذ أن ظهر علم التفسير إلى يومنا هذا - كل هذه الكتب وكل علم التفسير قائم على المروي عن السلف رحمهم الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة، وعن التابعين، وأتباع التابعين، كل علم التفسير في حقيقته قائم عليه، فما نجده من توسع في كتب التفسير، وتشقيق للكلام والمعاني وإبحار في المسائل، كلها مبنية في أصلها على هذا المنقول عن السلف، فإذا نحن شككنا في هذا المنقول عن السلف وطعنًّا فيه، فلا شك أننا نحن بهذا نهدم أساس علم التفسير، ولهذا ينبغي أن نختطّ لنا منهجا وسطا بين طرفي نقيضٍ في هذه المسألة، بين من يتساهل تماماً ولا يُعمل النظر والعقل في هذه النصوص المروية، وبين من يردَّها بإطلاق ويشكك فيها.

✓ محاولة وضع منهج لتلقي المرويات عن السلف في علم التفسير

أراد بعض أهل العلم أن يضع منهجًا لضبط هذه المرويات في علم التفسير عن السلف، فقال: إن المنهج الذي وضعه المُحَدِّثون في حديث النبي صلى الله عليه وسلم هو منهج محكم متقن نطبقه على هذه المرويات في علم التفسير، فما ثبت بقواعد علم الحديث صحته قبلناه، وما ثبت ضعفه رددناه. وهذا المنهج مشتهر في وقتنا وعصرنا الحاضر يتداوله كثير من أهل العلم وطلابه والمهتمين بتراث السلف وعلمهم، ولكنْ الحقيقة هذه المنهجية في التعامل مع روايات التفسير، مع أسانيد التفسير، هذه المنهجية بهذه الصورة بإطلاقها محل نظر، لماذا نقول هذا الكلام؟

الحقيقة، إن هذه **الضوابط الحديثية التي وضعها أئمة الجرح والتعديل** هي أحد المفاخر التي تفخر بها هذا الأمة، لا يوجد في أمة من الأمم علم مثل هذا العلم المتعلق بدراسة أحوال الرجال للحكم على مروياتهم وعلى الآثار التي نقلوها، لا يوجد في أمة من الأمم مثل هذا العلم على هذا النحو المتقن المضبوط، فهو أحد مفاخر الأمة ومأثرة من مآثرها، لكن إذا أردنا أن نطبقها على أسانيد التفسير، على روايات التفسير عن السلف، فنحتاج أولاً إلى أن نعرف: **لماذا وضع أئمة الجرح والتعديل هذه الضوابط، وما الحامل لهم على وضعها؟**

- هذه القواعد والضوابط التي وضعها أئمة الجرح والتعديل أرادوا بها **التأكد والتثبت من صحة ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم**؛ لأنه عليه الصلاة والسلام مبلّغ عن الله عز وجل، هو مشرّع، وما يُتلقى عنه يُتلقى عن مشرّع، يعني فيه الحلال والحرام، ونحن نعلم ما يترتب على تشريع الحلال والحرام من الأحكام، فإذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بشيء أو نهي عن شيء وجب التزامه، فإذا لم يلتزم به المكلف لحقه الإثم، ولذلك حتى لا نوقع الناس في الإثم لأمر بشيء لم يثبت فعلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر به، أو النهي عن شيء لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عنه، كان على أئمة الجرح والتعديل وضع هذه الضوابط والقواعد المحكمة الشديدة في شروطها وقواعدها، حتى نتأكد فعلاً أن هذا القول الذي ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قول ثابت عنه، لأن الأمر يتعلق بتكليف، يتعلق بحلال وحرام، بثواب وعقاب عليه وما يلزم عليه، ولهذا يقول ابن المبارك في مقولته المشهورة: (الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ)[4]، ومثله أيضًا قول الحاكم وهو يُعَقِّب على مقولة ابن المبارك: (فَلَوْلَا الْإِسْنَادُ وَطَلَبُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لَهُ - يعني طائفة أئمة الحديث - وَكَثْرَةُ مُوَاظَبَتِهِمْ عَلَى حِفْظِهِ لَدَرَسَ مَنَارُ الْإِسْلَامِ، وَلَتَمَكَّنَ أَهْلُ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ فِيهِ بِوَضْعِ الْأَحَادِيثِ، وَقَلْبِ الْأَسَانِيدِ، فَإِنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا تَعَرَّتْ عَنْ وُجُودِ الْأَسَانِيدِ فِيهَا كَانَتْ بُتْرًا)[5]

---

4 رواه مسلم ج 1 / ص15 في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين.

5 معرفة علوم الحديث للحاكم، ص6.

- فإذن كل هذا العلم في أصل بنائه، علم الجرح والتعديل وما يترتب عليه من قبول الرواية وردها، كله قائم على التثبت من صحة الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الخصيصة لكلام النبي صلى الله عليه وسلم لا توجد لكلام غيره من البشر، ولا لكلام الصحابة، فضلا عمن دونهم من التابعين وأتباع التابعين، **لا يوجد شيء من كلام الصحابة أو كلام التابعين له هذه الخصيصة التي هي لكلام النبي صلى الله عليه وسلم**، فإذا لم يكن شيء من هؤلاء الصحابة والتابعين له مثل هذه الميزة التي هي لكلام النبي، فيجب ألا يكون التعامل مع كلامهم مثل التعامل مع كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لا يجب أن تكون الضوابط التي نضعها في قبول حديث النبي صلى الله عليه وسلم وما ينسب إليه مثل الضوابط والقواعد التي نضعها لما ينسب إلى الصحابة والتابعين من أقوال، ولهذا لا يختلف أهل العلم، بل حتى أئمة هذا الباب، لا يختلفون أن كلام غير النبي صلى الله عليه وسلم لا يُعامل مثل كلامه صلى الله عليه وسلم، ولهذا نجدهم هم بأنفسهم يردّون حديثًا منسوبًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ بسبب وجود أحد الرواة الذين فيهم ضعف، وفي ذات الوقت هذا الراوي الضعيف يقبلون أقواله ورواياته في غير أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر مشتهر معروف.

- **مثال:** خذ على سبيل المثال **سيف بن عمر**، يقول عنه ابن حجر رحمه الله: (ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ)[6]، يعني هو من أحد أركان علم التاريخ، وغالب المغازي والتاريخ أُخذ عنه وعن نفر قليل معه، في الوقت الذي لا تُقبل فيه روايته إذا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، أيضا: **الإمام ابن إسحاق** يقول عنه الإمام ابن حجر: (إمام في المغازي صدوق يُدَلِّس)[7]، في المغازي إمام يُرجع له ولا يُشق له غبار، ولكنه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم صدوق يدلس، فهو في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ضعيف إن لم يصرح بالرواية، لكن في المغازي والأخبار إمام حجة، بل نستطيع أن نقول إن مدار المغازي كلها في غالبها تدور على نفر قليل جدا في مقدمتهم ابن إسحاق. ولو جئنا نطبق المنهج الحديثي الخاص بقبول الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم على أخبار وروايات ابن إسحق أو سيف بن عمر في المغازي لم يبق لنا شيء من علم المغازي ولا علم التاريخ.

- **التفريق في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يترتب عليه تكليف والذي لا يترتب عليه تكليف:** أئمة الحديث يفَرِّقون بين الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم التي تتعلق بتكليف، يعني يترتب عليها تكليف، ونحن نعلم أن التكليف يترتب عليه جزاء أو عقاب، فهم يفرقون بين ما يترتب عليه تكليف كالأحكام وأحاديث الحلال والحرام، وبين ما لا يترتب عليه تكليف، مثل الفضائل، مثل الترغيب والترهيب ونحو ذلك، فيتساهلون في هذا الجانب - جانب الترغيب والترهيب - ولكن يتشددون في مسألة ما يتعلق بالأحكام والحلال

6 تقريب التهذيب، ج1،ص262.
7 تقريب التهذيب، ج1،ص467.

والحرام. فنجد **الإمام أحمد**، إمام أهل السنة، يقول مقولة مشهورة: (إِذَا رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالسُّنَنِ وَالْأَحْكَامِ تَشَدَّدْنَا فِي الْأَسَانِيدِ، - أي تثبتنا من الرواة - وَإِذَا رَوَيْنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَمَا لَا يَضَعُ حُكْمًا وَلَا يَرْفَعُهُ تَسَاهَلْنَا فِي الْأَسَانِيدِ)[8] ؛ لأنه لا يترتب عليه أحكام، ومثل هذا: المقولة التي رويت عن **عبدالرحمن بن مهدي**، وهي كلها تشير إلى ما بدأنا به الحديث؛ وهو أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم له ميزة خاصة ليست لأحاديث غيره، وليست لكلام غيره، ولذلك يجب أن نتثبت فيما ينسب إلى النبي وأن نضع قواعد مضبوطة جدا فيما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك تجد أئمة الجرح والتعديل يقولون عن الراوي أنه ثقة، ومرة يقولون ثقة ثقة، مرة يقولون ضابط، ومرة يقولون خفيف الضبط، مع أنه قد يكون ثقة في نفسه، وقد يكون حسن السيرة، في عدالته الشخصية عدل، لكن في حفظه قد يكون ضابطًا أو خفيف الضبط أو ضعيف الضبط، وهكذا فكل الأحوال دقيقة جدًا في معرفة حال الرواة، لأن ذلك يتعلق بسنة النبي صلى الله عليه وسلم. هذا هو المنهج الذي وضعه أئمة الجرح والتعديل راعوا فيه هذا المعنى؛ لأنه يتعلق بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا بد من الاعتبار به.

- ((إذن المقصود هو: المحدثين كانوا يحتاطون غاية الاحتياط ويتشددون غاية التشدد في نقد الأسانيد المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حماية لجناب السنة من تسلل الضعيف والموضوع، بل كانوا يفرقون في طريقة التعامل والنقد في المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، فلأحاديث الحلال والحرام منهج في النقد غير منهج نقد الرقائق والمواعظ، ولم يكونوا يحتاطون هذا الاحتياط ويتشددون هذا التشدد في الأخبار الأخرى؛ لأن هذه الأخبار لم تلق من العناية والاهتمام مثل ما لاقت السنة النبوية، ولذا من الإنصاف التخفف في نقدها والتساهل في التعامل معها، وقبول رواية الضعيف وسيء الحفظ ونحوهم ممن لا يتعمد الكذب.))[9]
- وفضلاً عن هذا، هناك أمر آخر أيضا نلفت النظر إليه، وقد لفت إليه النظر كثير من الأئمة وأهل العلم: وهو أن **الإحاطة بكل العلوم أمر صعب**، يندر أن تجد من يحيط بالعلوم كلها، من يحيط بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، ويحيط بالمغازي والسير والتفسير والعقائد وأخبار الناس وعلم القراءات، صعب أن تجد من يضبط ذلك كله، بل بعضهم قد يبرع في جانب ويضعف في جانب، ولهذا وجدنا أهل العلم يدركون ذلك ويتعاملون مع هذا تعاملا إيجابيا، فقد يقول إنه إمام في هذا العلم لكنه ضعيف في هذا العلم، تفرغ لهذا العلم واشتغل به لكنه ضعيف في العلم الآخر، ولا تثريب في ذلك ولا ريب، لأنه قد يكون بعضهم يعتني بعلم من العلوم فيضبط مسائله وشوارده ويعتني بها.

---

8 الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ج1، ص134.
9 د. محمد صالح محمد سليمان، "اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق"، ص 222.

- **مثال:** أنقل هنا مقولة للإمام الذهبي معلقًا على **تضعيف الدارقطني لعاصم بن أبي النجود**، وهو أحد أئمة القراء الذين أكثر العالم الإسلامي اليوم يقرأ بقراءته، لكن الدارقطني ضَعَّفه في الحديث، علق على ذلك الذهبي فقال: (وَكَذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ القُرَّاءِ أَثْبَاتٌ فِي القِرَاءةِ دُوْنَ الحَدِيْثِ، كَنَافِعٍ، وَالكِسَائِيِّ، وَحَفْصٍ، فَإِنَّهُم نَهَضُوا بِأَعْبَاءِ الحُرُوْفِ وَحَرَّرُوهَا، وَلَمْ يَصْنَعُوا ذَلِكَ فِي الحَدِيْثِ، كَمَا أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الحُفَّاظِ أَتْقَنُوا الحَدِيْثَ، وَلَمْ يُحْكِمُوا القِرَاءةَ. وَكَذَا شَأْنُ كُلِّ مَنْ بَرَّزَ فِي فَنٍّ، وَلَمْ يَعْتَنِ بِمَا عَدَاهُ - وَاللهُ أَعْلَمُ -)[10]. وهذا كلام في غاية الإنصاف والأهمية من الإمام الذهبي؛ أن بعض أهل العلم يبرع في علم من العلوم ويتفرغ له، فيتفرغ لعلم القراءة ويكون إماما ثبتا، مثل عاصم، ومثل حفص وغيره، هم أئمة في علم القراءة، لكنهم فيهم ضعف في علم الحديث، وكذلك بعض المحدثين قد يكون إماما في علم الحديث، لكنه لا تُتلقى القراءة منه ولا تؤخذ عنه؛ لأنه لم ينصرف إلى هذا العلم ولم يتفرغ لضبطه.

وعليه، فإن **تطبيق منهج المحدثين بهذه الصورة سيؤدي إلى رد كثير من الروايات التفسيرية، ويقود إلى القدح في علم التفسير**، الذي كل بنائه على هذا المروي عن السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

من الغرائب؛ أن هذه الطريقة التي ينادي بها بعض المعتنين بعلم السلف، ومنهج السلف، وطريقة السلف، ممن يعتني بهم بهذا المنهج ويتبناه ويدافع عنه، يدعو إلى هذه الطريقة وهو - في الحقيقة - يتوافق مع ما يدعو إليه بعض أصحاب الاتجاه الحداثي المعاصر في قراءتهم للقرآن الكريم وفهمه.

ومما يدل أيضا على الخلل المنهجي في هذه الطريقة؛ أن أصحاب هذا الاتجاه، الذين يريدون تطبيق القواعد الحديثية بحذافيرها على أسانيد التفسير بإطلاق، مع تشددهم في قبول الرواية التفسيرية عن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، بالرغم من أنهم يتشددون في ذلك، لكنك تجدهم في نفس الوقت يحكون القول من كتب غريب القرآن وغريب اللغة، يحكون القول في معنى الآية، ويحملون الآية على هذا القول، ويرجحون أحد المعاني على هذا القول المنقول في كتب غريب اللغة أو غريب القرآن، ويحكونه عن أعرابي مجهول لم يُسمّ، كما هو مشهور معروف في كتب اللغة وكتب غريب القرآن، أقوال تنسب إلى الأعراب لكن لا يعرف من هذا الأعرابي، لم يُسمّ، وإذا سمي هذا الأعرابي لم تُعرف عدالته، وحتى لو عُرفت عدالته لا يُعرف اتصال السند إليه، ومع ذلك يقبلون قوله ويفعلون ذلك بغير نكير، لكن إذا جاءوا إلى الرواية التفسيرية المسندة إلى الصحابة والتابعين تشددوا فيها وردوها، وقالوا في أحد إسنادها من هو خفيف الضبط ونحو ذلك، مع أن كثيرا من الروايات التفسيرية المسندة إلى الصحابة والتابعين هي تتعلق بغريب القرآن الكريم، فما الفارق بين أن يكون القول مأخوذًا من كتب غريب القرآن أو غريب اللغة يُروى عن أعرابي، أو موجود في كتب التفسير مسندا إلى الصحابي والتابعين؟!

---

[10] سير أعلام النبلاء، ط الرسالة، ج11، ص543.

هذه المقدمة وهذا الكلام الذي نذكره لا نريد به أن تُقبل الروايات التفسيرية المسندة بإطلاق، ودون تمحيص وتدقيق، بل هي، في الحقيقة، دعوة إلى وضع منهج يضبط هذا الأمر ونستفيد به، ونستفيد مما وضعه أئمة الجرح والتعديل في هذا الصدد، وهذا أمر يجب أن يتصدر له الراسخون في العلم ممن اشتغلوا بكتاب الله وأشغلوا به أوقاتهم دراسةً وتمحيصًا ونظرًا وترجيحًا، ونسترشد في ذلك بهذا التراث الضخم العلمي الذي ورّثه سلفنا الصالح فيما يتعلق بقبول الرواية وردها.

في المحاضرة القادمة بإذن الله عز وجل سنقف على بعض الإضاءات التي قد تُعين على وضع منهجية لضبط قبول روايات السلف في التفسير أو ردها.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله**

قام بالمراجعة الأولى: **أخ في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة العاشرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد. يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة العاشرة من ضمن محاضرات تاريخ التفسير الذي يقدم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول.

أيها الإخوة الكرام، في المحاضرة الماضية توقفنا عند الإشارة إلى أننا بحاجة إلى وضع منهج يضبط طريقة التعامل مع أسانيد التفسير، يضبط مسألة قَبول الرِّوايات عن السلف أو رَدّها، وقد أشرنا إلى منهجين موجودين في الساحة العِلمية اليوم، وما في هذين المنهجين من خطأ وقصور ونَظر، ووَعدنا أن نحاول أن نَضع بعض الضّوابط التي تُسهِم في وَضع مَنهجية عِلمِية في التعامل مع أسانيد التفسير، والتعامل مع المَروِيّات في التفسير عن السلف رحمهم الله. الحقيقة أن وضع هذه الضوابط يحتاج أن يَتصدَّر له الرّاسخون في العلم ممن لهم باعٌ طويل في علم التفسير ومُعالجته ومُدارَسته وتَدْريسه وتعليمه حتى تكون تلك الضوابط منطقية و عَملية. وسأذكر بعض الضوابط التي تَحضُرني مما قد يكون لها إسهام في بناء هذه المنهجية العلمية.

✔ كيفية التعامل مع أسانيد التفسير، ومنهج تلقي مرويات السلف

للدكتور **محمد صالح محمد سليمان** كتاب بعنوان ***اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق***، عَقد فيه فصلا سمّاه: "أسانيد التفسير بين إشكالية التعامل، ومنهج التلقي"، تكلم فيه بكلامٍ طيب، ووَضع بعض المحاولات الجادَّة لضبط مسألة قَبول مرويات السلف من التفسير، وكيفية التعامل مع أسانيد التفسير، ولعلها تكون نواةً للتوسُّع في هذا الأمر و تحليله حتى تتضح لنا الرؤية ويكون منهجاً واضح المعالم.

بعض الضوابط المنهجية لقبول روايات السلف في التفسير

يقول الدكتور محمد صالح في الكتاب المشار إليه أعلاه: "أن مسألة أسانيد التفسير من المسائل الشائكة التي تلقى جدلاً في الأوساط العلمية حول كيفية التعامل معها، ففريق يرى ضرورة إخضاع روايات السلف في التفسير رواية رواية لقواعد وتطبيقات المحدثين والحكم عليها بما يناسبها، وكذا ضرورة تجريد كتب التفسير من الأحاديث والآثار الضعيفة، وإخراج ما يسمى صحيح التفسير، وفريق آخر يرى أن في هذه الطريقة هدماً لعلم التفسير، ومسخاً له، ورداً لمعظم مرويات السلف من التفسير؛ إذ أن غالبها لم يسلم من مطعن، ولم يخل من ضعف، ولو تم هذا فمن أين سيتلقى الناس التفسير بعد أن رددنا معظم مرويات السلف؟ وما هي الضوابط التي تضبطهم

عند تفسيرهم لكتاب الله؟" ، وبعد أن قام الدكتور محمد صالح بدراسة هذا الأمر بالتفصيل، وعرضه في كتابه في مبحث مستقل، خَلُصَ إلى أنه على الرغم من أهمية علم الحديث، فالأصل أنه خادم للعلوم وليس حاكماً عليها، وبالتالي يجب الاستفادة من علم الحديث وفق منهجية محددة مستقاة من صنيع العلماء وبشيء من المرونة دون هدم لخصوصيات كل علم وما يتميز به عن غيره.

وعليه قام الدكتور محمد صالح بوضع بعض الضوابط المنهجية في مسألة قَبول الروايات المُسنَدة في التفسير للسلف، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. **الاستفادة مما وضعه أئمة الجَرْح والتَّعديل في قَبول الأخبار المَرفوعة إلى النبي عليه الصلاة والسلام**

هذا تُراث علمي ضخم جدا، حيث قام أئمة الجَرح والتّعديل بوضع مَنهجية لقبول الأخبار المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، منهجية نُفاخر بها كل الأُمَم ولا توجد في أُمّة من الأمم. فنحتاج الإستفادة من تلك المنهجية ولكن ليس كما هي بدقتها، وبما فيها من مزيدِ تشَددٍ لأنها تتعلق بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما يمكن أن نأخذها في عمومها ونستفيد منها مع تخفيف ضوابطها و قُيودها، فيُفرّق مثلا بين الراوي شديد الضَّعف أو الكذّاب أو المُتهم بالكذب، وبين من لم يكن تلك حالُه. بين من كان خفيف الضَّعف، بين من كان ضعيفا لكنه ليس ضعفا شديدا، كالذي عنده مثلا اختلاط أو اضطراب في الرِّواية ونحو ذلك. يعني المقصود هو أخذ تلك الضوابط مع تخفيفها قدر المستطاع. فمثلا قد نقبل من كان ضعفه خفيفا، لكن لا نقبل من كان مثلا مُتهماً بالكذب أو كذّابا مِثل (الكَلْبي). فرواية الكذاب لا يسوغ الاعتماد عليها في التفسير أو في غيره، فالكذاب لا يصلح أن تتلقى رواياته وتوضع موضع القبول.

كما أشار الإئمة والعلماء السابقون في موضوع التساهل في قبول روايات المفسرين من السلف، حيث يقول **يحيى بن القطان**: " تَساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يُوَثِّقُونَهم في الحديث" ثم ذكر الضَّحاك ، وجُوَيبر بن سعيد، ومحمد بن السائب، (هؤلاء لا يُوَثقون، فيهم ضعف وبعضهم ضعفه شديد)، وقال: "هؤلاء لا يُحتملُ حديثُهم ويُكتب التفسير عنهم".

وقال **الخطيب البغدادي** في كتابه ***الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع***: " ..... إِلَّا أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدِ احْتَجُّوا فِي التَّفْسِيرِ بِقَوْمٍ لَمْ يَحْتَجُّوا بِهِمْ فِي مُسْنَدِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَحْكَامِ وَذَلِكَ لِسُوءِ حِفْظِهِمُ الْحَدِيثَ وَشُغْلِهِمْ بِالتَّفْسِيرِ فَهُمْ بِمَثَابَةِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ حَيْثُ احْتُجَّ بِهِ فِي الْقِرَاءَاتِ دُونَ الْأَحَادِيثِ الْمُسْنَدَاتِ لِغَلَبَةِ عِلْمِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ فَصَرَفَ عِنَايَتَهُ إِلَيْهِ". انتهى كلامه.

وقال الإمام **البيهقي** في كتابه ***دلائل النبوة***، عن الأحاديث الضعيفة المتفق على ضعفها: "وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَخْبَارِ ، فَهِيَ أَحَادِيثُ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى ضَعْفِ مُخْرِجِهَا. وَهَذَا النَّوْعُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: ضَرْبٍ رَوَاهُ مَنْ

كَانَ مَعْرُوفًا بِوَضْعِ الْحَدِيثِ وَالْكَذِبِ فِيهِ. فَهَذَا الضَّرْبُ لا يَكُونُ مُسْتَعْمَلا فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورٍ إلا عَلَى وَجْهِ التَّلْيِينِ. وَضَرْبٍ لا يَكُونُ رَاوِيهِ مُتَّهَمًا بِالْوَضْعِ ، غَيْرَ أَنَّهُ عُرِفَ بِسُوءِ الْحِفْظِ وَكَثْرَةِ الْغَلَطِ ، فِي رِوَايَاتِهِ ، أَوْ يَكُونُ مَجْهُولا لَمْ يَثْبُتْ مِنْ عَدَالَتِهِ وَشَرَائِطِ قَبُولِ خَبَرِهِ مَا يُوجِبُ الْقَبُولَ. فَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الأَحَادِيثِ لا يَكُونُ مُسْتَعْمَلا فِي الأَحْكَامِ ، كَمَا لا تَكُونُ شَهَادَةُ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ مَقْبُولَةٌ عِنْدَ الْحُكَّامِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الدَّعَوَاتِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، وَالسِّيَرِ وَالْمَغَازِي فِيمَا لا يَتَعَلَّقُ بِهِ حُكْمٌ." انتهى كلامه.

ومعنى هذا الكلام، أن التفسير يُتَحَقَّقُ فيه من عدم خطأ الراوي، أو تعمده الكذب، وما عدا ذلك يُتسامح في قبوله؛ إلا إذا كان التفسير المنقول له تعلق بالأحكام أو بالحلال والحرام، فحينها يُتشدد في قبوله. يعني يتم اتباع نفس الضوابط والشروط التي وضعها أئمة الجرح والتعديل لقبول الرواية في الأحاديث النبوية إذا كان الأمر يتعلق بالأحكام، لأن الأحكام يتعلق بها الحلال والحرام والتكليف والثواب والعقاب.

وأمرٌ آخر وهو أيضا دقيق المعنى: ((ينبغي التفريق بين رواية الراوي ورأيه، فهناك فرق بين أن يكون الراوي ناقلاً للتفسير، وبين أن يكون مفسرا، ففي حال النقل والرواية قد يؤثر ضعفه على روايته ونقله، لكنه في حال كونه مفسراً لا يؤثر جرحه على رأيه في التفسير، فالتفريق بين الحالين هو الصواب، فتضعيف مفسر من جهة الرواية لا يعني تضعيفه من جهة الرأي والدراية، لذا يبقى لهم حكم المفسرين المعتبرين، ويحاكم قولهم من جهة المعنى، فإذا كان فيه خطأ رُدَّ، وإن كان صواباً قُبِلَ. وإذا تأملت هذه المسألة تأملا عقليا، فإنه سيظهر لك أن الرأي لا يوصف بالكذب إنما يوصف بالخطأ، فأنت تناقش قول فلان من جهة صحته وخطئه في المعنى، لا من جهة كونه كاذباً أو صادقاً.... وغياب هذه القضية يوقع في أمرين: الأول: طرح آراء هؤلاء المفسرين ،وهم من أعلام مفسرين السلف. والثاني: الخطأ في الحكم على السند الذي يروى عنهم فيحكم عليه من خلال الحكم عليهم، وهم هنا ليسوا رواة فيجري عليهم الحكم، بل القول ينتهي إليهم، فأنت تبحث في توثيق من نقل عنهم، لا في حالهم هم.))[11]

مثال: الكلبي، لا يختلف أهل العلم في ردِّ تفسيره وقولِه إذا كان يروي عن غيره، لكن لا ينطبق ذاتُ الكلام على ما إذا كان قولاً له هو، لا يَنسبه إلى غيره، فنحن نعرف أنّ الكلبي من كبار أهل اللغة الذين تُؤخذ عنهم اللغة، وقولُه في التفسير قولٌ مشهور وآراؤه التفسيرية مشهورةٌ متداولة، وفي كثير منها معانٍ في غاية الدقة والجمال. فإذاً يُفرَّق بين أن يكون هو يروي عن غيره، فلا يُقبَل إذا رَوى عن غيره، وبين أن يكون القول ينسب إليه، فيُستفاد منه عندئذٍ ويُنظرُ فيه. وليس معنى أننا نقبل قولَه هو في التفسير أنه بالضرورة أنّ قولَه مقبولٌ وتُحمَلُ الآية عليه، ولكن يُستفاد منه .

[11] د. محمد صالح محمد سليمان، "اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق"، ص 240.

2. **النظر في الإسناد عند كون المروي في التفسير متعلقاً بالأحكام أو بالحلال والحرام**

أن يُنظَر في مضمون الرِّواية التفسيرية عن السلف بين ما يتعلق بالعقائد والأحكام، وبين ما لا يدخل في ذلك. وكذلك يُفرَّق بين ما كان مَرْوِياً عن النبي مرفوعا إليه أو له حُكم المرفوع. فإذا كان التفسير المروي مما لا يقال مثله بالرأي فلا بد من بيان صحته أو ضعفه، فمثل هذا لو صح كان له حكم الرفع، ومما يدخل فيه أسباب النزول، أو الإخبار عن أمر غيبي، أو نحو ذلك.

كمن يتحدث عن أمور غيبية ستقع مستقبلا، أو أسباب النزول، فهذه لها حكم المرفوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام وعندئذ نُطبق عليها القواعد الحَديثِيّة. فما كان يتعلق بالأحكام أو العقائد فهذه يُطبَّق عليها منهج المُحدِّثين في قَبول الرّواية، أو ما كان مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو له حكم المرفوع مثل أسباب النزول أو الأمور الغيبية التي لا طريق إلى معرفتها إلا بالوحي، فما لم يكن كذلك، فلا يلزم عندئذ أن يطبَّق عليه القواعد الحديثية بكل معانيها.

3. **التفريق بين رواية القول وقَبوله**

أيضا من الضوابط التي تُذكر في هذا الصَّدَد ونحن نضع منهجية في التعامل مع روايات السلف في التفسير هو التفريق بين رواية القول وقَبوله، فأنا قد أروي هذا القول عن أحدٍ من السلف من التابعين أو الصحابة دون أن أُسَلِّم له بصوابه، فلا يلزم أنني إذا رويت عنه قولا ونسبته إليه أن يلزمني أن آخذ به وأن أَحمِل الآية عليه. بل هو قولٌ لقائله يصيب ويخطئ لأنه غير معصوم، ليست العصمة إلا للنبي صلى الله عليه وسلم، أو ما أجمع عليه السلف من الصحابة أو التابعين، أما إذا كان قولُ آحادهم فليس بحجةٍ يلزم الأخذ به، بل هو معنى في الآية قد يكون صوابا و قد يكون خطأ، فلا يلزم من قبول روايته المنسوبة إليه أن أقبل مضمونها وأن أحمل الآية عليها.

4. من الضوابط أيضا: **استِفاضة القول واشتِهارُه بين السلف وتناقلِهم له وتواطُؤهم عليه**

قد يكون هذا القول المنسوب إلى السلف قد اشتهر بينهم و تناقلوه، فتجد كل كتب التفسير تحمل الآية عليه، أو غالبها تحمله عليه، أو يذكرون هذا القول المشهور للسلف فيتناقلونه فيما بينهم. هذا التواطؤ على هذا القول والاشتهار بين السلف وتناقلهم له من غير نَكِير يعطي نوعاً من الثقة بهذا القول، حتى وإن كنا لو تتبعنا أسانيده سنجد أنها ضعيفة. أي: بما أن السلف تلقوا هذا القول بالقبول وتناقلوه فيعتبر هذا أيضا ضابط مؤثر في قضية قبول الرواية التفسيرية عن السلف.

ابن تيمية رحمه الله في مقدمته، ***مقدمة في أصول التفسير***، له كلام نفيس ومهم في مسألة مراسيل التابعين. شرح في مقدمته ما يتعلق بالمُرسَل إذا اعتُرِضَ بمُرسَل آخر- المُرسَل هو الذي يرفعه التابعي إلى النبي صلى الله

عليه وسلم ويُسقِط الصحابي - وقد أبان شيخ الإسلام ابن تيمية عن مراد الإمام أحمد في عبارته المشهورة "ثلاثة علوم ليس لها أصول المغازي والملاحم والتفسير"، حيث قال شارحا وموضحا مقصود الإمام أحمد فقال: (وقال الإمام أحمد "ثلاثة علوم ليس لها أصول المغازي والملاحم والتفسير" وفي لفظ (ليس لها أسانيد)، ومعنى ذلك أن الغالب عليها أنها مرسلة ومنقطعة، فإذا كان الشيء مشهورا عند أهل الفن قد تعددت طرقه، فهذا مما يرجع إليه أهل العلم بخلاف غيره). بمعنى إذا كان الحديث مشهور ومتعدد الطرق، سواء كان من طريق قتادة أو من طريق مجاهد أو من طريق عكرمة متعدد الطرائق، واشتُهِرَ عند السلف وتَلقَّوه بالقبول وتناقلوه ولم يُعرف بينهم نَكير له، فهذا يُقبل ويُرجع إليه، بخلاف ما لم يكن كذلك. يقول ابن تيمية رحمه الله في هذا الصدد: (والمراسيل إذا تعددت طرقها، وخلت عن المواطأة قصداً أو الاتفاق بغير قصد، كانت صحيحة قطعاً، فإن النقل إما أن يكون صدقاً مطابقاً للخبر، وإما يكون كذباً تعمد صاحبه الكذب أو أخطأ فيه؛ فمتى سلم من الكذب العمد والخطأ كان صدقاً بلا ريب) انتهى كلامه.

5. **أن يكون المروي عن السلف مما لا يخالف الشرع**

النظر في السند عند كون التفسير المروي عن السلف مخالفاً لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو مخالفاً لما هو متقرر وثابت في الشرع، فإذا روي عن مفسر من السلف قول بخلاف ما دل عليه الحديث النبوي، فإما أن يكون هذا القول غير ثابت عنه، وإما أن يكون الحديث لم يبلغه، ولذا يجب التأكد من ثبوت هذا القول عنه أو لا، وكذا إذا روي عنه ما يخالف المتقرر في الشرع.

فقد نجد مثلا أن إسناد الحديث ليس فيه نوع من الضعف، ولكن يجب أيضا التثبت من أن هذا القول المنسوب إليه لا يُعرف أنه خالف شيئا ثابتا في الشرع. هذا أيضا ضابط مهم يؤثر في مسألة قبول المَروي عن السلف، فإنه يُقبل إذا لم يكن يخالف شيئا مما دلت عليه الشريعة. والمقصود بعدم مخالفة الشريعة هو أن تأتي مثلا بعض الروايات المنقولة عن بعض السلف وفيها طَعنٌ صريح في عصمة الأنبياء، كما في بعض الروايات الإسرائيلية، فإذا جاء فيه طعن صريح واضح في عِصمة الأنبياء، كبعض الروايات التي تتهمهم مثلا بالوقوع في الشرك، أو تطعن مثلا في عِرْض بعض الأنبياء كأن يقع من زوجاتهم الزنا و نحو ذلك. فهذه الروايات التي فيها طعن صريح في عصمة الأنبياء ومكانتهم تخالف ما ثبت في الشرع من مكانة الأنبياء وعندئذ نردُّها.

6. أيضا من الضوابط: **موافقة المشهور من لغة العرب**. مما استقر عند أهل اللغة وتعارفوا عليه الأساليب والمعاني التي استقرت عند أهل اللغة في معنى الألفاظ ونحو ذلك. فكون الرواية تأتي عن السلف لا تخالف لغة العرب أيضا مما يعطي الثقة بها.

يقول الدكتور محمد صالح في كتابه: ((غالب ما روي عن السلف في التفسير مرجعه اللغة، ولا عجب في ذلك فالقرآن نزل بلغة العرب، وتفسيره يكون بمقتضاها، ومن ثم كان للتفسير اللغوي في تفسيرات السلف الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، وأما التفسيرات المتعلقة بالعقائد والأحكام فهي قليلة إذا ما قورنت بالتفسير اللغوي، وإذا كان الأمر كذلك فإن قبول المعاني اللغوية الواردة عنهم في التفسير يتسامح في أسانيده، وقد أشار البيهقي رحمه الله إلى هذا فقال: "وَإِنَّمَا تَسَاهَلُوا فِي أَخْذِ التَّفْسِيرِ عَنْهُمْ ، لأَنَّ مَا فَسَّرُوا بِهِ أَلْفَاظُهُ تَشْهَدُ لَهُمْ بِهِ لُغَاتُ الْعَرَبِ ، وَإِنَّمَا عَمَلُهُمْ فِي ذَلِكَ الْجَمْعُ وَالتَّقْرِيبُ فَقَطْ.")). يعني يقول إنما التساهل في المروي في التفسير كان فيمن فسروا كلام الله عز وجل بما لا يخالف لغة العرب، وبما هو مشهور عن لغة العرب وعندئذ فلا بأس من قبوله.

7. أيضا من الضوابط التي يمكن أن تقال في هذا الصدد: **اعتبار عدم مخالفة السنن الكونية والحقائق العلمية**: قد تأتي بعض الروايات التي تخالف السنن الإلهية التي قام عليها نظام الكون والحقائق العلمية الثابتة التي لا يختلف الناس عليها. عندما تكون هذه الروايات مخالفة لسنن الكون والحقائق العلمية تورِث الشك فيها وعدم تلقِّيها بالقبول. والحقيقة أن مسالة مخالفة السنن الكونية والحقائق العلمية أيضا ينبغي التثبت فيها، لأن بعض الناس يتخيل الأمر غريبا عجيبا جدا يخالف المألوف فيردّه، يقول هذا يخالف السنن الإلهية، مع أنه مرات قد يكون مخالفاً للمألوف لكن لا يخالف السنن الكونية والحقائق العلمية إذا كان مرويا عن السلف. إنما أُتيَ هذا المرء من جهة ما اعتاده لا من جهة أنها فعلا تخالف الحقائق الإلهية في خلق الكون وإيجاده. ولنضرب مثالا على ذلك بما ورد في حديث سفينة نوح - الآثار المروية في سفينة نوح فيها غرائب كثيرة جدا، من هذه الغرائب: أن القط أو السّنُّور كان سبب وجوده أنّ من في السفينة اشتكى من الفأر وأذاهُ لمن كان في السفينة، فشَكَوا ذلك إلى نوح فدعا الله عز وجل، فقالوا أن الأسد عطس فخرج من منخريه السّنُّور فكان ذلك أول شأن السنور. مثل هذه تخالف الحقائق العلمية وسنن الله عز وجل في إيجاد وخلق الكائنات، فلا يُلتفت إليها ولا يُنظر فيها.

وبعدُ، أيها الإخوة، هذه عدد من الضوابط التي ممكن أن يستفاد منها ونحن نريد أن نضع ضوابط منهجية في مسألة قبول مَرويات وأسانيد التفسير عن السلف من الصحابة والتابعين، نجملها في النقاط التالية:

1. الاستفادة مما وضعه أئمة الجَرْح والتعديل.
2. التفريق في مضمون القول ومحتواه، بين أن يكون متعلق بالأحكام و غيرها، بين أن يكون مرفوع إلى النبي أو له حكم المرفوع.

3. التفريق بين أن نقبل الرواية دون حمل الآية عليها، وأن يكون مضمون الآية مُفسَّرا بها. نقبل هذه الرواية لكن لا يلزم من ذلك حمل الآية عليها.
4. استفاضة القول واشتهاره بين السلف.
5. عدم مخالفة الشرع.
6. عدم مخالفة الحقائق العلمية.
7. أيضا عدم مخالفة مشهور لغة العرب.

تلك بعض الضوابط التي يمكن أن يستفاد منها ونحن نضع منهجية علمية في قبول مَروِيات السلف في التفسير.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **غادة علاء الدين محمود**
قام بالمراجعة الأولى: **رغد**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: تختلف المادة المسموعة لهذه المحاضرة مع النص المكتوب، لما قمتُ به باجتهادي الشخصي من ضبط وإعادة صياغة المحاضرة بالكامل قدر المستطاع حتى لا أخل بمحتواها وبالعناصر الرئيسية التي شملتها، وذلك بالرجوع إلى المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه وأشار إليه المحاضر في المحاضرة وهو كتاب: "اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق"، للدكتور محمد صالح محمد سليمان، الفصل الرابع، ص220 إلى ص 263.
رئيفة درويش

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الحادية عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد؛ يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الحادية عشرة ضمن مقرر تاريخ التفسير، الذي يقدَم ضمن برنامج السعدي، المستوى الأول.

✓ الإسرائيليات في التفسير

في المحاضرة الماضية تكلمنا عن مسألة ضوابط منهجية في التعامل مع مرويات السلف في التفسير، واليوم بإذن الله عز وجل سنتكلم أيضًا عن قضية أخرى مهمة، أخذت بعدًا كبيرًا في عصرنا الحاضر، وهي مسألة **الإسرائيليات في التفسير**، والحامل لنا للحديث عنها؛ أولًا: أنها تتعلق بتاريخ علم التفسير، فنحن نريد أن نعرف متى ظهرت هذه الإسرائيليات في علم التفسير؟ كيف تعامل المفسرون معها من السلف، ومن جاء بعدهم؟ وما الموقف منها؟ وبَحْثُنا لها، مع أنه بحث لجانب تاريخي يتعلق بذات المقرر، إلا أنه أيضًا يلقي إضاءةً على مسألةٍ يكثر الحديث عنها في عصرنا الحاضر، وأخذت زخمًا كبيرًا. لا أريد التوسع الحقيقة كثيرًا في الكلام عن هذه المسألة، وإنما سأحاول جهدي اختصار الكلام عن هذه المسألة في عدد من النقاط والفقرات.

المقصود بالإسرائيليات

حينما نقول الإسرائيليات، ماذا نقصد بكلمة الإسرائيليات؟ المقصود بهذه الكلمة: هو كل ما رواه بنو إسرائيل، أو كل ما رُوي عن بني إسرائيل، أو كل ما أُخذ عن بني إسرائيل من كتبهم أو من علمائهم. وحينما نقول بني إسرائيل المقصود: بنو يعقوب عليه السلام ، وكلمة إسرائيل تعني في اللغة العبرية: عبدالله، أو صفوة الله، والمقصود به هو نبي الله يعقوب عليه السلام، يقول عز وجل: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [آل عمران: 93] يعني يعقوب عليه السلام، فكل ما كان عن بني إسرائيل سواءً من كتبهم، أو من علمائهم، داخلٌ في مسمى الإسرائيليات، وسواءً هم الذين نقلوه لنا، أو أن أحدًا من العلماء رجع إلى كتبهم، أو سألهم، وهذا كله داخلٌ في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

لكن هناك توسعٌ في هذا الإطلاق، فدخل في معنى الإسرائيليات كل ما كان من غرائب التفسير، وعجائب الأخبار، مما لم يثبت نسبته إلى بني إسرائيل، وإنما هي غرائب الروايات وعجائب الأقاويل، وبدع القصص والأخبار، فأدخلها بعض الباحثين ضمن الإسرائيليات، وأطلق عليها هذا الاسم من باب التغليب، لأن غالب أخبار بني إسرائيل فيها غرائب، ولا تخلو من غرائب وعجائب، فأُلحق بها كل ما كان فيه معنى الغرائب والعجائب، وإن لم يثبت أنه عن

بني إسرائيل، نعم الحقيقة هذا التوسع في الإدخال يحتاج إلى تأمل، لأننا نعلم أن الأصل في أخبار بني إسرائيل أن لها حكم خاص سيأتي، والأصل فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، أما الدخيل في علم التفسير فلا يأخذ هذا الحكم، يعني الدخيل في الروايات عمومًا، والأخبار عمومًا، لا تدخل ضمن هذا المعنى، ولا تُلحق به، ولا تجري عليه أحكام أخبار بني إسرائيل، تلك أخبارٌ أخرى، تطبق عليها قواعدٌ أخرى، لكن بني إسرائيل لها ميزةٌ خاصة، وردت فيها أحاديثٌ خاصة، فكان التفريق بين ما هو من أخبار بني إسرائيل، وما ينسب إليهم، وإن لم يقولوه، أو يؤخذ عنهم، هذا كان من الأفضل. على كل حال، هذا مفترضٌ أن يؤخذ - إن شاء الله تفصيلًا - في مادة أصول التفسير.

لماذا ظهرت الإسرائيليات في كتب التفسير

هذه الأخبار عن بني إسرائيل لماذا ظهرت عند المسلمين؟ لماذا ظهرت في كتب التفسير؟ حتى نجيب عن هذا السؤال؛ يجب أن نفهم منهج القرآن الكريم في عرض الحوادث والوقائع. يقوم منهج القرآن الكريم في عرض الحوادث، والوقائع، والأخبار، والقصص، على الاقتصار على موطن العبرة، أو ما يساعد على معرفة موطن العبرة، أما ما ليس له أثر في موطن العبرة، ولا يساعد على الوقوف على موطن العبرة، فالقرآن لا يعرض له؛ لأن القرآن ليس كتاب تاريخ، ولا كتاب قصص، حتى يذكر تفاصيل كل الحوادث، ولهذا نجد كثيرا في القرآن عدم تسمية الأماكن، ولا تحديد التواريخ، ولا تسمية الأشخاص والأعيان، يقول الله عز وجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13]، أين مكان هذه القرية؟ أي زمان؟ ما اسمها؟ ما اسم المرسلين؟ ما اسم الرجل الذي نصح قومه؟ ما يُذكر؛ لأن هذه التفصيلات لا أثر لها في حصول العبرة والمعنى المقصود من القصة، ولذلك لا يذكرها ويتركها القرآن الكريم.

فاقتصار القرآن الكريم على مواطن العبرة وعدم الدخول في التفصيلات، يقابله أن النفس البشرية بطبعها تتشوق لتفاصيل الحوادث، والوقائع، وتتشوف للأخبار، وتحب أن تعرف المزيد عنها، وقد سمعوا في كلام الله عز وجل الحديث عن الأمم السابقة، قوم نوح، عاد، وهود، ولوط، وشعيب، وفرعون، وأصحاب الفيل، وغيرها من القصص السابقة، والأمم الماضية، فأرادوا أن يعرفوا مزيدًا عن هذه القصص والوقائع، فطبيعة النفس تتشوف لذلك، واليهود كانوا بين المسلمين ويعيشون مع الصحابة في المدينة ومع المسلمين عمومًا، حيث كانوا أهل الذمة، وبينهم وبين المسلمين عقد ذمة، وهم أهل الكتاب قبلنا، أسفارهم وكتبهم كانت مليئةً جدًا بالحوادث والوقائع التي ذكر الله عز وجل طرفا منها، أضف إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن لنا في التحديث والرواية عن بني إسرائيل فقال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، كما أخرجه البخاري وغيره، وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم". فإذًا ما في القرآن من إجمالٍ، مع تشوف النفس لتفاصيل

الأخبار، ووجود اليهود، وهم الأمة السابقة لنا التي عندها الكتاب، مع إذن النبي صلى الله عليه وسلم بالتحديث عنهم، وسماع أخبارهم، هذه العوامل كلها كانت سببًا لظهور أخبار بني إسرائيل في التفسير، وفي تاريخ العلوم الإسلامية.

إلى هذا المعنى يشير **ابن خلدون** في مقدمته، في كلام طويل سأنقله بتمامه لأهميته، يقول عن سبب وجود هذه الإسرائيليات: "والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهودية. فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم، في أمثال هذه الأغراض، أخباراً موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات. وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُد صيتهم وعَظُمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ."

يقول إن هؤلاء كانوا - صحيح - من أهل الكتاب، لكنهم من العرب، والعرب بادية ليسوا أهل كتاب ولا علم، فما يعرفه أهل الكتاب من العرب، الذين كانوا عربًا، مثل ما يعرفه عامة أهل الكتاب، يعني ليس لهم تعمق في العلم بحيث يميزون تلك الروايات الموجودة في كتب أهل الكتاب، ويعرفون الصحيح منها من غيره، مع ما لهم من أقدارٍ عند أهل الإسلام، ومكانةٍ في الدين، فتلقّى الناس أخبارهم و أقاويلهم بالقبول.

لعل أيضًا من الحكمة في الإذن بالتحديث عن بني إسرائيل الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم معنى تأليف قلوبهم على الإسلام، لأن يدل على ما في الإسلام من عدل ونصفة، الرسول صلى الله عليه وسلم ما حارب أهل الكتاب ولا قطع العلاقة بهم، بل حتى أذن بالتحديث عنهم، فهو يشعر أن هذا الدين دين فيه إنصاف.

كذلك من فوائد التواصل مع أهل الكتاب، وسماع أخبارهم، والتعرف على كتبهم: أن نقف على ما فيها من ضلال، وما فيها من انحراف وتبديل، فنُصوّب ذلك، ونُبين لأهل تلك الكتب خطأهم وضلالهم.

موضوع الأخبار الإسرائيلية في كتب التفسير

إذا كانت هذه الإسرائيليات قد ظهرت في كتب التفسير، وتناقل أهل العلم أخبار بني إسرائيل، ففي أي شيء كانت تلك الأخبار والروايات التي تنقل عن بني إسرائيل؟ لا شك أن ما ذكرناه قبل قليلٍ من العوامل التي أدت إلى ظهور أخبار بني إسرائيل، يجيب عن هذا السؤال؛ وهو ما موضوع هذه الأخبار الإسرائيلية؟ ما ذكرناه من عوامل ظهور هذه الأخبار يجيب عن هذا السؤال.

قلنا إن القرآن قد أجمل في قصصه وأخباره، وعند بني إسرائيل تفصيل عنها، إذن غالب الأخبار، **غالب موضوعات بني إسرائيل التي أخذت عنهم تتعلق في غالبها - إن لم يكن جميعها - في مسألة القصص والحوادث،** سواءً الغابرة الماضية، ومايتعلق ببدء الخليقة والأمم السابقة لنا، أو المستقبلة التي ستقع في آخر الزمان، فهي في القصص والأخبار والملاحم وأحاديث آخر الزمان، دون مسائل الأحكام والعقائد، فهي في حقيقتها تفصيل لتلك القصص التي وردت مجملة في القرآن الكريم، دون دخول في العقائد والأحكام. ربما يرد في مضمون القصة شيءٌ له صلةٌ بالعقائد أو شيءٌ له صلةٌ بالأحكام، لكنه لم يكن مقصودًا ابتداءً، وهذا ترى معنى غاية في الأهمية، أحد العلماء من السلف من الصحابة أو التابعين يروي القصة عن بني إسرائيل، يريد معنى القصة الذي يطابق ما جاء في القرآن، دون أن يريد بعض الإشارات العقدية، أو بعض الإشارات التي تترتب عليها الأحكام، وهذا قد نلقي عليه المزيد من الضوء إن شاء الله مستقبلًا.

أيضًا **تَرِد الروايات الإسرائيليات لتتعلق بتعيين المبهمات،** كالإبهام في الزمان، أو الإبهام في المكان، أو الإبهام في الأعيان، أو حتى الإبهام في الألوان، مثل تعيين اسم صاحب القرية الذي أماته الله، مثل تعيين الجزء الذي ضرب به الميت من البقرة، مثل تعيين نوع الشجرة التي أكل منها آدم وزوجه، فأيضًا أخبار بني إسرائيل تتعلق بتعيين المبهمات.

نعم، أقول هذه هي موضوع أخبار بني إسرائيل، ولكن كما ذكرت لكم أنه قد يرد في هذه القصة تعيين لهذا المبهم، أو تفصيل ذلك الخبر، وقد يرد في سياقاتها نكارات وغرائب تخالف العقل أو تخالف الشرع، هي لم تكن مقصودة في ذاتها، لم يكن الراوي لها من السلف قد أراد تلك التفاصيل التي تناقض عقائدنا أو تناقض أحكامنا، إنما أراد السياق العام لها، سياق القصة، على سبيل الاستئناس بها، لا البناء عليها، ولا أخذ التشريع منها، ولكنه لأجل ذلك يتسامح فيها، لأن المقصود بها الاستئناس بذلك الخبر، والتحديث له دون ما قد يقع في القصة من نكارة، أو مخالفةٍ لعقائدنا أو أحكامنا.

هل روى الصحابة عن بني إسرائيل؟

هل الصحابة رضي الله عنهم لهم رواية عن بني إسرائيل؟ الحقيقة، إن ما يتعلق برواية الصحابة عن بني إسرائيل تحتاج إلى دراسة متأنية، نتعرف من خلالها على منهجهم فيها ونجيب من خلالها على عدد من الأسئلة من حيث: ما حجم تحديث الصحابة عن بني إسرائيل؟ ما مقدار ما ثبت منه؟ وفي أي شيء كان هو؟ أهو في الأخبار أم في الأحكام؟ وهل كان فعلًا أخبار بني إسرائيل من مصادرهم في التفسير؟ وهل هو فعلا يعتبر مصدرًا في التفسير؛ بمعنى أنه هل يوجد آيةٌ في القرآن الكريم لا يمكن لنا أن نفهمها إلا بالرواية الإسرائيلية؟ هل الأخبار التي ذكرها الصحابة عن بني إسرائيل أرادوا بها تفسير الآية، أم أنهم ذكروها هكذا على سبيل القصة والرواية دون أن يربطوها بالآية، وإنما جاء الربط بعدهم ممن أخذ عنهم، أو من المفسرين؟ بمعنى هل الصحابي حينما تكلم وذكر ذلك الخبر الإسرائيلي، هل هو ذكره وهو يفسر الآية؟ وربط به الآية؟ أم أن الربط جاء ممن بعدهم من التابعين، أو من غيرهم من المفسرين؟ ثم هل في ما حدَّثوا به عن بني إسرائيل ما يخالف الشرع؟ ما يخالف الكتاب والسنة، وظاهرها، أو يناقض العقل؟ ثم هل حدثوا بها عن بني إسرائيل، تلك الروايات، وهم يعتقدونها على سبيل الاعتقاد، أم على سبيل الاستئناس والاستشهاد بها؟ ثم أخيرا، هل وهم يحدثون عن بني إسرائيل هل هم يقبلون كل ما في تلك الأخبار التي رووها من تفصيل؟ أم أرادوا السياق العام دون تفاصيل تلك الأخبار؟

ونحن نريد أن نجيب عن الأسئلة، أو من يريد الإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن يكون المنهج العلمي هو الحاكم لنا، لا مجرد العواطف، فيجب أن يكون المنهج العلمي هو نصب أعيننا ولا تجرنا العاطفة، وموقف العداء مع اليهود، عليهم غضب الله ولعنته، لا يحملنا الموقف العدائي معهم إلى الشطط في موقفنا من أخبار بني إسرائيل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله عليه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 78]، وقاتلهم وقتلهم، وأجلاهم هو وصحابته، ومع ذلك هو الذي هو الذي يقول: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، فيجب ألا تأخذنا العواطف ونحن نتكلم في المنهج العلمي.

في المحاضرة القادمة، إن شاء الله، سنضع بعضًا من الضوابط المنهجية، بعضًا من الإضاءات المتعلقة بطريقة الصحابة - رضي الله عنهم - في رواية الأخبار عن بني إسرائيل. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله، ومنيرة فهد**

قام بالمراجعة الأولى: **أخت في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثانية عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد، يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الثانية عشرة من محاضرات تاريخ التفسير ضمن برنامج السعدي، المستوى الأول بأكاديمية تفسير.

كنا في المحاضرة الماضية تكلمنا عن موضوع من الموضوعات التي يكثر الحديث عنها في عصرنا الحاضر عند الباحثين والمختصين في الدراسات القرآنية، وهو: **الإسرائيليات في التفسير**، والموقف منها، والعمل بها. وقد أشرنا في المحاضرة الماضية إلى رواية الصحابة لأخبار بني إسرائيل، وطرحنا عددًا من الأسئلة من ضمنها: هل الصحابة أخذوا عن بني إسرائيل؟ وهل ما أخذوا يتعلق بالأحكام والعقائد، أم بغيره؟ وهل هم أرادوا بها الاستشهاد أم الاعتقاد؟ وهل هم ذكروها ابتداءً وهم يريدون تفسير كلام الله، أم لا؟ ثم، هل نستطيع أن نفهم كلام الله دون هذه الإسرائيليات؟ أو هل يوجد في كلام الله ما لا يفهم إلا بهذه الرواية الإسرائيلية؟

سنحاول في هذه المحاضرة والمحاضرة التي تليها الإجابة عن بعض هذه التساؤلات، وإلقاء الضوء عليها.

✓ موقف الصحابة من الإسرائيليات

أولاً: أول ما يظهر لنا أن **الصحابة -رضى الله عنهم- تعاملوا مع الروايات الإسرائيلية في حدود الإذن الشرعي من النبي عليه الصلاة والسلام؛ استشهادًا لا اعتقادًا**، فقط من باب الاستشهاد بها والاستئناس بها دون أن يكون ذلك على سبيل الاعتقاد بها، ومما يدل على ذلك ما نجده عند الصحابة من بعض الروايات التي تشدد في الرواية عن بني إسرائيل وتنهى عن ذلك مثل:

- يقول ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه-: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية (أي بقية تتعلق بالنفس من تاريخها الماضي)، تدعوه إلى دينه كتالية المال."
- ومثل ذلك مروي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، وابن عباس مشهور عنه أنه أخذ عن بني إسرائيل والرواية عنهم، فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كيف تسألون أهلَ الكتابِ عن شيءٍ، وكتابُكم الذي أُنزِلَ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أحدثُ، تقرؤونه محضا (يعني صافيًا) لم يُشَبْ (يعني لم يختلط بشيء)، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله وغيروه،

وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلمِ عن مسألتهم؟ لا والله، ما رأينا منهم رجلاً يسألُكم عن الذي أُنزِل عليكم."

فهذه الروايات التي جاءت عن الصحابة في التشديد في الأخذ عن بني إسرائيل والرواية عنهم، مع ما نراه منهم من الأخذ عن بني إسرائيل، نفهم منه أنهم كانوا يأخذون منهم على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الاعتقاد، أو أن ذلك محمول على النهي عن التوسع في الرواية عنهم، أو فيما يتعلق بما يترتب عليه الأحكام، هذه نقطة.

ثانياً: من أشهر مَن أُخذ عنهم الرواية عن بني إسرائيل من الصحابة: عبد الله بن عباس، وعمرو بن العاص، وعائشة، وكذلك أبو هريرة -رضى الله عنهم أجمعين-. هؤلاء من أشهر من أخذ عن بني إسرائيل على تفاوتٍ بينهم، ورواياتهم عن بني إسرائيل مبثوثة في كتب التفسير، لا سيما التي تعتني بالمروي عن السلف في التفسير.

ثالثاً: الصحابة -رضى الله عنهم- وهم يأخذون عن بني إسرائيل، ثبت عنهم التحري والدقة فيما يروونه عن بني إسرائيل، إذ لم يكونوا يكتفون بمجرد الرواية عنهم، بل كانوا يدققون فيما يروونه ويتثبَّتون إن كانت تلك الرواية التي أخذوها عن بني إسرائيل موجودة في كتبهم، أم مجرد رأي لذلك الذي أخذوا عنه. فمثلاً، عن سؤالهم لكعب الأحبار، وهو من أشهر من كان يُؤخذ عنه، يقولون له: "هل تجد في التوراة هذا الشيء؟ هل وجدته في التوراة؟ هل قرأته في التوراة؟"

ومما يدل على وعيهم بما ينقلون عن بني إسرائيل - يعني أنهم لم يكونوا فقط يأخذون عن بني إسرائيل دون وعي ونظر في تلك المرويات - وقد روى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: "إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"، وليس المراد بالكذب ههنا الافتراء وإنما المراد به الخطأ في النقل عن أهل الكتاب. انظروا كلام معاوية في تقييمه لكعب الأحبار، وهو من أشهر من كان يؤخذ عنه ومن أصدق من كان يُروى عنه من أخبار بني إسرائيل! وهذا معناه أنهم كانوا يختبرون، ويتأكدون، ويتثبَّتون مما يرونه.

يقول ابن سعد في طبقاته: "قال أبو بكر بن عياش: قلت للأعمش: ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب"، (ما لهم يتقون تفسير مجاهد) يعني: يتحاشونه. وفي رواية أخرى "أنهم كانوا يرون أن مجاهدًا كان يحدِّث عن صحيفة جابر". فهذا مجاهد -وهو أكثر السلف روايةً في التفسير له ستة آلاف رواية في التفسير -كما مرَّ معنا- وهذا مقامه ومنزلته فهو تلميذ ابن عباس الأول، ومع هذه المقامة والمنزلة كان هناك نوع من التحاشي في الرواية عنه.، لماذا؟ لأنه كان يسأل أهل الكتاب.

رابعاً: حقيقةً، ظهر لي أن غالب الروايات المروية عن بني إسرائيل، مأخوذة عن مُسْلِمَةِ أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، دون من بقي على ملته، يعني أن الصحابة كانوا في غالب ما يأخذون، يأخذون عن من أسلم من أهل الكتاب، وليس مِن مَن بقي على دينه في الغالب. نعم، قد يتلقونها عن غير المسلمين منهم، مثل: عبد الله بن عمرو بن العاص، والذي نُسب إليه أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب اليهود فكان يُحَدِّث منهما، فهذا ليس على إطلاقه، وإنما كان يُحَدّث منهما في حدود ما فهمه من الإذن في قوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، ولكن الغالب أنهم كانوا يأخذون عن مسلمة أهل الكتاب.

وما الفائدة إذا كانوا يأخذونها عن مسلمة أهل الكتاب، أو غيرهم؟ لا شك أن المسلم منهم له مزية ومكانة ليست لمن بقى على دينه، بل بعضهم قد يكون من الصحابة كعبد الله بن سلام، ويثبت له من العدالة، والمنزلة، والمكانة ما ثبت لسائر الصحابة.

خامساً: الذي يظهر أيضاً أن ما يذكره الصحابة من أخبار بني إسرائيل، يذكرونه على سبيل ذكر تفاصيل الأخبار الواردة بشكلٍ عام، ولا يلزم من ذكرهم لتلك الأخبار قبولهم لما ورد فيها، فقد يذكر القصة بعمومها وهو يريد المعنى العام لها، دون ما فيها من بعض التفاصيل التي قد تكون محل اعتراض، فهو إنما أراد بيان مجمل القصة التي وردت في القرآن، دون بعض التفاصيل الواردة في خبر بني إسرائيل، فلا يلزم من ذكرهم للقصة أو الخبر عن بني إسرائيل الذي يوضح المجمل في القرآن، لا يلزم منه قبولهم، وتصديقهم بكل تفاصيل تلك القصة، وإنما هذه قصة عامة مأخوذة عن بني إسرائيل، توضح هذا الإجمال العام الذي ورد في القرآن الكريم. هذه بعض المعالم المتعلقة بموقف الصحابة –رضى الله عنهم– من أخبار بني إسرائيل.

✓ موقف المفسرين من الإسرائيليات

إذا كان ما سبق هو موقف الصحابة من الاسرائيليات في الرواية، فما هو موقف المفسرين الذين جاءوا بعدهم من الروايات الإسرائيلية؟ المفسرون من الصحابة، والتابعين، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، أخذوا عن بني إسرائيل، ورووا عنهم روايات إسرائيلية في تفسير كلام الله. ومن خلال رصد تلك المرويات نجد أنها قليلة؛ بل نستطيع أن نقول أنها كانت نادرة في عصر الصحابة -رضى الله عنهم-، ثم حصل نوع من التوسع في عصر التابعين،ثم الذين توسعوا في ذلك توسعا كبيرا كانوا أتباع التابعين ومن جاء بعدهم من المفسرين.

إذًا، في عصر الصحابة، كانت الرواية عن بني إسرائيل قليلة أو نادرة. وفي عصر التابعين، توسعوا نوعًا ما، ولكن لم يكن توسعًا كبيرًا -أقصد به التابعين- الذين أخذوا عن الصحابة، ثم حصل توسع كبير في أتباع التابعين، ومن جاء بعدهم من المفسرين، يعني في -القرن الرابع الهجري وما بعده-، حصل نوع توسع كبير في الأخذ عن بني إسرائيل.

حينما نقول إن الأخذ عن بني إسرائيل قليل أو نادر، هذا بمقياس ما يُروَى عن المفسر، فإذا جئنا على صحابي مثل ابن عباس -رضي الله عنهما-، كم رُوي عنه في التفسير؟ روي عنه مثلاً ألف رواية في التفسير، أو ألف وخمسمائة مثلاً، كم تشكل هذه الروايات الإسرائيلية منهم؟ إذا كان له ألف رواية مثلاً في التفسير، ولم نجد له إلا عشر روايات إسرائيلية، أو عشرين، أو حتى ثلاثين رواية، أو خمسين رواية، فإن هذه قليلة ونادرة، لأنها لا تشكل إلا خمسة بالمائة مما روي عنه عن بني إسرائيل، فهي تعتبر قليلة ونادرة. كذلك لو أردنا أن نطبق هذا المعيار عند من جاء بعده من التابعين، وأتباع التابعين، كم مقدار ما روي عنه عمومًا في التفسير؟ وكم يشكل ما أخذ عن بني إسرائيل منها؟ وعندئذٍ نستطيع أن نخرج النسبة.

ظهر التوسع عند المفسرين – كما ذكرت لكم – **في القرن الرابع الهجري وما جاء بعده**. فيحيى بن سلَّام، وابن أبي حاتم، والطبري، توسعوا في الرواية عن بني إسرائيل، ومن أكثر من توسع في أخبار بني إسرائيل، **الثعلبي** -المتوفى سنة 427 للهجرة-، في أوائل القرن الخامس الهجري في تفسيره ***الكشف والبيان***، الحقيقة توسع بشكل كبير في مسألة الرواية عن بني إسرائيل.

هذا فيما يتعلق بالمفسرين والأخذ عن بني إسرائيل في عصر الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ومن جاء بعدهم من المفسرين؛ فهم بين مقلٍّ ومستكثر إلى يومنا هذا.

✓ التصنيف العام للمفسرين من حيث موقفهم من الرواية عن بني إسرائيل

إذا أردنا أن نصنف تصنيفًا عامًا للمفسرين، من حيث موقفهم من الرواية عن بني إسرائيل، نذكر تصنيفًا عامًا، فيمكن أن نقول إنهم على أربعة أصناف من المفسرين عمومًا:

1. مَنْ لا يذكر الأخبار عن بني إسرائيل مطلقًا، وهذا يكثر عند المفسرين المعاصرين، ومثله في الكتب المختصرة في التفسير، لا تذكر الأخبار عن بني إسرائيل، وكثير من المفسرين العاصرين، لا يذكرون أقوال بني إسرائيل، هذا قسم.
2. من يكثر من ذكرها، وهم على النقيض تمامًا من القسم الأول الذي لا يذكرها أبدًا؛ من يكثر من ذكرها مثل: الطبري، والثعلبي، والسيوطي في "الدر المنثور".
3. من يذكرها على نحو قليل جدًا، كابن عطية.
4. والقسم الرابع: من يذكرها، ومع ذكره لها ينتقدها، ويبين ما فيها من ضعف، إما من جهة المنقول، أو من جهة المعقول. وأشهر من اعتني بنقد الروايات الإسرائيلية: ابن كثير، والرازي، وإن كان ابن كثير يتميز عن الرازي؛ بأنه محدِّث له عناية بأصول المحدثين في نقد الروايات.

هذا بإجمال موقف المفسرين من الروايات الإسرائيلية، إما أنهم لا يذكرونها أبدًا، أو يكثرون من ذكرها، أو من يذكرها على نحو قليل، أو يكون ذاكرًا لها مع الانتقاد لها، وبيان ما فيها من ضعف، وخلط، وتزييف.

✓ حكم الرواية عن بني إسرائيل

إذا كان هذا موقف المفسرين من الروايات الإسرائيلية، بين من يذكرها، ومن لا يذكرها، بين من ينتقدها، ومن لا ينتقدها، فما **حكم أصلاً الرواية عن بني إسرائيل؟** أقول:

إن التحديث عن بني إسرائيل مطلقًا، مجرد التحديث عنهم، هذا أمر ورد به نص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- صريح حيث قال صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج". فمجرد الرواية عن بني إسرائيل، والتحديث عنهم بإطلاق دون ربطه بالتفسير، أو بالحديث، أو من غيره من هذه الأمور، وإنما الإنسان يحدث بخبره عن بني إسرائيل، هذا أمر ورد الإذن فيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مطلقًا فقال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج". وفي حديث آخر، قال: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار". فلا إشكال في مطلق الرواية عن بني إسرائيل وفق ما نصت عليه الأحاديث الصريحة، غير أنه **لا يُفهم من جواز التحديث عن بني إسرائيل أن نحدِّث عنهم ما نعلم يقينًا كذبهم فيه**؛ نعم، يجوز لي أن أحدث عنهم، لكن إذا علمت يقينا أن هذه الرواية مكذوبة، فلا يجوز التحديث عنهم.

ولهذا، قال ابن حجر في فتح الباري، وهو يعلق على حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: وقال الشافعي: "من المعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يُجيز التحديث بالكذب". فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل فيما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجيزونه، فلا حرج عليكم في التحديث به عنهم، وهو نظير قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم". ولم يَرِدِ الأذن، ولا المنع من التحديث بما يُقطع بصدقه.
إذًا نُحدِث عن بني إسرائيل إلا ما نعلم يقينًا كذبهم فيه؛ فإن الكذب لا يجوز، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يمكن أن يجيز لنا أن نحدِّث عن شيء نعلم كذبه.

إذًا، مجرد التحديث عن بني إسرائيل عمومًا، دون أن يكون مربوطًا بالكتاب والسنة، دون أن يكون مربوطًا بتفسير القرآن، أو شرح السنة، هذا لا حرج فيه، كما ورد به الإذن؛ إلا إذا علمنا أنه كذب، لكن محل نظرنا، ومحل الاختلاف الذي وقع بين الناس هو: هل يجوز لنا أن نحدث عن بني إسرائيل في مقام تفسير كلام الله -عز وجل- وبيانه؟ هل يجوز لنا أن نحدث عن بني إسرائيل، في مقام شرح سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أو توضيحها، أم لا؟ هذا هو الذي وقع الإشكال فيه عند بعض أهل العلم.

ونُرجِئ الكلام عنه بإذن الله تعالى ومشيئته إلى المحاضرة القادمة، حيث سنتكلم عن حكم الرواية عن بني إسرائيل، والتحديث عنهم في مجال تفسير كلام الله -عز وجل-، ومثله كذلك في شرح سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إلى ذلك اللقاء، أستودكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **مروة الماحي**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثالثة عشرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد فيطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الثالثة عشرة من محاضرات تاريخ التفسير والتي تلقى ضمن برنامج السعدي المستوى الأول. أيها الإخوة الكرام، تكلمنا في المحاضرة الماضية عن مسألة مهمة يكثر الحديث عنها في واقعنا الآن وفي الدراسات المعاصرة، وعند المهتمين بالتفسير والعلوم المرتبطة به، وهي مسألة **الإسرائيليات في التفسير**، وأشرنا إلى تعريفها وبعض المسائل المتعلقة بها، وموقف المفسِّرين منها.

✓ حكم الرواية عن بني إسرائيل

أشرنا إلى أن مطلق الرواية عن بني إسرائيل في أصلها جائز، وقد ورد به الإذن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، هذا الحديث دال على أنه يجوز التحديث عن بني إسرائيل. إذاً، فلا حرج أن نخبر - نحن أو أحد من أهل العلم - خبراً أو نروي روايةً عن بني إسرائيل، لا حرج في هذا لنص حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي الحديث الآخر "بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار"، فلا إشكال إذاً في مجرد أن يروي أهل العلم عن بني إسرائيل وأن يحدِّثوا عن أخبارهم فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أجاز ذلك لنا، بل إنَّه -عليه الصلاة والسلام- قال لنا: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصَّدقوهم ولا تكذِّبوهم"، فقد أذن لنا أن نُحدِّث عنهم، ولم يُلزمنا بتصديق أقوالهم ولا بتكذيبها من حيث الأصل، إذاً فإن مطلق التحديث عنهم لا حرج فيه، إنما الذي دار فيه البحث والكلام بين أهل العلم هو أن يُفسَّرَ كلام الله -عز وجل- بتلك الروايات عن بني إسرائيل - يعني أن يُحدَّثَ عنهم في باب تفسير كلام الله -عز وجل- وبيان مراده سبحانه وبحمده، ومراد نبيه -صلى الله عليه وسلم-، هذا الذي وقع فيه الخلاف بين أهل العلم، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن إباحة الرواية عن بني إسرائيل لا تعني أن يفُسّر كلام الله عز وجل بتلك الروايات المنقولة عنهم، أو أن تُحمل معاني القرآن الكريم أو معاني السنة النبوية على ما تدل عليه تلك الروايات الإسرائيلية.

يقول الشيخ **أحمد شاكر**-رحمه الله- في كتابه ***عمدة التفسير***: "إنّ إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيءٌ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً وروايةً في معنى الآيات أو في تعيين مالم يُعيَّن فيها أو في تفصيل ما أُجمل فيها شيءٌ آخر، -قال-: لأنّ في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يُوهِمُ أنّ هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيِّنٌ لمعنى قول الله سبحانه، ومُفصّلٌ لما أُجمل فيه، -قال-: وحاشا لله ولكتابه من ذلك،

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أذن بالتحدث عنهم، أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، -ثم قال-: فأيُّ تصديقٍ لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير والبيان." انتهى كلامه -رحمه الله. وهذا الكلام فيه أنه يُفرِّق بين أنه يجوز أن نحدِّثَ مطلقاً عن بني إسرائيل وبين أن نحمل معاني كلام الله تعالى على تلك الروايات ونقرن تلك الروايات بتفسير كلام الله عز وجل.

والحقيقة هذا الكلام وإن كان فيه وجاهة، فإن ظاهر نصوص الكتاب والسنة تدل على جواز التحديث عنهم مطلقاً دون تفريق بين أن يكون هذا مرتبطاً بمعنى كلام الله أو غير مرتبط به، يقول الله عز وجل لنبيه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:94]، ويقول عز وجل: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:211]، ويقول عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:101]، هذه النصوص من القرآن الكريم فيها توجيه النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال أهل الكتاب سؤالاً مطلقاً، لم يُقيَّد بحالٍ دون حال، لم يقل له يجوز لك سؤالهم فيما لا يتعلق بمعنى القرآن الكريم. وأما السنة فقد أشرت قبل قليل إلى عدد من الأحاديث الدالة على جواز التحديث عن بني إسرائيل، "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" ويقول -عليه الصلاة والسلام-: "إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، فظاهر النصوص دال على جواز التحديث عنهم بلا تفريق.

✓ حقيقة أخذ الصحابة والتابعين عن بني اسرائيل

بقي الحقيقة بعد هذا التقرير أن يُنظر في فعل السلف خصوصاً الصحابة والتابعين، والتابعين لهم من أهل القرون المفضلة هل أخذوا عن بني إسرائيل في مقام بيان كلام الله عز وجل وتفسيره له أم لا.

- كان أخذهم عنهم في مقام الاستشهاد والتفصيل: الذي وجدناه من فعل الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم أنهم أخذو عنهم - وذكروا رواياتهم في تفسير كلام الله عز وجل- ولكن ذلك وقع منهم في مقام الاستشهاد والتفصيل لما أُجمل دون الاعتقاد والتشريع، يعني أخذوا روايات بني إسرائيل في مقام الاستشهاد وتفصيل المجمل لا في بيان العقائد والأحكام الشرعية.
- كان أخذهم قليلا جدا: والصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون إذ أخذوا عن بني إسرائيل في هذا المقام في مقام الاستئناس والاستشهاد فإن الذي أخذوه عنهم قليلٌ جداً لا سيما الصحابة، فإن المروي عن الصحابة في باب ما روي عن بني إسرائيل قليل جداً، كيف نقول إنه قليلٌ جداً؟ ذلك إذا قارنت آلاف الروايات المروية عن الصحابة ستجد أنّ نسبة ما يشكله ما أخذوه من روايةٍ إسرائيلية عن بني إسرائيل قليلٌ جداً بل نستطيع أن نقول جازمين إنه نادر.

- قد يكون للصحابة مصادر أخرى أخذوا منها غير بني إسرائيل: مع أننا لا نُسلّم بأن كل ما يقوله الصحابة، لا سيما في القصص والأخبار، أنهم قد أخذوه عن بني إسرائيل، لأنه قد يكون هذا رأيه هو وقوله هو لم يأخذه عن بني إسرائيل، وإنما يكون له في ذلك مصدر آخر غير بني إسرائيل، هذا أمر.
- وأما ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو عن بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- من النهي عن الأخذ عن بني إسرائيل وإنكار الرواية عنهم، فتوجيه ذلك، كما يقول **العيني** في شرحه: "أنَّ ذلك كان أول الأمر، قبل ظهور العلم واستقرار أحكام الشريعة ورسوخها في القلوب مخافة الفتنة"، يعني أن ذلك النهي كان قبل استقرار الشريعة وقبل رسوخها مخافة أن يكون هناك فتنة في التحديث عنهم، "أو أن المنهي عنه ما يتعلق بطلب الهداية من كتبهم"، يعني أن النصوص الواردة في النهي عن الأخذ عن بني إسرائيل سواء ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو ما ورد عن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- لعله محمول على أول الأمر قبل استقرار الشريعة ورسوخ أحكامها، أو أن ذلك النهي يتعلق بطلب الهداية من كتبهم.
- وقال **الطيبي**: "ولا منافاة بين إذنه هنا - يعني بالتحديث عن بني إسرائيل - ونهيه في خبر آخر عن التحديث عنهم، وفي آخر عن النظر في كتبهم - كما وقع مع عمر -رضي الله عنه- وسيأتي ذلك-، لأنه أراد هنا التحديث بقصصهم نحو قتل أنفسهم بتوبتهم، وبالنهي - يعني وبالنهي عن التحديث عنهم - العمل بالأحكام لنسخها بشرعه أو النهي في صدر الإسلام قبل استقرار الأحكام الدينية والقواعد الإسلامية فلما استقرت أَذِنَ لأمن المحذور".
- وهذا قد نقله **المناوي** في ***فيض القدير شرح الجامع الصغير***.
- فعل السلف الدال على جواز التحديث عنهم: وأيضاً بعد الصحابة والتابعين فإن فعل السلف دالٌ أيضاً على جواز التحديث عنهم، فإنا وجدنا أئمة التفسير يتتابعون من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين إلى يومنا هذا وهم ينقلون عن بني إسرائيل.
- والقول بجواز التحديث عنهم - حتى فيما يتعلق بالتفسير - لا يعني القبول المطلق بها، بل إن تلك الروايات تُوقَف عند باب النقد والنظر العلمي لها، فإذا جاءتنا الرواية تناقض شرعنا وتعارضه فإننا نردها، ولا نتردد في ذلك، كذلك إذا جاءت مناقضة للعقل الذي استقر عند الناس، أو مناقضة للسنن الإلهية المستقرة عند الناس، فإننا لا نقبلها.

✓ أقسام الرواية عن بني إسرائيل

ومن أحسن ما ورد في تفصيل ما يتعلق بحكم الرواية عن بني إسرائيل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الروايات الإسرائيلية تقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. **ما يوافق شرعنا فهو مقبول**، مثل أن موسى رسول بني إسرائيل، هذا ثابت في شرعنا، وهو أيضاً ثابت عندهم، وعلى هذا المعنى يحمل قوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، يعني فيما يوافق شرعنا.
2. **ما يخالف شرعنا، فهو مردودٌ عليهم ولا نقبله**، وعليه يحمل نهي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- لما أصاب عمر بن الخطاب كتاباً من بعض أهل الكتاب فأتى به النبيَ صلى الله عليه وسلم فأخذ يقرأ منه، فتغيّر وجه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال له: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطَّاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاءَ نقية، ولو كان موسى بن عمران حيّاً ما وسعه إلا اتّباعي"، وقال له: "لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبرونكم بحق فتكذبونه، أو بباطلٍ فتصدقونه"، وهذا الأثر وإن كان روي بأساليب متنوعة، لكن لا يخلو أحد منها من مقال، لكن مجموعها يجعله يرتقي إلى رتبة الحسن.
3. **ما لا يوافق شرعنا ولا يخالفه، وذاك المسكوت عنه**، فهذا المسكوت عنه **تجوز روايته**، لأنك لا تعلم صدقه من كذبه فأنت ترويه على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الاعتقاد، تستشهد به على تفصيل قصة وردت في القرآن الكريم، على تعيين مبهم، أو بيان مجمل مما ورد في القرآن الكريم، وهذا معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم".

هذا بإجمال ما يتعلق بحكم الرواية عن بني إسرائيل، وأنها تختلف بنوع المروي عنهم من حيث أنه يوافق شرعنا أو يخالفه أو مسكوتٌ عنه.

✓ أراء المهتمين والدارسين بالأخذ بالإسرائيليات

- ردها بإطلاق: قد يرد كثيراً عند بعض المهتمين والدارسين أن الأخذ عن بني إسرائيل يفتح باباً في الروايات المكذوبة، في الروايات المختلقة، في القصص التي تخالف العقل والسنن والفطرة الإلهية، ولأجل ذلك يجب أن نردها.
- قبولها بإطلاق: وآخرون يقولون إن السلف - رحمهم الله - قد رووا عنهم ونحن لا نخالف السلف. الناس بين طرفي نقيض في هذا الأمر، بين من يقبل كل شاذة وفاذة عن بني إسرائيل ولا يميز ولا يمحص، وبين من يردها بإطلاق.
- القول الوسط: نأخذها ضمن ضوابط، والحق والعدل بين هذا وبين هذا وذاك، إذ يجب علينا أن ننطلق من فعل السلف -رحمهم الله ورضي عنهم- من أصحاب القرون المفضلة كيف كانوا في تعاملهم مع تلك الروايات الإسرائيلية، نأخذها ضمن ضوابط.

✓ بعض الضوابط في التعامل مع الروايات الإسرائيلية

لأخينا فضيلة الدكتور **مساعد الطيار** محاولة لاستنباط بعض الضوابط في التعامل مع تلك الروايات الإسرائيلية تجعلنا نقبل تلك الرواية، ويتقوى الأخذ بها عند اجتماع هذه الضوابط، وقد استنبطها كما ذكر من صنيع الإمام الطبري رحمه الله، وهذه الضوابط هي:

1. موافقة كتاب الله عز وجل لها، ومعنى الموافقة، ألا يَرِد في كتاب الله ما يخالفها.
2. ألا يرد في السنة ما يعارضها، أي ألا يرد معارضاً لخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يردنا معارض من خبر النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الرواية الإسرائيلية فهذا أمارة تجعلنا نقبل تلك الرواية.
3. أن توافق لغة العرب، بمعنى أن تأتي أن توافق المعنى الذي يُفهم به نص الآية ولا يتناقض مع أساليب العرب وتركيبهم للكلام ونظمهم.
4. أن يتتابع الصحابة والتابعون على تلك الرواية الإسرائيلية دون اعتراض منهم عليها، هذا التتابع دليلٌ على قبولها في الجملة.
5. أن يكون من الأمور الممكنة غير المستحيلة، يعني أن يكون أمراً ممكناً، أما خوارق العادات ومناقضة السنن الإلهية فذاك يُرد عليهم.

هذه الضوابط الخمسة مهمة في الحقيقة، نجملها فنقول: ألا تعارض الكتاب، ألا تعارض السنة، وألا تعارض لغة العرب، وأن يتتابع الصحابة على قبولها، وأن تكون من الأمور الممكنة. هذه من الضوابط التي نستفيدها في قبولنا لروايات بني إسرائيل.

✓ هل الإسرائيليات من مصادر التفسير؟

وهذا سؤالٌ كبير الحقيقة، وبمعنى آخر، هل نحن بحاجة إلى الإسرائيليات في تفسير كلام الله عز وجل؟ قبل أن نجيب على هذا السؤال المهم لا بد أن نقرر معنى التفسير بالإسرائيليات، وحقيقته، والمقصود، والمقصود به:

- لا يتوقف تفسير كلام الله على الروايات الإسرائيلية: فإذا كان المراد بالتفسير بيان معاني القرآن الكريم والكشف عنها بحيث أن القارئ يفهم مراد الله عز وجل، فنستطيع القول جازمين بأننا لسنا بحاجة إلى الروايات الإسرائيلية في تحقيق هذا المعنى، أعني به أن نفهم كلام الله، وأن نفهم مراده، وأن نعمل به، فكلام الله لا يتوقف على شيء من تلك الروايات الإسرائيلية وأعني بذلك معاني الألفاظ ودلالاتها، ولا يعني هذا أن القصة القرآنية قد تكون استوعبت كل أجزاء الخبر، كلّا.
- الرواية الإسرائيلية قد تذكر تفصيلات غير مهمة لفهم المعنى الأساسي: قد يرد في القصة القرآنية، إغفال بعض أحداث تلك القصة، لكن هذا الإغفال لا يؤثر علينا في فهم معنى القصة، ولا يؤثر في الاستدلال بها، ولا

يؤثر في العمل بمقتضاها. نعم، قد تكون الرواية الإسرائيلية فيها تفصيل لما أُجمل في القرآن الكريم، لكن هذا التفصيل لا يؤثر في فهم حقيقة القصة، ولنضرب على ذلك مثالاً: اسم صاحب القرية مثلاً، أو أصحاب القرية، اسم القرية نفسها، اسم الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، اسماء أصحاب الكهف، أعدادهم، في أي زمن كانوا، هذه كلها تفاصيل لم ترد في القصة القرآنية قصداً، ونحن نستطيع أن نفهم المعنى العام للقصة، ونستفيد منها، ونعمل بمقتضاها، دون أن نرجع إلى الروايات الإسرائيلية، وفي الوقت ذاته فإن الروايات الإسرائيلية ستفيدنا في هذه التفصيلات في أسماء صاحب القرية، في أسماء أهل القرية، في مكان القرية وزمانها، لكنها تفصيلات غير مؤثرة في فهم المعنى الأساسي للآية الكريمة، فهي تتعلق بتوضيح مجمل أو تعيين مبهم، ولكنها لا تؤثر في فهم أصل المعنى.

- ليس بالضرورة أخذ الصحابة والتابعين من بني إسرائيل: أمرٌ آخر، ولعلي أشرت إليه سابقاً في أثناء الكلام، وهو أن بعض الروايات المروية عن الصحابة والتابعين في تفصيل تلك القصص القرآنية المجملة، ليست بالضرورة أنهم أخذوها عن بني إسرائيل، قد تكون لهم مصادرهم الأخرى التي تلقوها، وتلقوا ذلك الخبر منها أيا يكن ذلك المصدر، فلا يلزم أن تكون تلك الرواية عنهم هي مما أخذوه عن بني إسرائيل، بل هذا القول هو قول الصحابي أو قول التابعي، قوله هو ورأيه هو، قد يكون أصاب فيه، وقد يكون أخطأ، ولكنه هو رأيه وليس بالضرورة أن يكون أخذها عن بني إسرائيل، تصورنا لهذا الكلام كله يجعلنا نجزم يقيناً أن الروايات عن بني إسرائيل عن الصحابة قليلةٌ جداً، بل نادرة.
- تلك الأخبار المروية عن بني إسرائيل أيضاً هي مما لا يُقطع بصدقه ولا بكذبه، وذلك بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم "فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم". وإذا كان هذا الحال أن غالب تلك الروايات الإسرائيلية لا نستطيع الجزم بصدقهم فيها أو كذبهم، فكيف يكون الاعتماد عليها، وكيف يُزعم أنها أحد مصادر التفسير، وتجعل من مصادر تفسير السلف الروايات الإسرائيلية، مع أنها أيضاً نادرة، ثم أيضاً هي لا نستطيع الجزم بصدقهم أو كذبهم فيها، ولهذا يقول الدكتور **حسين المحبي** تعليقاً على هذا المعنى: "فإن قيل بل يمكن الجزم بالمعاني والبيان الذي استقلت الإسرائيليات ببيانه، قلنا هذا مخالفٌ لنص قول النبي صلى الله عليه وسلم الصريح الذي لا يحتمل تأويلاً وهو قوله صلى الله عليه وسلم :"إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، -يقول-: والقاعدة المقررة عند أهل العلم، وهي من أصول الاستدلال عند أهل السنة أن ما لا يدرك علمه بالعقل، فلا بد فيه من الخبر الصادق المحض، وهذا المعنى ثابت بأدلة القرآن والسنة القطعية".

- يعني يقول **المحبي** أن ما لا يدرك بالعقل فلا بد فيه من النقل ولا بد أن يكون ذلك النقل صحيحاً، ونحن نعلم أن تعاملنا مع روايات بني إسرائيل يكون كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم".

وأخيراً، فالتطبيق الذي وجدناه عند السلف وخصوصاً الصحابة يشهد لهذا المعنى الذي نقرره، فجُل ما روي عن الصحابة، إن لم يكن جميعه، من هذا الباب، أعني به بيان الإجمال وتعيين الإبهام في القصص والأخبار، يسوقها الصحابة على سبيل الاستشهاد والاستئناس، لا على سبيل الاستدلال بها في مسائل العقائد ومسائل الأحكام.

بهذا أيها الإخوة نكون أنهينا الكلام عن هذه المسألة المهمة، وبانتهائنا منها نكون قد انتهينا من الكلام عن المرحلة الأولى من مراحل تاريخ التفسير.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**.

قام بالمراجعة الأولى: **خلدون الأتاسي**.

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الرابعة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد، تكلمنا أيها الأخوة الكرام في اللقاءات السابقة عن المراحل التي مر بها تاريخ علم التفسير ، تكلمنا عن **المرحلة الأولى من مراحل تاريخ التفسير** وهي **مرحلة النشأة والظهور**، وتشمل هذه المرحلة: مرحلة **التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه** -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، ثم **التفسير في عصر التابعين** -رحمهم الله. وتكلمنا في هذه المرحلة بإسهاب، وذكرنا سماتها ومميزاتها، وبعض المسائل المهمة فيها كالحديث عن الإسرائيليات ودخولها في التفسير، والحديث أيضا عن الضعف في التفسير بالمأثور، ومواقف أهل العلم والدارسين من هذا الضعف في التفسير بين الإفراط والتفريط، وتكلمنا عن بعض النقاط المهمة في هذا الصدد . واليوم إن شاء الله عز وجل سنبدأ الحديث عن **المرحلة الثانية من تاريخ علم التفسير** وهي:

التفسير في عصور التدوين

((أشار **الذهبي** في كتابه ***التفسير والمفسرون***، الجزء الأول، إلى ابتداء هذه المرحلة من مبدأ ظهور التدوين في أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين، ثم قسّم التفسير إلى خطوات، هذا ملخصها:

1. **الخطوة الأولى للتفسير**: كان التفسير قبل عصر التدوين يتناقل بطريق الرواية. فالصحابة يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروي بعضهم عن بعض، والتابعون يروون عن الصحابة كما يروي بعضهم عن بعض.
2. **الخطوة الثانية**: بعد عصر الصحابة والتابعين، خطا التفسير خطوة ثانية حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية من مبدئه إلى منتهاه، بل وجد من العلماء من طوّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما روي في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، ومن هؤلاء: يزيد بن هارون السلمي (ت 117هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت 160هـ)، ووكيع بن الجراح (ت 197هـ)، وسفيان بن عيينة (ت 198هـ)، وغيرهم، وهؤلاء جميعا كانوا أئمة حديث، فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال وانفراد، وجميع ما نقله هؤلاء الأعلام عن أسلافهم من أئمة التفسير نقلوه مسندا إليهم، غير أن هذه التفاسير لم يصل إلينا شيء منها، ولذا لا نستطيع أن نحكم عليها.

3. **الخطوة الثالثة**: بعد ذلك خطا التفسير خطوة ثالثة انفصل بها عن الحديث فأصبح علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف. وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجه (ت 273هـ)، وابن جرير الطبري (ت 310هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت 318هـ)، وابن أبي حاتم (ت 327هـ)، وأبو الشيخ بن حبان (ت 369هـ)، والحاكم (ت 405هـ)، وغيرهم من أئمة هذا الشأن. وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

وإذا كان التفسير قد خطا هذه الخطوة الثالثة التي انفصل بها عن الحديث فليس معنى ذلك أن هذه الخطوة محت ما قبلها وألغت العمل به، بل معناه أن التفسير تدرج في خطواته، فبعد أن كانت الخطوة الأولى للتفسير هي النقل عن طريق التلقي والرواية، كانت الخطوة الثانية له، وهي تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة، وهي تدوينه على استقلال وانفراد، فكل هذه الخطوات ثم إسلام بعضها إلى بعض، بل وظل المحدثون بعد هذه الخطوة الثالثة يسيرون على نمط الخطوة الثانية من رواية المنقول من التفسير في باب خاص من أبواب الحديث مقتصرين في ذلك على ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة أو عن التابعين.

4. **الخطوة الرابعة**: لم يقف التفسير عند هذه الخطوة الثالثة بل خطا بعدها خطوة رابعة، لم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور، وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فصنَّف في التفسير خلق كثير، اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوها لقائليها، فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر في هذه الكتب يظن أن كل ما فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، ونقلوا ما جاء في هذه الكتب من إسرائيليات على أنها حقائق ثابتة، وكان هذا هو مبدأ ظهور خطر الوضع والإسرائيليات في التفسير.

5. **الخطوة الخامسة**: ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة خامسة وهي أوسع الخطا وأفسحها، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصورا على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة، تجتوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ في ذلك.))[12]

إذن، هذه المرحلة من تاريخ التفسير، وهي عصور التدوين، تبدأ تقريبا من القرن الثاني الهجري وتمتد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، فهي على هذا تشمل أواخر عصر التابعين وأتباع التابعين ، وهذه المرحلة شهدت ظهور التدوين في علوم الشريعة كلها. إذا رجعنا إلى المصادر التي تكلمت عن تاريخ التدوين في علوم الشريعة سنجد أنهم يشيرون إلى أن التدوين في علوم الشريعة قد ظهر في القرن الثاني الهجري، وذلك لأن تناقل علم الشريعة قبل هذه

[12] منقول بتصرف من كتاب "التفسير والمفسرون"، الدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 104-108

المرحلة، كما أشرنا سابقاً، كان عن طريق الرواية والمشافهة وكان هذا هو الأصل. نعم، قد يوجد مدونات، ويوجد رسائل مختصرة، كتابات مختصرة لكن السمة الغالبة قبل هذه المرحلة كانت نقل العلم عن طريق الرواية والمشافهة.

أما في هذه المرحلة فقد بدأ التدوين لعلوم الشريعة ومن ضمنها **علم التفسير** الذي حظي بالاهتمام والعناية مبكرا؛ بل يمكن أن نقول أن التدوين في علم التفسير ظهر في آواخر القرن الأول الهجري، فإذا استثنينا بعض المؤلفات التي ظهرت في آواخر القرن الأول الهجري نستطيع أن نقول أن **بداية القرن الثاني الهجري هي البداية الفعلية للتدوين في علوم الشريعة ومن ضمنها علم التفسير.**

ليس من السهل معرفة أول من دوَّن تفسير كل القرآن مرتبا:

لا نستطيع، بل من العسير علينا أن نعيّن بالضبط المفسر الأول الذي فسر القرآن آية آية، ودوَّنه على التتابع وحسب ترتيب المصحف، والسبب في ذلك يرجع إلى أن تاريخ التدوين في علوم الشريعة، ومن ضمنها علم التفسير لم يلق عناية دقيقة تكشف عن مراحله وتفاصيله، لا سيما المراحل المتقدمة الأولى المتعلقة بنشأته وظهوره، وهذا ناتج أصلا من أن طبيعة البحث في تاريخ العلوم بصفة عامة أمرٌ صعب ويحتاج إلى تنقيب ويحتاج إلى جهد ووقت كبير، لهذا انصرفت همة كثير من الباحثين عن هذا الموضوع، مما يجعلنا نقول أنه من المواضيع التي لم يتم التطرق إليها بشكل كبير.

ما الذي يعين الباحث على النظر والبحث في تاريخ علوم الشريعة، ومن ضمنها تاريخ علم التفسير؟ من أهم المصادر التي تعتني بهذا الأمر هي:

- كتب الطبقات والتراجم التي عرَّفَت بالعلماء،
- والكتب التي تعرف بالمدونات في علوم الشريعة مثل كتاب ***كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون***، لحاجي خليفة،
- والنظر في المؤلفات التفسيرية ذاتها أو غيرها، فهذه المؤلفات تحيل إلى المصادر السابقة والمتقدمة عليها،

ومما يجعل البحث في تاريخ تدوين علم التفسير أمراً صعباً، هو صعوبة الوصول لذات المؤلفات التي يذكرها أهل العلم، فقد يذكر أهل العلم أن فلانا ألّف في التفسير، وفلانا ألف في التفسير، لكننا لا نستطيع الوصول إلى تلك المؤلفات، لأن الكثير من تراثنا العلمي ضاع بسبب عوامل متنوعة، ليس هذا وقت الحديث عنها.

كما أن بعض تلك الصحف والمدونات المتقدمة قد تنسب إلى من كتبها، وليس لهذا الكاتب إلا مجرد الرواية فقط في هذا الكتاب، فما هو إلا راوٍ عن من أخذ عنه، وهذا الأمر يقع كثيراً في المدونات المنسوبة إلى التابعين وأتباع التابعين.

لعلنا نوضح ذلك بمثال مثلا : عَزرة ابن عبدالرحمن كتب التفسير عن مجاهد فلا يستقيم أن ينسب التفسير إليه لأن هو في الحقيقة راويه عن مجاهد. ومثل ما ذكره علي ابن المديني عن يحيى ابن سعيد يقول : قال معاذ، قال ورقاء، كتاب التفسير، قرأت نصفه على ابن ابي نجيح وقرأ نصفه علي، وقال ابن أبي نجيح هذا تفسير مجاهد ، فماله في ذلك إلا مجرد الرواية. فمثل هذه المدونات الحق أن تنسب إلى من رويت عنه لا من كتبها لأنه لا يعدو أن يكون مجرد ناسخٍ أو راوٍ.

فهذه العوامل تجعل البحث في أول من ألّف في التفسير، والبحث في تاريخ التدوين في علم التفسير، تجعله صعبا، ويجعلنا لا نستطيع القطع بمتى ظهرت أول مدونة كامله في التفسير، وأعني بمدونة كاملة، بمعنى أنها تجمع تفسير القرآن الكريم سورة سورة وآية أية.

ولكن كل الذي بين أيدينا وكل ما نعلمه من خلال كتب الرواة، ومن خلال كتب الجرح والتعديل، ومن خلال كتب فهرسة المدونات وكتب التفاسير، إنما يثبت أن التدوين لهذا العلم لم يتأخر كثيرا بل بدأ مبكرا. فإذا نظرنا إلى كتب التراجم، وإلى كتب الجرحِ والتعديل، وإلى كتب الطبقات، وإلى كتب المفسرين المتقدمين سنكتشف من خلالها أن التدوين في علم التفسير لم يتأخر كثيرا؛ بل لم يتأخر إلى القرن الثاني حيث ظهرت إشارات إلى التدوين في علم التفسير في أواخر القرن الأول الهجري، لهذا يرى بعض الباحثين أن التدوين في علم التفسير لم يتأخر إلى القرن الثاني الهجري بل ظهر في أواخر القرن الأول الهجري، فهناك مثلا من يرى أن **مجاهد ابن جبر** هو أول من كتب تفسيرا كاملا للقرآن، ثم تبعه بعد ذلك **سعيد ابن جبير** وهذا في حدود سنة 85 للهجرة، إذن فهو في أواخر القرن الأول الهجري.

وبكل حال يمكن أن يقال أن **أول كتابٍ وصل إلينا كاملا في تفسير القرآن الكريم هو كتاب مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، والذي طُبع أخيرا بتحقيق الدكتور أحمد فريد في ثلاث مجلدات. هذا الكتاب يمكن أن يقال أنه أول كتاب وصل إلينا في تفسير القرآن كاملا عن مقاتل ابن سليمان.

تشير كتب الطبقات وكتب التراجم إلى أن عددا من الأئمة الكبار المشهورين قد ألفوا في التفسير في وقت مبكر مثل: **سُنيد ابن داود المصيصي** المتوفى سنة 226 هـ ، يقول أبو حاتم الرازي: لسُنيد تفسير كبير رأيته كله بالأسانيد. فهو قد رآه واطلع عليه لكننا لم نجده الآن وبالتالي هو بالنسبة إلينا كتاب مفقود. وأيضاً، **سعيد ابن منصور** المتوفى 227هـ ، كذلك، **محمد بن أبي شيبه** المتوفى سنة 235 هـ، و**اسحاق ابن راهوية** المتوفى سنة 238 هـ ، كذلك **أبو عبد الرحمن، بقي ابن مخلد** المتوفى سنة 276 هـ. كل هؤلاء نسبت إليهم تفاسير للقرآن الكريم لكن الكثير منها لا نستطيع تبينه ومعرفته لأننا لم نجده ولأنه أيضا مفقود.

✓ طرق التدوين في التفسير في هذه المرحلة

الطريقة الأولى: أن يؤلَّف في التفسير استقلالاً فلا يدخل معه غيره:

- كانت غالب التفاسير التي على هذه الطريقة صحفا مروية بالإسناد، مثل تفسير **سعيد ابن جبير**، المتوفى سنة 94 هـ، الذي أشرنا إليه والذي كتبه عنه عَزرة ابن عبد الرحمن. قال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" في ترجمة عطاء ابن دينار الهذلي، المتوفى 126هـ، قال: "كان عبدالملك ابن مروان (المتوفى سنة 86هـ) سأل سعيد ابن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير"، إذن، هذا نص واضح يثبت أن سعيد بن جبير كتب تفسيرا للقرآن الكريم في أواخر القرن الأول الهجري.
- كذلك **عطية العوفي**، المتوفى سنة 111هـ ،
- وإسماعيل بن **عبد الرحمن السدي**، المتوفي سنة 127 هـ ،
- **وزيد ابن اسلم**، المتوفى سنة 136 هـ، يقول ابن حجر في "العجاب في بيان الأسباب": تفسير زيد ابن اسلم من رواية ابنه عبد الرحمن عنه وهي نسخة كبيرة، فهذا يدل على أنه اطلع عليها أو وقف على شيء منها.
- تفسير **علي ابن طلحة**، المتوفى سنة 143 هـ.
- تفسير **مقاتل ابن سليمان**،المتوفى سنة 150 هـ، والذي اشرنا إليه، وهو يعتبر أول كتاب وصل إلينا لتفسير القرآن كاملا مطبوع ومتداول.
- تفسير **وكيع ابن الجراح**، المتوفى سنة 197 هـ.
- تفسير **يحي ابن سلام البصري** المتوفى سنة 200 هـ، تفسير يحيى ابن سلام طبع جزء منه بتحقيق الدكتورة هند شلبي
- كذلك، تفسير **عبد الرزاق الصنعاني**، المتوفى سنة 211هـ.

فكل هذه صحف في التفسير تُروى في غالبها مسندةً عن من نسبت إليه

ما الذي ميز هذا النوع من التفسير؟

يتميز بأنه يعتني ببيان مفردات ألفاظ القرآن الكريم وبيان غريبه، كذلك يعتني ببيان أسباب النزول، ويشير إلى ناسخ القرآن ومنسوخه فيها، كما يهتم بتعيين المبهم من الأسماء أو البلدان أو التواريخ أو حتى الأماكن، كذلك يعتني ببيان قصص القرآن الكريم وبيان أحكامه. هذه الصحف وهذه المدونات لا تخرج عن هذا الذي أشرت إليه، وهي في الحقيقة امتداد لما أشرنا إليه من خصائص التفسير في المرحلة الأولى، مرحلة النشأة والظهور.

الطريقة الثانية: أن يؤلف في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير المرتبطة به ارتباطا وثيقا:

مثل: إعراب القرآن، معاني القرآن، ناسخ القرآن ومنسوخه، مشكل القرآن، نزول القرآن، مبهمات القرآن ، أحكام القرآن. فهذه الطريقة الثانية في التفسير هي في حقيقتها تفسير للقرآن لكن تفسير من ناحية معينة إما بيان غريبه، وإما بيان مشكله، وإما بيان ناسخه ومنسوخه، وإما بيان أسباب نزوله، أو تعيين مبهمه، وهكذا.

والتفسير في هذه المرحلة له أهمية إذ هذه المرحلة هي أساس الحركة العلمية المرتبطة بالتفسير، فكل الحركة العلمية المتعلقة بالتفسير هي في أساسها تنطلق من هذه المرحلة، ولهذا سنفصل القول في بعض تلك الفنون المتعلقة بالتفسير على نحو يساعدنا في تجلية صورة التأليف في تلك المرحلة. **لماذا ؟** لأن هذه المدونات التي ظهرت في هذه المرحلة عليها قام التفسير، وكل من جاء بعدهم من المفسرين وكل كتب التفسير التي ظهرت بعد ذلك إلى يومنا هذا كلها الحقيقة تعتمد على هذه المدونات بشكل كبير، ولهذا سنقف عند بعض هذه العلوم المتعلقة بالتفسير ونذكر بعض أهم المؤلفات فيها، ونبدأ بالكلام عن علم إعراب القرآن الكريم.

✓ علم إعراب القرآن الكريم

معنى كلمة الإعراب في اللغة: الإفصاح، أعرب عن الشيء بمعنى أفصح عنه ، وأعرب عن مراده يعنى أفصح عن مراده. وتعريف الإعراب عند النحاة هو: تغير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظا أو تقديرا .

يقول الإمام البيهقي نقلا عن الحليمي قال : ومعنى إعراب القرآن شيئان:

أحدهما: أن يحافظ على الحركات التي يتميز بها لسان العرب عن لسان العجم،

والآخر: أن يحافظ على أعيان الحركات ولا يبدل شيء منه لأن ذلك ربما أوقع فيه اللحن أو غيّر المعنى.

هذا معنى إعراب القرآن، لكن **ما الثمرة من علم إعراب القرآن؟** هو صيانة القرآن عن اللحن وتلاوته تلاوة صحيحة كما أُنزل بلسان عربي مبين، وهذا يجعل معانيه تظهر، وروعة بيانه تستبين، وإعجاز لفظه يتبين، قال الله تعالى: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف : 2].

قبل أن نذكر أمثلة على المدونات في إعراب القرآن في تلك المرحلة، أشير إلى أن هناك نوع تداخل بين ما يتعلق بإعراب القرآن الكريم ومعاني القرآن الكريم، ونحن لا يخفى علينا العلاقة بين المعنى والإعراب لأن الإعراب يرتبط بالمعنى فبحسب المعنى يكون الإعراب، ولذلك كثير ممن ألف في إعراب القرآن الكريم يربطونه بمعاني القرآن الكريم، مثلا، **أبوزكريا الفراء**، المتوفى سنة 207 هـ، وكذلك، **الأخفش**، المتوفى سنة 215هـ، و**أبو إسحاق الزجاج**، المتوفى سنة 311هـ، كل هؤلاء نجد أن تأليفهم في إعراب القرآن له ارتباط بالمعاني، بل قد نص الفراء على ذلك في كتابه ***معاني القرآن***، يقول : "هذا تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه"، فهو يذكر الصلة الوثيقة بين إعراب القرآن وبين معانيه. كذلك، الزجاج، المتوفى سنة 311هـ، يقول في مقدمة كتابه: "هذا كتاب مختصر في إعراب

القرآن ومعانيه". كما نجد بعض أهل العربية ممن لم يكن من المفسرين لهم أيضا عناية بإعراب القرآن الكريم، مثل **قطرب**، **محمد ابن المستنير**، المتوفى سنة 206 هـ، ومثل **أبي عبيدة**، **معمر بن المثنى**، المتوفي سنة 209هـ، كلهم ألفوا في إعراب القرآن.

طريقة التأليف في علم إعراب القرآن الكريم

ويمكن أن يقال أن التأليف في إعراب القرآن الكريم كان على طريقتين: إما أن يكون هناك مؤلف مستقل تماما بهذا العنوان "إعراب القرآن الكريم" فيقتصر على المسائل الإعرابية المرتبطة بالقرآن الكريم، أو أن يكون البحث في إعراب القرآن الكريم ضمن كتب التفسير وكتب معاني القرآن الكريم، يعني بمعنى أن الكلام عن إعراب القرآن جاء تابعا وليس استقلالا.

ظهر بعد القرن الثالث وفي أوائل القرن الرابع الهجري ظهرت مؤلفات متنوعة بهذا العنوان "إعراب القرآن الكريم". أول كتاب مطبوع متداول في إعراب القرآن بين أيدينا اليوم هو كتاب ***إعراب القرآن*** تأليف: **أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس**، المتوفى سنة 338هـ.

تنبيه أخير في هذا الصدد، وهو أن غالب المؤلفات في إعراب القرآن الكريم مغرقة في مسائل النحو، إذا قرأتها تشعر وكأنك لا تقرأ كتابا في التفسير، وكأنها لا صلة لها ببيان القرآن الكريم، وإنما هي بحث نحوي صرف مغرِق في البحث النحوي حتى إنك لتجد من التفصيلات فيها ما لا تجده في كتب النحو التي ألفت قصدا في علم النحو.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، فقد قمتُ بإعادة صياغة هذه المحاضرة بالكامل وإضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، كما قمت بمراجعة، والتحقق من كافة أسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم.

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الخامسة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد،

كُنا في المحاضرة الماضية قد بدأنا بالكلام عن المرحلة الثانية من مراحل تاريخ علم التفسير وهي **مرحلة التدوين**، وأشرنا إلى أن أهمية هذه المرحلة ترجع إلى أننا بحاجة إلى التفصيل فيها وذِكر أنواع التدوين فيها، وأشرنا إلى نوعين من أنواع التدوين في هذه المرحلة :

- النوع الأول: أن يُؤَلَّف في التفسير استِقلالاً.
- والنوع الثاني: أن يُؤَلَّف في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير، كعلم إعراب القرآن، وكعلم معاني القرآن، وضربنا أمثلة على بعض المؤلفات في إعراب القرآن الكريم.

ونستكمل في هذه المحاضرة بإذن الله عز وجل االحديث عن بعض العلوم المتعلقة والمرتبطة بالتفسير، وتاريخ التدوين فيها.

✓ علم معاني القرآن الكريم

علم معاني القرآن هو من العلوم المتعلقة بالتفسير، ونقصد بمعاني القرآن الكريم: بيان ألفاظ العربية وأساليبها التي ورد بها القرآن الكريم ونزلت به آياته، بما يكشف عن إعجاز القرآن الكريم وبيانه. وهذا العلم - أعني به علم معاني القرآن الكريم - كسَابقِه الذي تكلمنا عنه في المحاضرة الماضية، علم إعراب القرآن، ظهر على أيدي علماء العربية؛ ولهذا فقد تأثّر بطريقتهم.

التأليف في علم معاني القرآن الكريم

التأليف في بادئ هذا العلم تأثّر بطريقة النّحويين وطريقة علماء العربية في الكتابة والتأليف، وفي مناهجهم؛ ولهذا تجد أن المؤلفين فيه يكتبون في معاني القرآن ويذكُرون بحثهم على طريقة أهل العربية، ثم في أثناء تأصيل المسألة يقولون مثلا: قال أهل التفسير كذا وكذا، وكأنهم بمَعزلٍ عن المفسرين أو عن أهل التفسير، مع أن الأساس والإنطلاق كان من أقوال أئمة التفسير المتقدمين. بحسب ما تذكر لنا المصادر التاريخية، نجد أن التأليف في هذا العلم كان كالتالي:

- أول من نُسب إليه الكتابة في معاني القرآن الكريم هو: **محمد أبو الحسن الرُّؤاسي**، المتوفى سنة 170 للهجرة،
- ثم، **يونس بن حبيب**، المتوفى سنة 182 للهجرة ،
- ثم، **الكسائي**، علي بن حمزة، المتوفى سنة 189 للهجرة،
- ثم، **الفَرّاء**، يحيى بن زياد، المتوفى سنة 207 للهجرة، وهو صاحب أول مُدوَّنة بَلَغَتنا وتداولناها في علم معاني القرآن الكريم هو كتاب ***معاني القرآن***.
- ثم، **الأخفش الأوسط**، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة 215 للهجرة.

✓ علم غريب القرآن

علم غريب القرآن هو من العلوم المرتبطة بالتفسير الخادمة له. وغريب القرآن الكريم يُراد به بيان معاني مفردات القرآن الكريم، وهو لا يقتصر في حقيقته على الألفاظ الغريبة؛ بل هي مؤلفات تعتني بدلالة ألفاظ القرآن الكريم. فهي بهذا **جزء من علم معاني القرآن الكريم** لأن علم المعاني يقوم على بيان المُفردَة أولاً، ثم بيان معنى الآية الكريمة في ضوء ذلك، هذا معنى معاني القرآن، يُبيِّن اللّفظة ثم معنى الآية في ضوء ذلك.

التدوين في علم غريب القرآن الكريم:

التّدوين في علم غريب القرآن الكريم قديم؛ وقد ذكَر أهل التّراجم وكُتب تاريخ أن التدوين في هذا العلم كان كالتالي:

- مِن أول مَن دَوّن في ذلك هو **زيد بن علي**، بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، المتوفى سنة 122 للهجرة، ونسب له كتاب باسم ***غريب القرآن***،
- ثم، **أَبَان بن تَغلِب**، المتوفى سنة 141 للهجرة، وله كتاب باسم ***غريب القرآن***،
- ثم، أبو عُبيدة، **مَعمَر ابن المُثَنَّى**، المتوفى سنة 209 للهجرة،
- ثم، **الأخفش الأوسط**، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة 215 للهجرة ،
- ثم، عبد اللَّه بن مُسْلِم **بْنِ قُتَيْبَةَ**، المتوفى سنة 276 للهجرة.

كل هؤلاء قد ألَّفوا في غريب القرآن؛ إلا أن كتاب **أَبِي عُبَيْدَةَ، مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى** المسمى ***مجاز القرآن***، وهو كتاب مطبوع متداول، هو **من أشهر كتب غريب القرآن**، بل هو من أكثرها أثراً وتأثيراً في من جاء بعده، سواء ممن ألّف في غريب القرآن ومعانيه، أو حتى من ألّف في التفسير. وقد لقي هذا الكتاب استنكاراً حتى في أوائل ظهوره، استنكاراً من أهل عصر زمانه، ويُرجع بعض الباحثين السبب في ذلك إلى أنه ربما سار على طريقةٍ تُخالف ما عليه أهل عصره.

طريقة التأليف في غريب القرآن

وبكل حال فالتأليف في غريب القرآن الكريم على طريقتين:

1. **الطريقة الأولى: أن يسير في ترتيب المصحف**؛ يسير في تأليفه على ترتيب المصحف فيبدأ بالسور في القرآن بحسب ترتيبها في المصحف، ثم يبدأ بالآيات بحسب ترتيبها في كل سورة، فيبدأ بالبقرة ثم يبدأ بأول آية وثاني آية بحسب ما فيها من ألفاظ غريبة يتناولها بالبحث والبيان والدراسة، من فاتحة الكتاب إلى سورة الناس.
2. **الطريقة الثانية: ألا يرتبط بترتيب المصحف بل يرتبط بالترتيب الهجائي للألفاظ** التي سيدرسها؛ الترتيب الهجائي للألفاظ الغريبة أو الألفاظ محل الدراسة. يجمع هذه الألفاظ ويُرتّبها على حسب حروف الهجاء؛ يبدأ بحرف الألف ثم الباء حتى آخر المصحف. مثل كلمة (أَبّا) هذه كلمة غريبة، فيبدأ بها مع أنها في آخر المصحف، ولكنه يبدأ بهذه الكلمة لأنها تبدأ بحرف الألف (أَبّا)، وهكذا حتى آخر المصحف.

هاتان طريقتان للتأليف في غريب القرآن الكريم.

✓ علم مُشكِل القرآن الكريم

من العلوم أيضاً المرتبطة بالقرآن وبتفسير القرآن الكريم "علم مُشكِل القرآن الكريم". ويراد بمُشكِل القرآن الكريم المُتَشابَه منه، أو ما دَقّ فهمُه واحتاج إلى نظَرٍ دقيق حتى يُفهم المراد منه. هذا الإشكال الذي يقع في معاني القرآن الكريم إما أن يكون متعلقاً بذات الآية بأن يكون فهم المعنى المراد منها أمراً مشكلاً غامضاً، أو لا يتعلق بالآية بل بما يلزم على فهمنا للآية؛ فقد تكون الآية واضحة في معناها لكن هذا المعنى الذي هو واضح وظاهر من الآية يترتّب عليه لوازم وأمور مُشكلة. فإذاً الإشكال قد يكون في ذات الآية أو فيما يلزم على فهم هذه الآية.

التأليف في علم مُشكِل القرآن الكريم:

التأليف في مُشكل القرآن الكريم في أول ظهوره كان سببه الرد على أهل الزندقة الذين يطعنون في دين الله عز وجل، وأول طريقة لهم في الطعن في دين الله كانت بالطّعن في أساسه وهو القرآن الكريم، فيثيرون الإشكالات بقصد الطّعن في القرآن الكريم والتشكيك في مصدره والتشكيك في مضمونه، أو التشكيك في بعض المعاني التي تُفهم منه، أو في ترتيب نَظمِه، بحسب أنواع الطعون والتشكيك. ووسائلهم في ذلك متعددة ومتنوعة، ولهذا وبحسب المصادر التاريخية فإن:

- **قُطْرُب، محمد بن المُستنير**، المتوفى سنة 206 للهجرة، يُعتبر هو أول من ألّف في غريب القرآن الكريم في مُشكل القرآن الكريم، وسمّاه - وهذه التسمية تشير إلى ما نحن نقرره من سبب التأليف في هذا العلم - سمّاه ***الرد على الملحدين في متشابه القرآن***، فهو في قصده للتأليف أن يرد على الملحدين.

- ثم، عبد اللَّه بن مُسْلِم **بْنِ قُتَيْبَةَ**، المتوفى سنة 276 للهجرة ، ألّف كتابا وهو يعتبر من أشهر، إن لم يكن أشهر، كتب مُشكل القرآن الكريم أسماه ***تأويل مشكل القرآن الكريم***.

✓ علم الوجوه والنَّظائر

من العلوم أيضا المتعلقة بالتفسير أيضاً نجد "علم الوجوه والنَّظائر"، فما معنى كلمة وجوه وكلمة نظائر؟ اختلف العلماء في تحديد معنى هذين المصطلحين، لكن أصح ما يقال أن المراد بـ **الوجوه** هو: **المعاني المختلفة الواردة على اللفظ الواحد**. بمعني أن يأتي لفظ واحد وله عدد من المعاني والإطلاقات التي تستعمل له. مثال ذلك: كلمة "عين"؛ العين تتكون من حرف العين والياء والنون (عين)، ممكن أن نطلق كلمة العين ونريد بها هذه العين المبصرة، الجارحة المعروفة. وقد نطلقها ونريد بها الماء الجاري، فنقول هذه عين جارية، الماء التي تنبع من الأرض وتجري، فهي لفظة واحدة (عين) تستعمل لعدد من المعاني هذا معنى الوجوه.

النظائر، المقصود بها **أن يأتي للمعنى الواحد نظائر أخرى بألفاظ أخرى مختلفة**، مثال ذلك ألفاظ: أَقْبِل، وهَلُمَّ، وإِلَيَّ، وقَصْدي،فهي نظائر لكلمة "أَقبِل".

تعليق على تعريف الوجوه والنظائر، لم يرد على لسان المحاضر وإنما تم إضافته للإفادة:

((أورد الدكتور مساعد الطيار المعنى الذي فهمه لمصطلح الوجوه والنظائر في كتابه (التفسير اللغوي) 91-94 فقال ما نصه:

"الوجوهُ : المعاني المختلفةُ لِلَّفظةِ القرآنيةِ في مواضعِها من القرآنِ.

والنَّظَائِرُ : المواضعُ القرآنيةُ المتعدِّدَةُ للوجهِ الواحدِ التي اتفقَ فيها معنى اللَّفظِ ، فيكون معنى اللَّفظ في هذه الآية نظيرَ (أي : شبيه ومثيل) معنى اللَّفظِ في الآيةِ الأخرى ، واللهُ أعلمُ "

فعلى هذا تكون (الوجوه) من باب المشترك اللفظي غالباً ، وأما النظائر فليست إلا مجرد أمثلة أخرى للوجه الواحد ، ولكن في مواضع أخرى ، ولا تعد حينئذٍ من المشترك ولا من المترادف))

منقول من موقع: ملتقى أهل التفسير على لسان الدكتور عبد الرحمن الشهري.[13]

التأليف في علم الوجوه والنظائر

- يُذكر أن أول من ألف في الوجوه والنظائر هو أَبُو الْحَسَنِ ، **مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، فله كتاب أسماهُ مُحقِّقُه، عبد الله شحاتة، ولم يكن من تسمية مُؤلِّفه، سمّى هذا الكتاب ***الأشباه والنظائر*** لمقاتل ابن سليمان. فهو يعتبر أقدم كتاب وقفنا عليه ووصلنا ونتداولُه في الأشباه والنظائر.
- ثم، **هارون ابن موسى**، المتوفى سنة 170 للهجرة، وألف كتابه أسماه ***الوجوه والنظائر***.

[13] https://vb.tafsir.net/tafsir3033/#.WeMB6GiCzIU

- ثم، **يحيى بن سَلّام**، المتوفى سنة 200 للهجرة، وألف كتابه المشهور ***التصاريف*** وهو كتاب في الوجوه والنظائر.

✓ علم أحكام القرآن الكريم

من المؤلفات أيضا المرتبطة بالتفسير والتي تعتني بجانب منه "علم أحكام القرآن الكريم" فإن التدوين في هذا العلم أيضا ظهر قديما. فما الذي نقصده بأحكام القرآن الكريم؟ نقصد به الآيات التي يَستدل بها الفقهاء على مسائل الأحكام التفصيلية ويَكثر ذِكرهم لها. وهذا التعريف هو تَوصيف في الحقيقة لمعنى آيات الأحكام؛ لأن آية الأحكام ليست منضبطة في عددها وذلك لأسباب:

- ما من آية في القرآن الكريم إلا وهي تتضمن حُكما وأحكام، فكل القرآن الكريم إنما هو عبارة عن حِكَم وأحكام.
- الأمر الآخر : أن ضابط ما يدخل في ضمن آيات الأحكام ويخرج منها مَردُّه للاجتهاد. فقد يجتهد إمامٌ من الأئمة فيضع لنا خمسمائة آية في الأحكام ويأتي آخر فيبلغ بها ثمانمائة آية، ويأتي آخر فيَقصُرها علىمائتين آية.

وهذا التنوع والاختلاف سببه أن الأمر كله مسألة اجتهادية، فأنا أجتهد فيما أُدخله ضمن آيات الأحكام أو ما أُخرجه منها. والغريب أن المذهب الفقهي الواحد لا يتفق على عدد واحد من آيات الأحكام، فقد يتفق على ذلك صورياً، لكن في التطبيق لا يتفقون على ذلك. فنجد مثلا المالكية وهم أكثر من ألّف في أحكام القرآن - أكثر المذاهب تأليفاً في أحكام القرآن الكريم المالكية فلهم أكثر من مائة كتاب في أحكام القرآن - من أشهر مؤلفاتهم " أحكام القرآن" لابن العربي المالكي. ابن العربي المالكي هو يقول في كتابه هذا أنه قد اعتمد على كتاب " أحكام القرآن " للقاضي اسماعيل، المتوفى سنة 282 للهجرة، ومع أنه يَعتَمد هذا الكتاب إلا أن العدد في آيات الأحكام بينهما مختلف، فبينهم ما يقرب من مائتي آية فارق - زيادة عند ابن العربي عن ما عند القاضي إسماعيل، مع أنهم في مذهب واحد، ومع أن ابن العربي أيضا يقول أنني قد اعتمدت كتاب القاضي اسماعيل، لكن اختلفوا في العدد.

مما يُشار إليه أن **التأليف في أحكام القرآن الكريم يغلب عليه الجانب المذهبي**، فأحد أسباب التأليف في أحكام القرآن هو توضيح المذهب وبيان وجه استدلاله بالآية الكريمة. لماذا المذهب يستدل بهذه الآية على قوله؛ أو الرد على المخالفين الذين يستدلون بآيات القرآن الكريم على مذهبهم. فهو إما أن يستدل بالآية على تقوية المذهب ويُبين وجه دلالة الآية على قولهم في مذهبهم، أو يجيب على استدلال غيره بالآية على ما ذهبوا إليه مخالفاً لمذهب المؤلف.

التأليف في علم أحكام القرآن:

اتخذ التأليف في أحكام القرآن طريقتان:

الطريقة الأولى: اتباع ترتيب المصحف من حيث السور والآيات؛ فيبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ويمر على الآيات بحسب ما فيها من الأحكام، ولا يتكلم إلا فقط عن آيات الأحكام؛ فيأخذ من سورة البقرة عدداً من

الآيات ومن سورة المائدة عدداً من الآيات، ومن سورة الإسراء مثلا عدداً من الآيات، وهكذا حتى يُنهي المصحف بحسب السورة وبحسب ما فيها، هذه طريقة، وكثير من التأليف على هذا النحو.

الطريقة الثانية: تعتمد على ترتيب الآيات وفق الأبواب الفقهية لا على حسب ترتيبها في المصحف: بمعنى أن يجمع كل الآيات المتعلقة بالطهارة في كتاب الطهارة، وكل الآيات المتعلقة بالصلاة في كتاب الصلاة، وكل الآيات المتعلقة بالزكاة في كتاب الزكاة، وهكذا حتى يُنهي جميع الآيات التي ستكون محل دراسته. هذه الطريقة الثانية.

- أول من نُقل عنه التأليف بهذه الطريقة هو **الإمام أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي** (الحنفي)، المتوفى سنة 321 من الهجرة، في كتابه ***أحكام القرآن***، فإنه بَوَّبه على أبواب الفقه.
- أما أول من ألّف في أحكام القرآن الكريم بشكل عام فيُذكر أنه أَبُو الْحَسَنِ ، **مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، يُذكر أنه ألف كتاباً في أحكام القرآن سماه ***تفسير خمسمائة آية من القرآن الكريم في الأمر والنهي والحلال والحرام*** وقد طُبع مُحَقَّقاً. وهذا حقيقةً يدلنا على أن مقاتل ابن سليمان من المؤلفين المتقدمين في التاريخ الإسلامي فهو متوفى سنة 150 للهجرة ومع ذلك ذكرنا له عدد من المؤلفات في التفسير؛ والتي تعتبر أصول وتعتبر من أوائل إن لم تكن أول ما أُلّف في أبوابها.
- أيضا ذَكر أهل التّراجم أن لـ**محمد بن السائب الكَلبي** - المتوفى سنة 146 للهجرة - له كتاب في أحكام القرآن لكن لم يصل.
- من المُدوَّنات المتقدمة في أحكام القرآن كتاب للإمام **أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ**، المتوفى سنة 204 للهجرة، فله كتابان أحدهما من جَمْع الإمام البيهقي، المتوفى سنة 458 للهجرة، والآخر من تأليف الشافعي نفسه، ولذلك أشار إليه في كتابه الرسالة في المسألة رقم (416)، أشار إلى كتابه في أحكام القرآن.
- أيضا، أبو الحسن علي بن حُجر السعدي، المتوفى سنة 244 للهجرة .
- للقاضي الإمام أبي إسحق إسماعيل بن إسحق الأزدي البصري، المتوفى سنة 282 للهجرة، كتاب كبير في أحكام القرآن ولكنه مفقود، ويقول عنه الخطيب البغدادي أنه لم يُؤلّف مثله في ضخامته ومَتانة مضمونه، بقي منه جزء أو عُثر على جزء يسيرٍ جدا منه وطُبع مُحَقَّقا؛ جزء يسير وله عدد من المختصرات من أشهرها " مختصر القاضي بكر بن علاء القشيري " وقد تمّ تحقيقه في رسالة علمية، وأرجو أن يظهر إن شاء الله قريبا مطبوعا.

ثم في المرحلة التالية لمرحلة التدوين ظهرت الكثير من المؤلفات في أحكام القرآن التي لا يسع المجال للحديث عنها.

نتوقف في هذه المحاضرة ونكمل إن شاء الله في المحاضرة القادمة بقية الكلام عن هذه المُدوَّنات.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

قام بالمراجعة الأولى: **رغد**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به من مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، وقد ألجأ إلى إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها.

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة السادسة عشرة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. كنا في المحاضرة السابقة قد تكلمنا عن بعض العلوم المتعلقة والمرتبطة بالتفسير، وتاريخ التدوين فيها، مثل علم أحكام القرآن، وعلم الوجوه والنظائر، وعلم غريب القرآن، وعلم مشكل القرآن الكريم، فأشرنا إليها وإلى أوائل التأليف في تلك العلوم. وفي هذه المحاضرة إن شاء الله عز وجل نستكمل الحديث عن بعض هذه العلوم المرتبطة بعلم التفسير والخادمة له، ومن تلك العلوم أيضا:

✓ علم الناسخ والمنسوخ

- علم الناسخ والمنسوخ هو من العلوم الأساسية في علم التفسير الكريم، وفيه مؤلفات كثيرة جدًا عن تاريخ التدوين في علم التفسير من بدء ظهورها إلى عصرنا الحاضر تزيد عن المائة كتاب.
- والتأليف في هذا العلم كان قديمًا، ظهر في وقت متقدم مثل كتاب ***الناسخ والمنسوخ في كتاب الله*** المنسوب لـ **قَتَادَة بن دِعامة**، المتوفى سنة 118 للهجرة،
- أيضا **ابن شهاب الزهري**، المتوفى سنة 124 للهجرة، له كتاب ***الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم***.
- من بعد هذين العلَمين الإمامين تتابع التأليف في علم الناسخ والمنسوخ، حتى زادت مؤلفات فيه على المائة كتاب ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود.

الفرق بين المتقدمين والمتأخرين في مفهوم مصطلح "النسخ"

يجب أن ننبه على أمرٍ مهم ونحن نتكلم عن التأليف في علم الناسخ والمنسوخ، وهو **الاختلاف في اصطلاح النسخ ما بين السلف المتقدمين ومن جاء بعدهم من المتأخرين** بعد أن استقر مصطلح النسخ على ما يريده أهل الأصول، أصول الفقه، في كتب الأصول في حدود القرن الرابع الهجري:

- فالمتأخرون من أهل الأصول يقولون إن النسخ هو رَفع الحكم الشرعي كليا بحيث لا يُعمل به ولا يُعمل بجزء منه، هذا معنى النسخ عندهم.
- والمتقدمون من السلف، من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، كان مصطلح النسخ عندهم أعم من هذا، فيدخل فيه ما يسمى برفع النص كليًا بحيث لا يُعمل به أبدًا، أو الرفع الجزئي للنص بحيث يُعمل بجزء منه، ببعضه دون بعضه، ببعض دلالاته دون البعض. فالتخصيص مثلًا هو إبطال لجزء من دلالة العموم وليس

إبطالًا لكل العموم، كذلك التقييد هو إبطالٌ لجزءٍ من دلالة الإطلاق، كذلك تعيين المبهم وبيان المُجمل كلها تسمى عندهم نسخًا. وهذا التفريق مهم في معرفة طريقة السلف ومصطلحاتهم التي كانوا يستخدمونها في التعبير عن معنى رفع الحكم، سواءً كان رفعًا كليًا أو رفعًا جزئيًا.

✔ علم أسباب النزول

- علم أسباب النزول هو من العلوم المهمة المرتبطة بالتفسير، ذلك أن نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم كان مُفرَّقًا، وكان أكثره ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً بدون سبب خاص، وبدون حادثة، وبدون سؤال، وإنما ينزل هكذا ابتداءً من الله عز وجل، لكن بعضه كان ينزل بسبب حادثة وقعت، أو سؤال يُسألَه النبي صلى الله عليه وسلم.
- وقد اعتنى أهل العلم بأسباب النزول بشكلٍ كبيرٍ واهتموا بها؛ لأنها تعين على فهم المعنى، وهناك عدد من الآيات القرآنية الكريمة التي لا نستطيع فهم المعنى المقصود منها إلا من خلال معرفة سبب نزولها الذي احتفّ بها؛ ولهذا ظهر التأليف في أسباب النزول قديمًا.
- **ميمون بن مهران**، المتوفى سنة 117 للهجرة، ألّف كتابًا في أسباب النزول: ***تفصيل لأسباب التنزيل***.
- أيضا ينسب إلى **علي بن المديني**، المتوفى سنة 234 للهجرة، أنه ألّف كتاب: ***أسباب النزول*** .
- من أشهر المؤلفات في أسباب النزول وإن كان ليس من ضمن هذه المرحلة –أعني بها مرحلة عصر التدوين- كتاب: ***أسباب النزول*** للإمام **أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي**، المتوفى سنة 468 للهجرة، فهو يُعتبر أشهر كتاب في أسباب النزول.

وبَعْدُ أيها الأخوة، هذا عرضٌ مختصر لبعض العلوم المرتبطة بالتفسير، وبيان أوائل المدونات فيها؛ لأن كلامنا الحقيقة في هذه المرحلة هو عن **بداية التدوين في علم التفسير**، وذكرنا أن:

التدوين في علم التفسير على ثلاثة أضرب:

1. **الضرب الأول**: أن يُؤَلَّف في التفسير استقلالًا ، لوحده، إما في كله أو في بعضه.
2. **الضرب الثاني**: أن يُؤَلَّف في علوم مرتبطة بالتفسير، كأسباب النزول، وكالناسخ والمنسوخ، وكالمشكل، وكغريب القرآن، وكمعاني القرآن، وكإعراب القرآن، وضربنا أمثلة على المؤلفات على هذا النحو في هذه الحلقة، في أول هذه الحلقة وفي الحلقتين الماضيتين.
3. **الضرب الثالث** من أضرب التأليف في التفسير في هذه المرحلة، مرحلة عصر التدوين، هي: أن يُؤَلِّف المؤلف كتابه فيضم فيه التفسير وغيره من العلوم الإسلامية؛ مثل التاريخ، مثل السيرة، مثل القصص، مثل الفقه،

مثل العقائد، وغير ذلك من أنواع فنون الشريعة المختلفة، مثل كتب الصحاح: كصحيح البخاري، صحيح مسلم مثلًا، مثل كتب السنن: كالسنن الأربعة المشهورة، مثل كتب المصنفات: كمصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، والمسانيد: كمسند الإمام أحمد، أو مسند إسحاق بن راهويه وغيره من المسانيد، أو مسند الشافعي. هذه كلها تضمنت أنواعًا متنوعة من علوم الشريعة، من ضمنها علم التفسير، فكثير من هذه المؤلفات تعقد فصلًا أو كتابًا في التفسير، وتعقد كتابًا في السيرة، وكتابًا في التاريخ، وكتابًا في المغازي، وكتابًا في الملاحم، وكتابًا مثلًا في الأحكام، وكلها ضمن كتاب واحد، فهي كتب موسوعية تحوي عددًا من علوم الشريعة من ضمنها علم التفسير، وقد ضربت أمثلة على هذه الكتب.

هذه المدونات التي أشرنا إليها في هذه الحلقة وفي الحلقة السابقة الحقيقة، وإن كانت مفقودة أو كثير منها مفقودة إلا أنها مبثوثة في كتب التفاسير التي تعتني بالرواية خصوصًا، مثل تفسير الطبري، مثل تفسير ابن أبي حاتم، مثل تفسير الصنعاني، ونحوهم ممن اعتنى بحفظ آثار السلف المتقدمين، فهي مبثوثة في كتب التفسير ولا سيما الكتب التي تعتني بالرواية عن السلف.

تلخيصا لما سبق نعيد فنقول: أن التدوين والتأليف في علم التفسير في هذه المرحلة، في مرحلة عصر التدوين، كان على ثلاثة أضرب:

1. أن يؤلف في التفسير استقلالًا عن غيره.
2. أن يؤلف في علوم متعلقة ومرتبطة بالتفسير مباشرةً؛ كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.
3. أن يؤلف في كتبٍ موسوعية تتضمن التفسير وغيره من علوم الشريعة.

✔ أبرز السمات التي تميزت بها مرحلة عصر التدوين

نختم الكلام عن هذه المرحلة بذكر أبرز السمات التي تميزت بها مرحلة عصر التدوين:

1. أول هذه السمات: **أن الإسناد ظل باقيًا حتى مع وجود التدوين**، نعم المشافهة قد تكون بدأت تنحسر بسبب ظهور التدوين والتأليف؛ بحيث أصبح الرجل يروي ويتكلم ويتحدث من كتابه لا من مجرد روايته ومشافهته، لكن الذي بقي الإسناد؛ يروي من كتابه لكنه مسندًا، الإسناد ظل باقيًا حتى مع وجود التدوين؛ لهذا كانت تلك المدونات في تلك المرحلة تكتب بالإسناد، تكتب مسندة؛ فيقول صاحب الكتاب: حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن ابن عباس -رضي الله عنه- أو عن الزهري، أو عن مُجاهد، أو عن غيره، يذكرها مُسنَدةً.
2. السمة الثانية: **أن غالب المدونات في التفسير لم تتضمن تفسيرًا كاملًا للقرآن الكريم** ليشمل كل آياته، وإنما المنقول في غالبه في التفسير هو تفسيرٌ لبعض آيات القرآن الكريم تقل وتكثر، بعضهم يكثر وبعضهم يقل. نعم، وُجد تفسير كامل بحسب ترتيب سور القرآن الكريم وبحسب ترتيب آياته ولكنها كانت قليلة، السمة

العامة في المدونات التفسيرية بحسب تلك المرحلة أنها تنتقي بعض الآيات من بعض السور، وهذا الحقيقة في جزء منه يعود إلى طبيعة التأليف في تلك المرحلة، المرتبط بحاجة الناس، فكان الناس ما زال العربية عندهم قوية، وقربهم من أهل اللسان، وقربهم من زمان اللسان السليم الذي لا شائبة فيه لا زال موجودًا، وهذا يورث فيهم الفصاحة؛ بحيث إن ما يحتاجون إليه من البيان والتوضيح ليس كبيرًا.

3. من السمات: **أن كثيرًا من المدونات والمؤلفات في تلك المرحلة كانت موسوعية**، تجمع علوم الشريعة كلها بدون تفريق، فتجد فيها بابًا للعقائد، وبابًا للفقه، وبابًا لأحاديث الأحكام، وبابًا للسيرة، وبابًا للقصص، وبابًا للتفسير.. وهكذا، وكلها في كتاب واحد موسوعي، ومع هذه الطريقة التي هي سمة كبيرة جدًا في التأليف في تلك المرحلة، فأيضًا هناك الكتب المستقلة سواء في التفسير استقلالا أو في العلوم الخادمة للتفسير، كأسباب النزول، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، كما مر معنا في المحاضرتين السابقتين.

✓ مناقشة مسألة ارتباط التدوين في علم التفسير بالتدوين في علم الحديث ابتداءً

كلامنا عن المؤلفات الموسوعية التي كانت تحوي علومًا متنوعة من علوم الشريعة، يقودنا إلى مسألة يكثر الحديث عنها وذكرها فيمن يكتبون في تاريخ علم التفسير وفي تاريخ التدوين في علوم الشريعة بصفة عامة، وفي علم التفسير بصفة خاصة، ولعلنا نختم بها الحديث عن مرحلة عصر التدوين، وهي مسألة **ارتباط التدوين في التفسير بعلم الحديث.**

قد يكون أول من أشار إلى ذلك الأستاذ **أحمد أمين**، ثم تبعه بعد ذلك الدكتور **حسين الذهبي**، حيث يقولان: إن **التفسير بدأ مرتبطًا بعلم الحديث ثم استقل عنه بعد ذلك**، وهذه الفكرة تلقفها عنهما، خصوصًا عن الذهبي، كثير من الباحثين المعاصرين، فأصبحت تشاع وتردد دون تدقيق أو نظر فيها، والحقيقة **هذه المقولة محل نظر**؛ لأن مبناها أصلًا -مبنى هذه الفكرة- على أن التدوين كان ابتداءً في علم الحديث، ثم بعد ذلك استقل عنه علم التفسير، وعلم العقيدة، ونحو ذلك، فهي مبنية على هذا الأساس أن علم الحديث هو الأساس الذي بدأ التأليف فيه، **وهذا الكلام خلاف الواقع لعدة أمور منها:**

1. **هذا التفريق بين علوم الشريعة وجعلها علومًا مستقلة بعضها عن بعض هو تفريقٌ حادث متأخر**، لم يكن معروفًا عند الأولين، إنما عُرف عند المتأخرين، فعلماء السلف أصلًا كانوا علماء موسوعيين، فقد يكون لأحدهم درس في التفسير، ودرس في العقيدة ، ودرس في الحديث، ودرس في الفقه، ولم يكن أحدهم يتخصص في علمٍ دون الآخر، بل كانوا مرجعًا للعلوم كلها.

ولنأخذ ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- كمثال: فإذا قلنا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو مرجع العلوم كلها، نجد أحد صحابته كابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- هو إمام الدنيا في التفسير، وإمام الدنيا في الفقه، وإمام الدنيا في التاريخ والمغازي، وإمام الدنيا في لغة العرب، فهل نستطيع أن نفرق بين أي هذه العلوم كلها التي تكلم عنها ابن عباس كانت أسبق من الآخر؟ لا، هي كلها علوم واحدة تخرج من عالمٍ واحد، ويتكلم بها عالم واحد. نعم، قد يبرز عالمٍ في فنٍ من الفنون دون فن آخر، فيكون إمامًا مثلًا في التفسير، أو إمامًا في الفقه، لكنه في النهاية كل هذه العلوم التي يمتلكها ونبغ فيها هي بالنسبة له بناء علمي متكامل، والتفريق بين تلك العلوم أمرٌ صعب، وأصعب منه تحديد أولها ظهورًا.

2. **المقطوع به أن علم التفسير ارتبط بأول نزول القرآن الكريم**[14]، هذا لا شك فيه، ولا يختلف فيه أحد، أن التفسير بدأ مع نزول أول آية من القرآن الكريم، ونحن نعلم أن القرآن الكريم هو أساس انطلاق التاريخ الحضاري لعلوم المسلمين، فالقرآن هو أساس هذا التاريخ، ونشأته تابعة لنزول القرآن الكريم؛ ولهذا نجد أن ما حفظه لنا أصحاب المدونات في تاريخ العلوم، وتراجم العلماء، تشير إلى تقدم التدوين في علم التفسير على سائر العلوم. وقد ضربنا في المحاضرات السابقة، لما تكلمنا عن مرحلة النشأة والظهور ومرحلة التدوين لتاريخ التفسير، ضربنا أمثلة على كمٍ هائلٍ من المدونات في التفسير، وفي علومه التي أُلِّفت في التفسير استقلالًا، أو في علومٍ خادمةٍ له استقلالًا، مثل **تفسير مجاهد**، ومثل **تفسير سعيد بن جبير**، هؤلاء كانوا قبل المائة الأولى للهجرة، وهذا يدلك على تقدم التأليف في علم التفسير على سائر العلوم.

ثم قارن ذلك مثلًا ببداية التدوين في علم الحديث، والذي كما يذكر **ابن حجر العسقلاني** في مقدمة ***فتح الْبَارِي شرح صَحِيح البُخَارِيّ***، أنه ابتدأ على يد **الربيع بن صُبيح**، وهو متوفى سنة 160 للهجرة، حيث قال ابن حجر في مقدمة كتابه فِي بَيَان السَّبَب الْبَاعِث لأبي عبد الله البُخَارِيّ على تصنيف جَامعه الصَّحِيح وَبَيَان حسن نِيَّته فِي ذَلِك، قال: " أعلم عَلمنِي الله وَإِيَّاك أَن آثَار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَكُنْ فِي عصر أَصْحَابه وكبار تَبِعَهُمْ مدونة فِي الْجَوَامِع وَلَا مرتبَة لأمرين أَحدهمَا إِنَّهُم كَانُوا فِي ابْتِدَاء الْحَال قد نهوا عَن ذَلِك كَمَا ثَبت فِي صَحِيح مُسلم خشيَة أَن يخْتَلط بعض ذَلِك بِالْقُرْآنِ الْعَظِيم وَثَانِيهمَا لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم وَلِأَن أَكْثَرهم كَانُوا لَا يعْرفُونَ الْكِتَابَة ثمَّ حدث فِي أَوَاخِر عصر التَّابِعين تدوين الْآثَار وتبويب الْأَخْبَار لما انْتَشَر الْعلمَاء فِي الْأَمْصَار وَكثر الابتداع من الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض ومنكرى الأقدار، فَأول من جمع ذَلِك الرّبيع بن صبيح، وَسَعِيد بن أبي عرُوبَة ، وَغَيرهمَا، وَكَانُوا يصنفون كل بَاب على حِدة إِلَى أَن قَامَ كبار أهل الطَّبَقَة الثَّالِثَة فدونوا الْأَحْكَام فصنف الإِمَام مَالك الْمُوَطَّأ وتوخى فِيهِ الْقوي من حَدِيث أهل الْحجاز ومزجه بأقوال الصَّحَابَة وفتاوى

[14] تم إعادة صياغة هذه النقطة من المحاضرة بالكامل بعد الاستعانة بكتاب ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، لابن حجر العسقلاني.

التَّابِعين وَمن بعدهمْ وصنف أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ جُرَيْجٍ بِمَكَّة وَأَبُو عمر وَعبد الرَّحْمَن بن عمر وَالْأَوْزَاعِيّ بِالشَّام وَأَبُو عبد الله سُفْيَان بن سعيد الثَّوْرِيّ بِالْكُوفَةِ وَأَبُو سَلمَة حَمَّاد بن سَلمَة بن دِينَار بِالْبَصْرَةِ ثمَّ تلاهم كثير من أهل عصرهم فِي النسج على منوالهم إِلَى أَن رأى بعض الْأَئِمَّة مِنْهُم أَن يفرد حَدِيث النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم خَاصَّة وَذَلِكَ على رَأس الْمِائَتَيْنِ فصنف عبيد الله بن مُوسَى الْعَبْسِي الْكُوفِي مُسْندًا وصنف مُسَدّد بن مسرهد الْبَصْرِيّ مُسْندًا وصنف أَسد بن مُوسَى الْأمَوِي مُسْندًا وصنف نعيم بن حَمَّاد الْخُزَاعِيّ نزيل مصر مُسْندًا ثمَّ اقتفى الْأَئِمَّة بعد ذَلِك اثرهم فَقل إِمَام من الْحفاظ الا وصنف حَدِيثه على المسانيد كالامام أَحْمد بن حَنْبَل وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وَعُثْمَان بن أبي شيبَة وَغَيرهم من النبلاء وَمِنْهُم من صنف على الْأَبْوَاب وعَلى المسانيد مَعًا كَأبي بكر بن أبي شيبَة فَلَمَّا رَأْي البُخَارِيّ رَضِي الله عَنهُ هَذِه التصانيف وَرَوَاهَا وانتشق رياها واستجلى محياها وجدهَا بِحَسب الْوَضع جَامِعَة بَين مَا يدْخل تَحت التَّصْحِيح والتحسين وَالْكثير مِنْهَا يَشْمَلهُ التَّضْعِيف فَلَا يُقَال لغثه سمين فحرك همته لجمع الحَدِيث الصَّحِيح الَّذِي لَا يرتاب فِيهِ أَمِين وقوى عزمه على ذَلِك مَا سَمعه من أستاذه أَمِير الْمُؤمنِينَ فِي الحَدِيث وَالْفِقْه إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم الْحَنْظَلِي الْمَعْرُوف بِابْن رَاهَوَيْه" انتهى كلامه.

هذا وقد أشار أيضا **ابن حجر العسقلاني** في ***فتح الْبَارِي شرح صَحِيح البُخَارِيّ***، في الجزء الأول، كتاب العِلم، باب كيف يُقبض العلم، حيث قال: "وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ ، انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاكْتُبْهُ ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا" وهذا يدل أن بدايات تدوين الحديث النبوي الشريف كانت صنيع **عمر بن عبد العزيز**، المتوفى سنة 101 للهجرة عندما كتب عمر إلى الإمام أبي بكر بن حزم، وهو أمير المدينة وأعلم أهل زمانه بالقضاء، يأمره بذلك، وتوفي عمر بن عبد العزيز قبل فراغ الإمام بن حزم منه، مع أن هذا كان تدويناً لعلوم الشريعة كلها وليس لعلم الحديث، والمؤرخون في تاريخ علوم الشريعة يجعلونه منطَلَقًا لعصر التدوين. إذن، بالنظر إلى التدوين في علم التفسير سنجد أنه سابق لهذا الصنيع من عمر بن عبد العزيز، والشاهد على ذلك هو المؤلفات في علم التفسير بصورة مستقلة مثل **تفسير مجاهد**، و**تفسير سعيد بن جبير**.

هذا وإذا نظرنا إلى تفسير **مقاتل بن سليمان** ،المتوفى سنة 150 للهجرة، نجد أن تفسير مقاتل بن سليمان يعتبر قد وصل إلى مرحلة ناضجة في التأليف في علم التفسير، ولا يمكن أن يكون مقاتل بن سليمان هو الذي ابتدأ هذه المرحلة، بل لا بد أن يكون هناك تأليف سابق له، لأن هذا شيء طبيعي يعني هذا أمر طبيعي ومنطقي، لا يمكن أن يصل الإنسان في التأليف إلى نضجٍ مباشرةً من أول تأليفٍ في علم، بل ينضج العلم

وينضج المؤلفون فيه فترة بعد فترة ومرحلة بعد مرحلة، فطريقة مقاتل طريقة متقدمة وناضجة في التأليف في علم التفسير، هي لم يخرج عنها المفسرون بعد ذلك، فلا يمكن أن يكون وصل إليها إلا وقد سبقه محاولات لغيره ممن سبقه من أهل العلم، مع أنه متوفى سنة 150 للهجرة.

3. **منشأ هذا الزعم، بأسبقية التأليف في علم الحديث عن علم التفسير، هو ارتباط مفهوم الإسناد والرواية بعلم الحديث في عصرنا الحاضر**، ففي عصرنا الحاضر ارتبط التأليف أو الإسناد والرواية بعلم الحديث؛ فأصبح كل شيء له رواية وكل شيء مسند هو من علم الحديث، ونحن الحقيقة بهذه الطريقة نحاكم عصورًا متقدمة على طريقتنا نحن، وعلى اصطلاحاتنا نحن التي استقرت عندنا، لكننا لو رجعنا إلى تاريخ العلوم الإسلامية عمومًا، لوجدنا كما تقدم معنا في المحاضرات السابقة أن أساسها هو الرواية والمشافهة والإسناد، كل علوم الشريعة، لا يوجد شيء من علوم الشريعة في بدء الظهور إلا كان برواية وإسناد، بالمشافهة والإسناد، فأي شيء حتى القصص والتاريخ كانا بالإسناد، بل أكثر من هذا، حتى أخبار الطرائف وأخبار الحمقى والمغفلين تروى أيضًا بالإسناد، لماذا؟ لأن الإسناد هو كان وسيلة نقل العلوم وتبادلها، فلم يكن خاصًا بعلم الحديث، بل كل علوم الشريعة كانت تنقل بطريق الإسناد.

ولهذا يقول الخطيب البغدادي معلقا على الإسناد في بعض الأخبار التي لا أثر لها على الأحكام يقول: "وأما أخبار الصالحين وحكايات الزهاد والمتعبدين ومواعظ البلغاء وحِكَم الأدباء، فالأسانيد زينة لها وليست شرطا في تأديتها"، ومقصودي من هذا النقل، هو الإشارة إلى أن الإسناد كان أداة نقل العلوم والمعارف كلها في مراحل متقدمة من تاريخ المسلمين، عند أول ظهور الحضارة الإسلامية.

بهذا نكون قد أنهينا الكلام عن مرحلة مهمة من تاريخ نشأة علم التفسير وتطوره، وهي مرحلة عصر التدوين.
هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**
قام بالمراجعة الأولى: **أحمد عبد الرحمن**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليشمل ما قمتُ به باجتهادي الشخصي في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، ووضع العناوين الرئيسية لموضوعات المحاضرة، هذا وقد أضيف بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، بالإضافة إلى مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم.

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة السابعة عشرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعد: كنا أيها الأخوة الكرام قد تكلمنا في الحلقات الماضية عن المرحلة الثانية من مراحل نشأة علم التفسير، وتاريخ تطوره، وانتهى بنا الحديث إلى الكلام عن **المرحلة الثالثة من مراحل نشأة هذا العلم وتطوره**، وهذه المرحلة يمكن أن تسمى بـ **مرحلة التطور والازدهار**، أو ممكن أن يقال أيضا أنها العصر الذهبي لعلم التفسير. هذا وقد سبق أن قسمنا مراحل تطور تاريخ التفسير إلى:

1. المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والظهور
2. المرحلة الثانية: مرحلة التفسير في عصور التدوين
3. المرحلة الثالثة: مرحلة التطور والازدهار

انتهينا من الحديث عن المرحلتين الأولى والثانية، واليوم بإذن الله تعالى نتكلم عن المرحلة الثالثة.

مرحلة التطور والازدهار

تبدأ هذه المرحلة من القرن الرابع الهجري وتستمر حتى نهاية القرن الثامن الهجري، وقد شهدت هذه المرحلة ازدهارًا كبيرًا في علم التفسير والتدوين فيه، بل يمكن اعتبار هذه المرحلة هي العصر الذهبي لكثيرٍ من العلوم الإسلامية، ليس فقط التفسير، ويرجع ذلك لجملة من الأسباب، أهمها:

1. **الفتوحات الإسلامية** التي انطلقت إلى مشارق الأرض ومغاربها، هذه الفتوحات الإسلامية كان لها تأثيرا كبيرا جدا في الحركة العلمية للعلوم الإسلامية، حيث أدت إلى تلاقي حضاري مع مختلف الحضارات في شرق الأرض، وفي غربها، وفي شمالها، وفي جنوبها، فانفتحت العلوم الإسلامية على كثيرٍ من الحضارات المتنوعة الضاربة في التاريخ، ولا شك أن هذا الانفتاح الحضاري على تلك الشعوب والأمم أعطى ثروة علمية ضخمة للعلوم الإسلامية.
2. **الاستقرار السياسي في العالم الإسلامي**، فهذا الاستقرار السياسي جعل الناس ينصرفون إلى مختلف العلوم ويشتغلون بها.
3. **الانتعاش الاقتصادي** حيث وفرة المال وكثرته، ويتعلق بهذا أن الأمراء والخلفاء بل حتى الوجهاء وذوو اليسار والمال كانوا يتنافسون على العلم، وعلى تشجيع العلماء ودعمهم، ولذلك كثيرًا ما كان العلماء يؤلفون الكتاب لخليفة من الخلفاء، أو أمير من الأمراء، أو وجيه من الوجهاء، وينالون على ذلك الجوائز العظيمة.

هذه الأسباب وغيرها جعلت تلك المرحلة هي مرحلة ذهبية لما شهده هذا العصر من ازدهارٍ وتطورٍ للعلوم الإسلامية بشتى أنواعها، والتفسير على وجه الخصوص.

✓ **سمات تطور علم التفسير في مرحلة الازدهار**

ما الذي تميزت به هذه المرحلة بالنسبة لعلم التفسير عن المراحل التي سبقتها؟ يمكن أن نذكر عددا من النقاط التي تعتبر سمات بارزة لعلم التفسير في هذه المرحلة:

1. **ظهور المدونات والمؤلفات في التفسير كاملا**، يمكن ان نقول انه لم تكن هناك سمةً للتفسير في المراحل السابقة لهذه المرحلة، ففي هذه المرحلة ظهرت المدونات التفسيرية التي تفسر القرآن كاملًا، من أوله إلى آخره، تبدأ بسور القرآن سورةً سورة، وآيةً آية، وأقول أنها سمة لأنها كثرت وتنوعت في هذه المرحلة تنوعا غير مسبوق، ويأتي في مقدمتهم وعلى رأسهم شيخ المفسرين وإمامهم: ابن جرير الطبري، ولعلنا إن شاء الله عز وجل نتحدث عنه باختصار في الحلقات القادمة.
2. من سمات التفسير في هذه المرحلة؛ **حذف الإسناد:** وقد تكلمنا في مرحلة النشأة والظهور، وفي مرحلة التدوين، أن الإسناد ظل باقيا فيها، فهو الأداة الأساسية لتناقل العلم، أما في هذه المرحلة فقد ظهر حذف الإسناد، بحيث كانت المؤلفات في التفسير، وكثيرا من العلوم غيره، يحذف منها الإسناد، حتى صار سمةً غالبة للمؤلفات في هذه المرحلة. رتَّب فضيلة الدكتور **مساعد الطيار** الفترات الزمنية التي تم فيها حذف الإسناد في كتب المفسرين على هذا النحو:
   * أول من بدأ به هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، المتوفي سنة 127 هـ ،
   * ثم، مقاتل ابن سليمان،المتوفى سنة 150 هـ،
   * ثم، يحيى ابن سلام البصري المتوفى سنة 200 هـ،
   * ثم ابن أبي حاتم المتوفى سنة 327 هـ،
   * ثم الثعلبي المتوفى سنة 427 هـ.

وهذه محاولة لمعرفة التسلسل الزمني لحذف الإسناد في علم التفسير، لكن **من الصعب أن نحدد أول من حذف الإسناد في علم التفسير**؛ لأن كثيرا من كتب السلف مفقودة أصلًا، وليست موجودة بأيدينا حتى نتعرف على مناهجها ومناهج المؤلفين فيها وبالتالي نستطيع الحكم على مسألة حذف الإسناد. لماذا؟ لأن بعضهم قد يؤلف كتابا يُنسب إليه هو، مع أنه ليس له فيه إلا الرواية مثلا، وعلى النقيض من ذلك قد يؤلف هو كتابًا في التفسير يذكر فيه أقواله هو وآراءه في التفسير فهو لم يرد الرواية أصلا، ما أراد أن يروي عن غيره حتى نلزمه و نطالبه بالإسناد؛ بل أراد تفسير القرآن و توضيحه بقوله هو ورأيه هو، مثل: مقاتل بن سليمان

أراد أن يفسر القرآن برأيه وقوله هو فلا يرد في الذهن أن يطالب بالإسناد لأنه لم ينقل عن غيره، ولا نطالبه بالإسناد إلا إذا نسب القول إلى معين، عندئذ نسأله عن الإسناد ولهذا يعسر علينا أن نعين أول من حذف الإسناد من السلف.

وجود الإسناد في علوم الشريعة كان يمنع كثيرا من محاولات الكذبً ودخول الدسائس في الروايات التي يتناقلها أهل العلم، لكن أهل العلم في هذه المرحلة أرادوا حذف الإسناد طلبا للاختصار، وتسهيلا على الناس لضعف همة الناس، على ما ذكروا، وكذلك حتى يكون حذف الإسناد سببًا للتوسع في الكلام عن المعاني في كلام الله عز وجل. وهذه الأسباب - وإن كانت معقولة مقبولة - إلا أنها فتحت باباً لأهل الزيغ والضلال أن يدسوا دسائسهم في تفسير كلام الله عز وجل لأنه لم يعد يستطيع أحد أن يعرف هذا القول الذي ينسبه ذلك العالم أو ذلك المفسر أو ذلك القائل عن ابن عباس مثلا، لا نعرف كيف نسبه له، أو كيف تلقاه عنه، لأنه قد حذف الإسناد الذي يربط بينه وبين ابن عباس، أو بينه وبين مجاهد، ففتح بابًا لمن أراد أن يكذب أو يدس في تفسير كلام الله عز وجل وينسب للسلف ما لم يكن قولا لهم. يزيد الأمر أيضًا خطورة أن بعض المؤلفين كان مولعا بجمع الأقوال حتى الأقوال الشاذة، حتى الأقوال التي لا يعرف قائلها فيجمعها في تفسيره، فيأتي من بعده ثقةً به ولأنه كان إمامًا، فيظن أن هذا القول الذي ذكره قولا معتبرًا وله فيه سلف، مع أنه قول قد لا يعرف قائله، وأحد الأسباب التي أدت إلى ذلك حذف الإسناد.

وهنا يجب علينا أيضًا أن لا نفهم من هذا القول أننا نقلل الثقة في شأن الأقوال المروية عن السلف أو المنسوبة إلى السلف، وقد تكلمنا بكلام طويل في محاضرات ماضية عن مسألة قيمة المروي عن السلف، وكيف يكون التعامل مع المرويات في التفسير.

3. من السمات البارزة في هذه المرحلة: **ظهور العلوم المرتبطة بالتفسير**، فبالإضافة إلى ظهور المؤلفات في التفسير، كثرت أيضا المؤلفات في العلوم المرتبطة به كالناسخ و المنسوخ، كالمحكم و المتشابه، هناك عدد من المؤلفات في هذه العلوم وهي مما يخدم تفسير كلام الله عز وجل.

4. من أبرز السمات، إن لم تكن أبرزها بإطلاق، هي **التوسع العظيم في تفسيركلام الله عزوجل**، والكلام عن آياته، وتفريع المسائل، وتشقيقها في مسائل متنوعة من البحث والنظر، حتى خرجت علينا موسوعات علمية ضخمة في تفسير كلام الله، تتشعب في موضوعاتها، تتشعب في مسائلها، تتشعب في نظرها، وفي الحق هذه أبرز سمة لهذه المرحلة، فقد شهدت توسعًا عظيمًا في تفسير كلام الله، وفي المسائل المرتبطة به، والبحوث المتصلة به.

5. من سمات هذه المرحلة، ولعلنا نختم الكلام بها، هي **ظهور أثر التكوين العلمي وشخصية المفسر على تفسيره**، حيث تأثر كل إمام وكل عالم وكل مفسر بما برع فيه من العلوم وأتقنه، فأنت تجد مثلا الفقيه العالم بمسائله يتوسع في مسائله، يشقق الكلام، العالم في النحو أيضًا يتوسع في الكلام عن النحو و هو يفسر كلام الله عز وجل، أيضا العالم بالجدل و مسائل الكلام يتوسع في الكلام عن المسائل العقلية و تشقيق الكلام فيها، صاحب التاريخ أيضا يتوسع في سرد القصص والأخبار وروايات من سلف، ما صح منها وما لم يصح، أصحاب التصوف والرياضات الروحية أيضا قصدوا إلى ناحية الترغيب والترهيب، واستخراج المعاني الإشارية من القرآن الكريم بما يتفق مع مشاربهم ويتناسب مع موجوداتهم، وهكذا فسر كل صاحب فن يتقنه القرآن الكريم متأثرًا بفنه حتى غلب هذا الفن على تفسير كلام الله عز وجل واصطبغ كتابه وتفسيره بصبغته، حتى أصحاب العقائد و الاتجاهات الفكرية أيضا أثرت تلك الاتجاهات عليهم؛ فالمعتزلي يدس اعتزاله في تفسير كلام الله، وأصحاب الفكر الخارجي مثلا يفعلون ذلك، فأصبح كل انتماءٍ، سواءً كان عقديًا أو فقهيًا يؤثر على المفسر وهو يتناول كلام الله عز وجل بالتفسير..

سنذكر بعضا من هذه التفاسير التي تعكس صورة مرحلة التطور والازدهار، أو العصر الذهبي، هذه المرحلة والتي تعتبر مرحلة مميزة في تاريخ علم التفسير. ومن نافلة القول أن نقول أننا لا نريد التفصيل في ذكر هذه الكتب، والتعريف بها وذكر مناهجها، فذلك بابٌ آخر له مقرره المستقل؛ الذي أرجو أن تدرسوه في مقرر مستقل يحمل عنوانه؛ ولكن أنا سأذكر بعض العناوين المهمة من التفاسير التي أُلِفَت في هذه المرحلة حتى تربط أذهانكم بتلك الكتب وتعرفون في أي مرحلة أُلِّفت، وأيضًا نريد أن نوصل لكم طبيعة التأليف في تلك المرحلة.

✓ أهم كتب التفسير في هذه المرحلة

1. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري[15]

أول المصادر في تلك المرحلة ويأتي في مقدِّمها وأمامها: ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن*** المعروف بـ***تفسير الطبري***، الذي ألفه الإمام أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري في أواخر القرن الثالث الهجري، وصاحبه توفي في أوائل القرن الرابع الهجري سنة 310 هـ.

كان الإمام الطبري أحد الأئمة الأعلام، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، كان حجةً، حافظًا، بصيرًا بالمعاني، عالمًا بآثار السلف، عالمًا بالسنة، عالمًا بأحكام القرآن وقراءاته، بصيرًا بأقوال الصحابة والتابعين، عالمًا بأيام الناس وسِيَرِهم وأخبارهم، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد، فيقول ابن خلكان: إنه من الأئمة المجتهدين، لم يقلد

[15] تم الاستعانة في كتابة هذا الجزء من المحاضرة بكتاب "التفسير والمفسرون"، الدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 147- 149

أحداً، ونُقِل أن الشيخ أبا اسحاق الشيرازي ذكره في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين؛ بل قالوا أن له مذهب معروف وأصحاب ينتحلون مذهبه وله أتباع إلا أن هذا المذهب لم يستطع البقاء إلى يومنا هذا كغيره من مذاهب المسلمين.

وقد أثنى الكثير من العلماء عليه، واعتُبر أباً للتفسير، فقال عنه السيوطي في طبقات المفسرين: "رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم".

وقد برع الطبري في علوم كثيرة، منها: علم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وقد صنَّف في علوم كثيرة وأبدع التأليف وأجاد فيما صنَّف، فكل مصنَّف يؤلفه يعد بمثابة المرجع الأساس لمن جاء بعده، فمن مؤلفاته في التاريخ كتاب: ***تاريخ الأمم والملوك***، أو ***تأريخ الرسل والملوك***، والمعروف بـ***تاريخ الطبري***، ويتناول فيه الأخبار التاريخية بالتسلسل من أخبار آدم -عليه السلام- إلى أخبار عصره، وله كتاب: ***تهذيب الآثار***، وهو كتاب من كتب الحديث، وله كتاب: ***التبصير في معالم الدين*** أو ***تبصير أولي النهى ومعالم الهدى***، وهو كتاب في العقيدة الإسلامية وبيان شيء من أصولها، وغيره من المؤلفات. وأهم ما ألف هو: ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، المعروف بـ***تفسير الطبري***.

يكفي في ذلك شهادة الإمام النووي لذلك التفسير بقوله: "أجمعت الأمة على أنه لم يُصَنَّف مثل تفسير الطبري"، وهذه مفخرة حقيقة لهذا التفسير، ولا شك أن هذا الإجماع لا زال مستمرا منعقدًا على أنه لم يؤلف مثل تفسير الطبري، فهو تفسير موسوعي مؤلفه عالم مجتهد، بحر، محقق، مدقق، بل تفسيره حقيقة مأثرة من مآثر هذه الأمة، لا غنى لمشتغل بالتفسير عنه، ويكفي فقط أنه حفظ لنا أقوال السلف من الصحابة والتابعين في بيان كلام الله عز وجل، وفضلا عن هذا، فهناك جودة النظر ودقة البصر بالمعاني، وتحقيق القول وبيان الراجح بدليله على نحو ومنهج قلَّ مثيله.

2. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

من الكتب الأساس في هذه المرحلة كتاب: ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، ألفه جار الله، أبو القاسم، **محمود بن عمر الزمخشري** المتوفى سنة 538 للهجرة.

الزمخشري كان إمامًا بارعًا في اللغة والأدب، بل كان إمام عصره في علم البلاغة والأدب، وكان عالمًا بأيام العرب وأنسابهم، يقول عنه السمعاني: "برع في الآداب، وصنف التصانيف، وَرَدَ العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا

واجتمعوا عليه، وتتلمذوا له، وكان علامة نسابة". له عدة مصنفات مشهورة ومتداولة بين أهل العلم منها كتاب: ***الفائق في غريب الحديث***، و منها كتاب: ***أساس البلاغة***، وهو كتاب في البلاغة، ومنها أيضا ***المفصل في صنعة الإعراب***، وهو كتاب في النحو، ويأتي في مقدمها وعلى رأسها تفسيره الذي نحن بصدده، ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، المعروف بالكشاف، وهو الحقيقة أحد المصادر التي لا غنى عنها لأي مشتغل بكلام الله تعالى، ومهتم ببيان بلاغة القرآن الكريم ووجوه إعجازه؛ بل من جاء بعد الزمخشري من المفسرين اعتمد عليه، فهم عيال عليه، بعضهم يأتي فيوضح الكلام الذي ذكره، أو يبني عليه. فالحقيقة أن تفسيره من حيث بيان بلاغة القرآن الكريم يعتبر مصدرًا أساسا في ذلك، غير أنه، عفا الله عنه، كان مع مذهبه الاعتزالي، كان سيء الكلام على المخالفين له خصوصا من أهل السنة، وكان لا يدع مناسبةً يستدل بها على مذهبه إلا وذكرها، ولا مناسبة يطعن فيها على أهل السنة إلا وذكره، بل إنه ليذكر وجوها دقيقة في الاستدلال على مذهبه قد لا يتبينها حتى بعض طلاب العلم، كما نبه على ذلك أهل العلم.

3. المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز المعروف بتفسير ابن عطية

أيضا من التفاسير المشهورة في هذه المرحلة: المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز، لابن عطية. ولعلنا أن شاء الله نرجئ الكلام عن هذا الكتاب للمحاضرة القادمة. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم، على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **غادة علاء الدين محمود**
قام بالمراجعة الأولى: **أخت في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة.
حاولت باجتهاد متواضع أن ألقي بعض الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بكتاب ***التفسير والمفسرون***، للدكتور محمد حسين الذهبي، ومصادر أخرى تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثامنة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد،

كنا في المحاضرة الماضية، بدأنا الكلام عن مرحلة **التطور والازدهار** أو **العصر الذهبي لتاريخ التفسير**، وأشرنا إلى أبرز سمات تلك المرحلة ومميزاتها، وابتدأنا الكلام عن بعض المؤلفات في تلك المرحلة التي تُعرِّف بهذه المرحلة وبطبيعتها وبخصائصها، وأشرنا في تلك المرحلة إلى تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير الزمخشري، وتوقفنا عند الإشارة إلى ثالث التفاسير المشهورة في هذه المرحلة وهو: ***المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز***، لابن عطية الأندلسي.

✓ تابع: أهم كتب التفسير في مرحلة التطور والازدهار

3. "المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز" المعروف بتفسير ابن عطية الأندلسي

ألَّفه الإمام الفقيه البارع القاضي، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية بن مكرم المحاربي الأندلسي، الغرناطي المالكي، وشهرته: **ابن عطية الاندلسي** المغربي، المتوفى سنة 546 هـ (اختلف المؤرخون في السنة التي توفي فيها فقيل: توفي بمدينة لُورَقَة سنة 541هـ، وقيل: سنة 542هـ، وقيل: سنة 546هـ)، وكان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث، وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر، واسع المعرفة، متوقد الذكاء. ولمكانته وشهرته العلمية في نواح مختلفة، أثنى العلماء عليه ومن ذلك:

- قال عنه **الفاتح بن محمد بن خاقان** (ت528هـ)، الكاتب والمؤرخ الإشبيلي، وصاحب ***قلائد العُقْيَان ومحاسن الأعيان***، والذي يعد من أمهات المصادر في الأدب والتاريخ الأندلسيين، قال: "نبعة دوح العلاء، ومحرز ملابس الثناء، فذ الجلالة، وواحد العصر والأصالة، وقار كما رسا الهضب، وأدب كما أطَّردَ السلسلُ العذب...آثاره في كل معرفة، وعَلَم في رأسه نار، وطوالعه في آفاقها صبح أو نهار...."

- ووصفه **أبو حيان**، فقال: " أجلُّ مَن صنَّف في التفسير، وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير"، ونجد أبا حيان في مقدمة تفسيره يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فيقول: "وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص، وأغوص".

- ونجد **شيخ الإسلام، ابن تيمية**، وهو يتكلم عن مناهج المفسرين، يعقد مقارنة بين الكتابين - كتاب ابن عطية وكتاب الزمخشري - في مجموع فتاواه، فيقول: "وَتَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ وَأَمْثَالُهُ خَيْرٌ مِنْ تَفْسِيرِ الزمخشري ، وَأَصَحُّ

نَقْلًا وَبَحْثًا ، وَأَبْعَدُ عَنْ الْبِدَعِ وَإِنْ اشْتَمَلَ عَلَى بَعْضِهَا ؛ بَلْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ بِكَثِيرِ ؛ بَلْ لَعَلَّهُ أَرْجَحُ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ ؛ لَكِنَّ تَفْسِيرَ ابْنِ جَرِيرٍ أَصَحُّ مِنْ هَذِهِ كُلِّهَا ". كما يعقد ابن تيمية مثل هذه المقارنة في مقدمته في أصول التفسير، فيقول: "وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل..."

والحقيقة إن هذه الأوصاف تعبر عن شخصية هذا الإمام الفذ، وكتابه يدل على ذلك.

نبذة عن هذا التفسيروطريقة مؤلفه فيه:

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، الجزء الأول، ص 171 - 172، يقول:
"تفسير ابن عطية المسمى بـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** تفسير له قيمته العالية بين كتب التفسير وعند جميع المفسرين، وذلك راجع إلى أن مؤلفه أضفى عليه من روحه العلمية الفياضة ما أكسبه دقة، ورواجا، وقبولا. وقد لخصه مؤلفه - كما يقول ابن خلدون في مقدمته -من كتب التفاسير كلها (أي تفاسير المنقول)، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حسنِ المنحى. (مقدمة ابن خلدون ص 491). والحق أن ابن عطية أحسن في هذا التفسير وأبدع، حتى صار صيته كل مطار، وصار أصدق شاهد لمؤلفه بإمامته في العلابية وغيرها من النواحي العلمية المختلفة......". ويضيف الدكتور الذهبي: "وجدت المؤلف (ابن عطية) يذكر الآية ثم يفسرها بعبارة عذبة سهلة ويورد من التفسير المأثور ويختار منه في غير إكثار، وينقل عن ابن جرير الطبري كثيراً ويناقش المنقول عنه أحيانا، كما يناقش ما ينقله عن غير ابن جرير ويرد عليه. وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي، معني بالشواهد الأدبية للعبارات، كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يوجه بعض المعاني، وهو كثير الاهتمام بالصناعة النحوية، كما أنه يتعرض كثيراً للقراءات وينزل عليها المعاني المختلفة" انتهى كلامه.

الكتاب نموذج من مؤلفات التفسير التي ألَّفها أهل المغرب، وهو من الحجم المتوسط، اسم الكتاب، المحرر الوجيز، ناطقٌ معبر عن مضمون هذا الكتاب؛ فهو **محرر**، يعني غاية في التحرير والتدقيق، و**وجيز**، ليس فيه إطالة، وتظهر فيه صناعة المفسر من حيث النظر في المعاني، والتدقيق فيها والتحقيق، وبيان أوجهها، والاستدراك على كلام أئمة المفسرين المخالفة للمعاني الصحيحة التي تُحمل عليها الآية، مع سلامته من الابتداع في الجملة، وإن كان ابن عطية أشعريًّا في باب تأويل الصفات وغيرها من الأبواب التي يقع للأشاعرة مخالفة لأهل السنة والجماعة.

4. مفاتيح الغيب، للرازي

كتاب تفسير ***مفاتيح الغيب*** أو ***التفسير الكبير***، مؤلف هذا التفسير هو: أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التميمي، الرازي، الملقب بفخر الدين والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المتوفى سنة 606 هـ. كان الرازي فريد عصره، ومتكلم زمانه، جمع كثيرا من العلوم ونبغ فيها، فكان إماماً في التفسير والكلام، وعلوم اللغة، والعلوم العقلية، ولقد أكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة فكان العلماء يقصدونه من البلاد ويشدون إليه الرحال من مختلف الأقطار. وله فوق شهرته العلمية شهرة كبيرة في الوعظ. ولقد خلّف للناس مجموعة كبيرة من تصانيفه في الفنون المختلفة، ومن أهمها: تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب، وله تفسير سورة الفاتحة في مجلد واحد، وله في علم الكلام: المطالب العالية، وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، وله في أصول الفقه: المحصول، وفي الحكمة: الملخص وشرح الإشارات لابن سينا، ويقال أنه شرح المفصل في النحو للزمخشري، وشرح الوجيز في الفقه للغزالي، وغير ذلك من المصنفات في الفقه، والأصول، والجدل، والمنطق، والطب، فهو موسوعي متنوع المشارب والمعارف، (ومن الغريب أنه قد ندم في آخر حياته على الاشتغال بعلم الكلام، كما نقل عنه ابن الصلاح)

نبذة عن هذا التفسيروطريقة مؤلفه فيه:

يقع هذا التفسير في ثماني مجلدات كبار، وقد وقع خلاف بين الباحثين وأهل العلم في أن الرازي لم يتم هذا التفسير، إذن فمن الذي أكمل هذا التفسير؟ وإلى أي موضع من القرآن وصل الفخر الرازي في تفسيره؟ ويعلق على هذا الأمر الدكتور حسين الذهبي فيقول: ((الحق أن هذه مشكلة لم نوفق إلى حلها حلاً حاسماً لتضارب أقوال العلماء في هذا الموضوع، فنجد أن ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، يذكر أن الذي أكمل تفسير فخر الدين الرازي، هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي نجم الدين المخزومي القمولي، (ت 727 هـ). وصاحب كشف الظنون يجعل لقاضي القضاة شهاب الدين بن خليل الْخُوَيِّيُّ الدمشقي، (ت 693هـ)، مشاركة على وجه ما في هذه التكملة، وإن كانا يتفقان على أن الرازي لم يتم تفسيره. ولم يُعرف إلى أي موضع وصل الفخر الرازي في تفسيره)) (منقول بتصرف).

وكحل لهذا الاضطراب، يخلص الدكتور حسين الذهبي إلى أن الإمام الرازي كتب تفسير إلى سورة الأنبياء فأتى بعده شهاب الدين الخويي فشرع في تكملته ولكنه لم يتمه فأتى بعده نجم الدين القمولي فأكمل ما بقي منه، كما يجوز أن يكون الخويي أكمله إلى النهاية والقمولي كتب تكملة أخرى غير التي كتبها الخويي. ويذكر الذهبي أن هذا الرأي هو توفيق من عنده يقوم على الظن يخطئ ويصيب. والقارئ لهذا التفسير لا يكاد يلحظ فيه تفاوتاً في المنهج ولا في المسلك بل يجري على نمط واحد.

وهناك من بحث هذه المسألة مثل الدكتور عيادة الكبيسي وانتهى بعد بحث ونقاش إلى أن الرازي قد أكمل تفسيره كاملا، وأنه هو من كتبه من أوله إلى آخره. والله أعلم.

هذا.. وإن تفسير الفخر الرازي ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير، بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح شتى من العلم، ومنه:

- اهتم ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره،
- اهتم بالعلوم الرياضية والفلسفية،
- اهتم بتوضيح موقفه من المعتزلة، فالرازي كسنيّ لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليها، رداً لا يراه البعض كافياً ولا شافياً. وقد أشار ابن حجر إلى هذا الأمر في "لسان الميزان".
- اهتم بعلوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة، فالرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه لمذهب الشافعي، كذلك نجده يستطرد لذكر المسائل الأصولية، والنحوية والبلاغية، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية.

يقول الدكتور حسين الذهبي: "وبالجملة.. فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة، إذ أن هذه الناحية هي التي غلبت عليه حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن الكريم."

ومن الآراء التي قيلت في هذا التفسير: يقول عنه سراج الدين السرمياحي المغربي الذي صنّف كتابا في المآخذ على تفسير الرازي، ويقع في مجلدين، بيّن فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج وكان ينقم عليه كثيرا ويقول: "يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء." يعني أنه إذا جاء يقرر كلام المبتدعة والمخالفين، فإنه يقرره في غاية الجودة، لكن ردوده تكون ضعيفة، ومرات يرجئ الرد ويحيل على مواضع أخرى، يقول: "وسأرد عليها في الموضع الفلاني، وسيأتي الجواب في الموضع الفلاني". فإذا جاء الموضع الفلاني، لم نجد ردًا له؛ فإما أن يكون نسي أو أي سبب آخر غير ذلك .

5. "الجامع لأحكام القرآن". للقرطبي

ألَّفه أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، المتوفى سنة 671 هـ.

الإمام القرطبي من العلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، وله تصانيف كثيرة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور علمه وفضله، من أشهر تصانيفه كتابه: ***الجامع لأحكام القرآن***، وهو من أجل التفاسير وأعظمها، وله كتاب: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وكتاب: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، وكتاب: قمع الحرص بالزهد والقناعة، وغير ذلك من الكتب.

نبذة عن هذا التفسيروطريقة مؤلفه فيه:[16]

هذا الكتاب يعتبر موسوعة في تفسير القرآن الكريم، وقد وصف العلامة بن فرحون هذا التفسير فقال: "هو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، وأسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ". وقد بيّن المؤلف طريقة تأليفه في مقدمة كتابه بقوله: "....بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير، واللغات، والإعراب، والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعا بين معانيها، ومبينا ما أشكل منها، بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف".

وقد بيّن رحمه الله في مقدمة كتابه، شرطه ومنهجه في تفسيره أوضح بيان، نجمله في النقاط التالية:

- إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله،
- الإضراب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه، وما لا غنى عنه للتبيين،
- تبيين آيات الأحكام بمسائل تُسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها،
- إن لم تتضمن الآية حكماً ذكر ما فيها من التفسير والتأويل،
- ذكر أسباب النزول، والقراءات، والإعراب، وبيان الغريب من الألفاظ، مع الاستشهاد بأشعار العرب.

وقد وفّى القرطبي بما شرط على نفسه في هذا التفسير، فقد اهتم ببيان أسباب النزول، وذكر القراءات، واللغات ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، وتحديد أقوال الفقهاء، وجمع أقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف، ويكثر فيه من الاستشهاد بأشعار العرب، وقد نقل عمن سبقه في التفسير، مع تعقيبه على من ينقل عنه، مثل: ابن جرير، وابن عطية، وابن العربي، وإلكيا الهراسي، وأبي بكر الجصاص، وقد أضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، والإسرائيليات، فلم يسقطها بالمرة وإنما ذكر جانبًا منها أحيانًا، كما رد على المعتزلة، والقدرية، والروافض، والفلاسفة، وغلاة المتصوفة، وذكر مذاهب الأئمة وناقشها. ويمتاز هذا التفسير عما سبق من تفاسير أحكام القرآن أنه لم يقتصر على آيات الأحكام فقط، والجانب الفقهي منها، بل ضم إليها كل ما يتعلق بالتفسير. لذلك يعتبر هذا الكتاب من أفضل كُتب التفسير التي عُنيت بالأحكام، فقد كان يفيض في ذكر الأحكام التفصيلية ومسائل الخلاف الفقهي، سواء ما تعلق منها بالآيات عن قرب، أو ما تعلق بها عن بعد، مع بيان أدلة كل قول.

[16] تم الاستعانة بكتاب "التفسير والمفسرون"، للدكتور محمد حسين الذهبي، ج2، ص 336 - 342

هذا التفسير هو في الحقيقة من أكبر الموسوعات التفسيرية، والذي يتميز أيضا بحسن الترتيب، وحسن العرض، والأدب مع المخالف، وترك التعصب، فخير ما في القرطبي أنه لا يتعصب لمذهبه المالكي، بل يمشي مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أياً كان قائله.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: "وعلى الجملة، فإن القرطبي -رحمه الله- في تفسيره هذا، حر في بحثه، نزيه في نقده، عف في مناقشته وجدله، ملو بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن استطرد إليه أو تكلم فيه".

6. البحر المحيط، لأبي حيان

((مؤلف هذا التفسير هو أثير الدين، أبو عبدالله، محمد بن يوسف **بن حيان**، الأندلسي، الغرناطي، المتوفى ٧٤٥هـ . عُرف أبو حيان بكثرة نظمه للأشعار والموشحات كما كان على جانب كبير من المعرفة باللغة. أما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره، حتى صار لا يذكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره، وبجانب هذا كله كان لأبي حيان اليد الطولى في التفسير، والحديث، وتراجم الرجال ومعرفة طبقاتهم، خصوصا المغاربة. مؤلفاته كثيرة، ومن أهمها: تفسير البحر المحيط، وغريب القرآن في مجلد واحد، وشرح التسهيل، ونهاية الإعراب وخلاصة البيان.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

يعتبر هذا التفسير هو المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم، إذ أن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات القرآن. المؤلف قد أكثر من مسائل النحو في كتابه، مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير، إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عدا ذلك من النواحي التي لها اتصال بالتفسير فنراه يتكلم على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والقراءات الواردة مع توجيهها، كما أنه لم يغفل الناحية البلاغية في القرآن ولا يهمل الأحكام الفهية عندما يمر على آيات الأحكام، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف في ذلك.

وأبو حيان ينقل في تفسيره كثيرا من تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية، خصوصا ما كان في مسائل النحو ووجوه الإعراب، ويتعقبها بالرد والتفنيد. فخلاصة القول فإن أبا حيان قد غلبت عليه في تفسيره الناحية التي برز فيها وبرع فيها وهي الناحية النحوية التي طغت على ما عداها من نواحي التفسير.))[17]

[17] منقول بتصرف من كتاب التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 225 – 228.

هذا التفسير من المصادر التي تكشف صورة التأليف في تلك المرحلة. ولعل هذا الكتاب، مع أهميته وما يكشفه من طبيعة التأليف في هذه المرحلة، إلا أنه يأتي في أواخر هذه المرحلة من مراحل تاريخ التدوين في التفسير. يقول عنه تلميذه الصفدي، يتكلم عن أبي حيان الأندلسي: "لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب، وكان ثَبْتًا قيما عارفًا باللغة. وأما النحو والتصريف، فهو الإمام المطلق فيهما ." وهذه شهادة من تلميذه الذي خبره وعلم سيرته. وتفسيره أيضًا أحد الموسوعات الكبيرة في علم التفسير. اعتنى فيه بشكل كبير بصناعة النحو، وضمنه كثيرا من المسائل في اللغة، وفرائد وفوائد قلَّ نظيرها، وقل أن تجدها في غيره. وقد استفاد كثيرًا من تفسير ابن عطية، والزمخشري، وابن النقيب .

هذا، أيها الإخوة، باختصار أبرز الكتب والمصادر التي أُلِّفت في مرحلة التطور والازدهار . وقد اخترنا عددًا من الكتب المتنوعة، ما بين من يعتني بالسلف وآثارهم، وما بين من يعتني ببلاغة القرآن، وآخر يعتني باللغة والتصريف، وآخر يعتني بأحكام القرآن، ليكشف لنا طبيعة التأليف في هذه المرحلة والمستوى الذي وصله التأليف فيها، مما يعكس ويقرر ما أشرنا إليه سابقًا من أن هذه المرحلة تُعتبر هي العصر الذهبي في تاريخ التدوين في علم التفسير .
بهذا نختم الكلام عن هذه المرحلة، منتقلين إلى المرحلة التي تليها؛ وهي مرحلة الركود.

المرحلة الرابعة من مراحل تاريخ التفسير: عصر الركود

وهذه المرحلة يمكن أن تكون قد ابتدأت في أواخر القرن التاسع الهجري وبدايات القرن العاشر الهجري، واستمرت إلى سقوط الخلافة الإسلامية ودخول المستعمرين بلاد المسلمين واحتلالهم لها. وحينما نسميها مرحلة أو عصر الركود، فنعني بذلك أن الحركة العلمية قد ركدت في هذه الفترة. والحركة العلمية التي نقصدها هي الحركة العلمية المتعلقة بالتفسير، وليس شيئاً آخر غير التفسير؛ لأنها قد تكون هذه هي مرحلة الركود في علم التفسير، لكنها قد تكون مرحلة نهضة في علوم أخرى غير علم التفسير، إنما هذا الوصف يخص علم التفسير . وحينما نقول الركود فنعني به أن التأليف في التفسير قد ركد. ومعنى أنه ركد ليس أنه لا يوجد تأليف أو مؤلفات؛ بل الركود هنا في الإبداع في التفسير والتأليف. هذا الذي نقصده بالركود .

أبرز سمات هذه المرحلة من مراحل تاريخ التفسير، مرحلة الركود هي:

- **ضعف النشاط العلمي وقلة المجتهدين** الناظرين في كلام الله عز وجل، حيث غلب على هذه المرحلة التقليد والاقتصار على الجهد الذي خلَّفه العلماء السابقون، ولا سيما في المرحلة السابقة التي تكلمنا عنها .
- **كثرة الحواشي:** فغالب التفاسير والتدوين في علم التفسير اتجه إلى الاكتفاء بالتراث العلمي الذي خلَّفه السابقون، حيث قل المجتهدون وغلب التقليد. نعم، هناك تفاسير كثيرة جدًا ومؤلفات كثيرة جدًا في هذه المرحلة، لكن يغلب عليها إما الجمع بين عدد من الكتب؛ يأتي المفسر فيجمع عددًا من التفاسير السابقة

وينتخب منها تفسيرًا، أو يختصرها، أو يعمدون إلى شرح مختصراتها، إذا وجدوا تفسيرا مختصرا قاموا بشرحه، ونحو ذلك. فهم في الحقيقة يدورون في فلك المؤلفات السابقة. ولهذا كثرت الحواشي على التفاسير في هذه المرحلة، كَثُرَت كَثْرَةً لافتة للنظر، فتستغرب من كثرة الحواشي على التفاسير. لم تعد هناك الهمم لأن يبدأ الإنسان بتأليف كتاب مستقل، بل يذهب إلى أحد الكتب المشهورة فيضع عليه حاشية، **فتفسير البيضاوي** مثلا، الحواشي التي عليه تفوق المائة حاشية بين طويل ومختصر، منها:

* مختصر تفسير البيضاوي، لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بإمام الكاملية الشافعي القاهري، المتوفى سنة 874 هـ.
* حاشية الفاضل، أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني، المتوفى في حدود سنة 945 هـ.
* عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (حاشية الشهاب)، أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، المتوفى سنة 1069 هـ.

أهم أسباب الركود العلمي والإبداعي في التأليف في التفسير

1- **الاضطراب السياسي الذي شهده العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العباسية**، وحصول الاضطراب في العالم الإسلامي، حيث كثرت الممالك، وكثرت الإمارات، وكثر الاقتتال والاحتراب في داخل العالم الإسلامي، فصرف الناس وصرف العلماء وصرف الأمراء عن الاهتمام بالعلم وأهله، ورعاية المبدعين.

2- **ظهور الدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد** في تلك المرحلة اكتفاءً بما خلَّفه العلماء المتقدمون، فقالوا إنه لم يعد هناك من حاجة لأن نجتهد؛ لأن السابقين لنا قد كفونا تلك المؤونة .فهذه الدعوة ورواجها يحجب المحاولات العلمية التي تخترق باب التقليد وباب اجترار النتاج العلمي للسابقين.

من أهم المؤلفات في التفسير في عصر الركود

نقول هذا الكلام ونؤكد أيضا على أن هذه المرحلة لم تخل من مؤلفات علمية قيمة لها تأثيرها، ولكننا نتكلم عن السمة الغالبة في تلك المرحلة. ولعلنا نشير إلى كتابين فقط من التفاسير في هذه المرحلة للتعريف بها :

1. **تفسير الجلالين:** والجلالين نسبة إلى: جلال الدين، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلِّي الشافعي، المتوفى سنة 864 هـ، وجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي الشافعي، المتوفى سنة 911 هـ. هذا التفسير هو تفسير مختصر، أشبه ما يكون بالحاشية على القرآن الكريم. بدأه جلال الدين المحلي من سورة الكهف حتى آخر القرآن، ثم جاء جلال الدين السيوطي فأكمله على طريقته وغراره، حتى أنك لا تكاد تشعر باختلاف المنهجين، إلا أن السيوطي أميز منه عنايةً بأسباب النزول والرواية. ومن العجيب

أن هذه الحاشية أو هذا التفسير المختصر لقي رواجًا كبيرًا وعنايةً من أهل العلم، فكثرت عليه الحواشي والشروح بشكل كبير. من أحسن تلك الحواشي على تفسير الجلالين: حاشية العجلي الشافعي التي تسمى ***حاشية الجمل***، هي من أجود الحواشي على هذا الكتاب .

2. **تفسير أبي السعود:** من الكتب أيضا المهمة في هذه المرحلة، بل من أجودها: كتاب ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز***، المعروف بتفسير أبي السعود، ألَّفه محمد أبو السعود بن محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى عماد الدين العمادي الحنفي، المتوفى سنة 982 هـ . ومن مؤلفاته أيضاً: ***تحفة الطلاب في المناظرة***، و ***رسالة في المسح على الخفين***. فقد كان فقيهًا وقاضيا مجتهدًا فترقى حتى أصبح مفتياً للدولة القسطنطينية وشيخاً للإسلام في الفترة من 952هـ إلى 982هـ. وقد اعتنى في مُؤَلَّفُه "إرشاد العقل السليم" بشكل كبير ببلاغة القرآن الكريم وبديع نظمه، وهو في هذا يتكئ على كتابي الكشاف والبيضاوي، وله اختيارات خاصة ونظر خاص، مع جودة العبارة وحسن السبك. فتفسيره من التفاسير المميزة التي تعكس أيضًا طبيعة تلك المرحلة .

هذه باختصار أبرز سمات مرحلة أو عصر الركود، وهي، كما ذكرت لكم، من المراحل التي مرَّ بها علم التفسير، ومرحلة الركود لا تخص علم التفسير فقط بل قد يلحق الركود بأي علم، وهذه من طبيعة تطور أي علم الذي يبدأ صغيرًا ثم ينمو حتى يصل إلى القمة والذروة، وقد يستقر عليها فترة، وقد يهبط بعد ذلك عن هذه الرتبة والمنزلة .

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم، على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **سعاد ابراهيم**

قام بالمراجعة الأولى: **مروة الماحي**

قام بالمراجعة الثانية: **خلدون الأتاسي**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط وإعادة الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش.**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة.

حاولت باجتهاد متواضع أن ألقي بعض الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بكتاب ***التفسير والمفسرون***، للدكتور محمد حسين الذهبي، ومصادر أخرى تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.

رئيفة درويش

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة التاسعة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعد. كنا أيها الإخوة الكرام في المحاضرة الماضية تكلمنا عن مرحلة عصر الركود التي مر بها علم التفسير في تاريخ تدوينه، وذكرنا أبرز ملامح ذلك الركود، وأيضًا أسباب ذلك الركود في تلك المرحلة، ثم انتهى بنا الحديث إلى ذكر كتابين من الكتب التي ألفت في تلك المرحلة. سنختم حديثنا عن تاريخ التدوين في علم التفسير بالمرحلة الخامسة، وهي المرحلة الأخيرة، والتي أطلقنا عليها **مرحلة العصر الحديث.** وللتذكير، فإن المراحل التي مر بها **تاريخ التفسير** هي:

1. المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والظهور، من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عهد الصحابة، ثم عهد التابعين.
2. المرحلة الثانية: مرحلة التفسير في عصور التدوين، من بداية التدوين في التفسير إلى بداية القرن الرابع الهجري.
3. المرحلة الثالثة: مرحلة التطور والازدهار، من بداية القرن الرابع إلى نهاية القرن العاشر الهجري.
4. المرحلة الرابعة: عصر الركود، من القرن العاشر الهجري حتى سقوط الخلافة العثمانية.
5. المرحلة الخامسة: العصر الحديث، من عصر النهضة العلمية الحديثة إلى اليوم.

المرحلة الخامسة من تاريخ التفسير: العصر الحديث

إن الكلام عن هذه المرحلة له عدد من المجالات والجوانب والوقفات، التي قد تتشابك مع مقررات أخرى تدرسونها؛ ولهذا سأختصر إن شاء الله عز وجل قدر استطاعتي فيما يتعلق بالكلام عن هذه المرحلة؛ لأن الذي يهمنا هو الوقوف على السمات الغالبة للمرحلة، وشيء مما دُوِّن فيها دون إطالة.

وبدايةً نقول في مسألة تحديد متى يبدأ العصر الحديث، أن هذا فيه اختلاف بين المختصين، لكن بكل حال فإن سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، ودخول المحتل إلى بلاد المسلمين إلى يومنا هذا، يعتبر علامةً فارقةً في تاريخ المسلمين، فالفترة ما قبل سقوط الخلافة العثمانية وما بعدها هي نقطة فارقة وكبيرة جدًا في تاريخ العالم الإسلامي. فمنذ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقيام الدولة الإسلامية التي ينضوي تحتها كل المسلمين، واستمرار الخلافة الإسلامية الأموية، ثم العباسية، ثم العثمانية، وبعد ذلك سقوط الخلافة الإسلامية وسقوط مسمى الخلافة الإسلامية، ودخول المستعمر بلاد المسلمين، وتجزئة بلاد المسلمين وتقطيع أوصالها، هذه علامة فارقة ومؤثرة تأثيرًا كبيرًا جدًا، ليس فقط على جانب معين من جوانب حياة المسلمين، بل أثر على كل جوانب حياة المسلمين؛ الجوانب

السياسية، والجوانب الاقتصادية، والجوانب الاجتماعية، والجوانب الفكرية والعلمية، كل الجوانب أثَّرت فيها، ولذلك التأريخ بها وجعلها نقطةً فارقةً في تاريخ تدوين علم التفسير مهم جدًا.

سقوط الخلافة الإسلامية كان له تأثير عميق جدًا على المسلمين كلهم، وعلى وجه الخصوص على أهل العلم، لما رأوا العالم الإسلامي كله يتهاوى بعد سقوط الخلافة الإسلامية وإبعاد الخليفة المسلم، والعالم الإسلامي كله يتم تقسيمه وتوزيعه كما تتقاسم الكعكة بين المستعمرين، حتى أصبحت البلدان الإسلامية كلها فريسةً سهلةً ولقمةً سائغةً بيد المستعمر المحتل، كل هذا جعل أهل العلم يبدءون بمراجعةٍ ذاتيةٍ لأنفسهم ولواقعهم، والمراجعة الذاتية لأسباب هذه النكبة العظيمة التي حلت بالإسلام وأهله.

وكلهم بلا اختلاف يدركون أن السبب هو بعدهم عن كتاب الله عز وجل؛ لأن هذا القرآن الكريم هو كان سبب عز المسلمين، ونشأتهم، وظهورهم، وغلبتهم، وانتشارهم، فبُعدهم عنه أوقعهم في هذه الحال التي هم عليها، ولذلك هم اقتنعوا أن أسباب نهضة المسلمين، وأسباب رجوع المسلمين عن هذا التخلف لكي يعودوا مرة أخرى قادة العالم، يكمن في هذا القرآن الكريم، فكل الحركات التصحيحية، كل المسارات النهضوية في العالم الإسلامي، كلها تنطلق من القرآن الكريم، حتى النهضات الفكرية والعلمية.

تميزت مرحلة العصر الحديث بسمة بارزة، وربما تكون هي السمة التي يندرج تحتها كل ما عداها من السمات، **تميزت هذه المرحلة بالمحاولات الجادة للتجديد في النظر في كلام الله عز وجل وتفسيره**، كانت هذه هي السمة البيّنة الواضحة على أغلب الجهد العلمي في تفسير كلام الله عز وجل، بل حقيقة لا تكاد تجد مفسرًا معاصرًا فسَّر كلام الله عز وجل إلا وهو يستصحب هذا المعنى؛ أن يجدد في التفسير، وتجده في ثنايا كلامه يشير إلى أنه أراد بتفسيره تجديد التفسير، وتجديد النظر في التفسير بعد ما مر به التفسير من فترة الركود والجمود الخالية من التجديد والابتكار. ولكن، هل هذا التجديد كان تجديداً حقيقياً أم صورياً؟ هل التزم المفسرون في العصر الحديث بالتجديد فعلًا أم لا؟ نستطيع أن نقول: إن **غالب التفاسير الموجودة لم تحقق التجديد بالمفهوم الصحيح، ولا بالمفهوم الذي قصده حتى المؤلف**، فلا يصدق التجديد إلا على كتب محدودة معدودة من التفاسير المعاصرة، كما سنوضح ذلك إن شاء الله في الأمثلة التي نضربها على الكتب التي ألفت في هذه المرحلة.

✔ مميزات التفسير في العصر الحديث

((ظل التفسير واقفا عند مرحلة الركود والجمود لا يتعداها ولا يحاول التخلص منها حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فاتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود، ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة – وإن كان لها اعتماد كبير على ما دونه الأوائل في

التفسير – أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيرا لا يسعنا إنكاره، ذلك هو العمل على التخلص من كل هذه الاستطرادات العلمية التي حشرت في التفسير حشرا ومزجت به على غير ضرورة لازمة، والعمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على أصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وإلباس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا، يظهر روعة القرآن، ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموفقين في الغلو والاعتدال، وكان ذلك من أجل أن يعرف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمشى مع الزمن في جميع أطواره ومراحله.. وهناك غير هذه الآثار آثار أخرى ظهرت في الاتجاه التفسيري في هذا العصر الحديث، نشأت عن عوامل، أهمها: التوسع العلمي، والتأثر بالمذهب والعقيدة، والإلحاد الذي قام على حرية الرأي الفاسد.))[18]

✓ محاولات التجديد في التفسير في العصر الحديث

محاولات التجديد في التفسير اتخذت شكلين:

1. **التجديد في طريقة العرض:** التجديد الشكلي الظاهري الذي لا يمس الجوهر، وإنما يتعلق بطريقة العرض وشكله ومظهره، من حسن العرض، وحسن الترتيب، وحسن التقسيم، والاختصار، والتقريب، وتسهيل العبارة، ونحو ذلك. وهذا هو السمة الغالبة على محاولات التجديد في التفسير في العصر الحديث، وهو ما نسميه بالتجديد الظاهري الشكلي.
2. **التجديد في المضمون:** التجديد الحقيقي، حيث يعتمد على محاولات جادة في الكشف عن معاني القرآن الكريم، أو طرق مواضيع وميادين جديدة لم يسبق إليها، أو إبراز مناهج واتجاهات جديدة في طريقة التأليف والكتابة في التفسير، وهذا النوع من التجديد هو الأقل في الحقيقة؛ لأنه دائمًا الشيء المميز يكون أقل من الشيء المعتاد. (وأرجو إن شاء الله أن تدرسوا ذلك في مقرر مستقل، يكشف الضوء عن التأليف، واتجاهات التأليف في العصر الحديث).

✓ اتجاهات التفسير في العصر الحديث

ظهرت اتجاهات في التفسير لم تكن معروفة من قبل، يمكن إجمالها في ثلاثة اتجاهات برزت بشكل كبير وبيّن وهي:

1. **الاتجاه الأول: الاتجاه الاجتماعي:** وحينما نقول الاتجاه الاجتماعي فنحن نعني به ذلك النوع من التفسير الذي يعالج قضايا الناس الواقعة، منطلقا من القرآن الكريم، فيحاكم تلك الظواهر الإجتماعية إلى القرآن

---

[18] الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص 363 - 369.

الكريم، ويتحاكم إلى معاني القرآن الكريم وهداياته في تقييم الواقع أو معالجة الانحراف فيه، مسترشدًا بهدي القرآن، ومستهديًا بنوره، وهو يتناول تلك القضايا الاجتماعية.

((هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران..... إن الفضل في هذا اللون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده للتفسير فهو زعيمها وعميدها، ثم المرحوم السيد محمد رشيد رضا، ثم المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، وهما خير من أنجبت هذه المدرسة))[19].

2. **الاتجاه الثاني: الاتجاه الموضوعي:** وهو الذي يعتني بدراسة الموضوعات التي وردت في القرآن الكريم بمنظور قرآني، يكون القرآن هو مُنطلَقه في مدارسة ودراسة ذلك الموضوع الذي ورد في القرآن الكريم.

3. **الاتجاه الثالث: الاتجاه العلمي:** ونعني به الربط بين ما في القرآن الكريم من إشارات إلى مسائل علمية، وما كشفه العلم الحديث في شتى ميادين المعرفة، فيعتنون بالربط بين ما في القرآن الكريم من إشارات إليها وبين ما دل عليه العلم الحديث في مختلف الميادين العلمية، في الطب، في الفلك، في الاقتصاد، في علم النفس، في علم الأرض وطبقاتها، في علم الأفلاك، شتى أنواع العلوم والمعرفة.

((هذا اللون من التفسير، والذي يرمي إلى جعل القرآن مشتملا على سائر العلوم ما جد منها وما يجد، قد استشرى أمره في العصر الحديث، وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية بالعلوم وعناية بالقرآن الكريم، وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية التي تسلطت على قلوب أصحابها، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيرا من الكتب يحاول أصحابها فيها أم يحمِّلوا القرآن كل علوم الإض والسماء، وأن يجعلوه دالا عليها بطريق التصريح أو التليمح، اعتقادا منهم أن هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه وإعجازه وصلاحيته للبقاء. ومن أهم الكتب التي عنيت بهذا اللون كتاب: "كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية" للإمام محمد بن أحمد الاسكندراني، من علماء القرن الثالث عشر الهجري. وأعظم علماء العصر الحديث تشيعا للنزعة التفسيرية العلمية وأكثرهم إنتاجا لهذا التفسير هو المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره: ***الجواهر***، المطبوع سنة 1341هـ – 1351هـ.))[20].

---

19 المصدر السابق
20 المصدر السابق

هذه الاتجاهات الثلاثة الجديدة في التفسير برزت بشكل كبير في العصر الحديث فأصبحت سمةً غالبةً على كثير من المؤلفات في التفسير في هذا العصر، حتى أن بعض الجامعات والمراكز العلمية المستقلة قامت بتبني الاتجاهين الموضوعي و العلمي، واعتنت بهما.

ظهور اللون المذهبي، واللون الإلحادي في التفسير:

من ألوان التفسير التي ظهرت في العصر الحديث هو ظهور اللون المذهبي واللون الإلحادي بسبب وجود بعض الفرق المنحرفة في هذا العصر، حيث نجد أن المحاولات الجادة للتجديد في التفسير والنظر فيه، رافقها وسار معها بخطٍ موازٍ اتجاهات منحرفة في تفسير كلام الله عز وجل، تَتَزَيَّا بزيِّ التجديد وروح المعاصرة، وهي في الحقيقة اتجاهات غربية تغريبية، تعتمد مناهج فلسفية، تنتهي بصاحبها وبالمشتغل بها إلى الطعن في القرآن الكريم، وفي أبرز ما يميزه وهو أنه كلام الله عز وجل، فاعتمدت على تجريد القرآن الكريم من أعظم سمة له، وهو كونه كلام الله عز وجل، بالرغم من أن أصحاب هذا الخط الموازي أيضا يدَّعون التجديد وروح المعاصرة في فهم كلام الله عز وجل، ولكن - كما ذكرت لكم - ينتهي بهم الحال إلى تجريد القرآن عن أعظم ميزة له وهو أنه كلام الله عز وجل، فإذا جُرِّد عن هذا المعنى بقي كنص تراثي كسائر النصوص التراثية، يخضع للمقاييس الأدبية والذوقية لمتلقيه، أيًا يكن ذلك المتلقي، وهي في الحقيقة انتشرت بشكل كبير جداً، إن لم تكن في مستوى المحاولات الجادة الراشدة للتجديد في التفسير، فهي قريبة منها في خطورتها وكثرتها وكثرة المتأثرين بها، ولا سيما من طبقة المثقفين وأهل الرأي والفكر. (ولعله إن شاء الله عز وجل ييسر الله لكم في أحد المقررات في ضمن الأكاديمية دراسة هذه المناهج المنحرفة في تفسير كلام الله عز وجل في العصر الحديث).

✔ أهم المؤلفات في التفسير في العصر الحديث

نختم الكلام عن هذه المرحلة بذكر بعض نماذج للتفاسير في هذه المرحلة، منها:

1. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني [21]

ألَّفه أبو الثناء، **شهاب الدين محمود بن شكري الآلوسي**، المتوفى سنة 1270 من الهجرة. كان الألوسي عالماً باختلاف المذاهب، مطلعا على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، إلا أنه كان في كثير من المسائل يقلد أبا حنيفة، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد. خلف للناس ثروة علمية كبيرة ونافعة، منها تفسيره لكتاب الله (ما نحن بصدده)، وحاشيته على قطر الندى، وشرح السلم في المنطق، ومنها: الفوائد السنية في علم آداب البحث، وغير ذلك من المؤلفات.

[21] الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 250 – 257.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

- هذا التفسير الموسوعي يعتبر كتابا جامعا لآراء السلف رواية ودراية، مشتملا على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل من سبقه من التفاسير، فينقل عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي وغيرها من كتب التفسير المعتبرة، وكان عندما ينقل من هذه التفاسير ينصب نفسه حكما عدلا بينها، وينقد نقدا مدققا، ثم يبدي رأيه حرا فيما ينقل،
- الألوسي في تفسيره له موقف من المخالفين لأهل السنة، فنراه كثيرا ما يفند أراء المعتزلة والشيعة وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه،
- استطرد الألوسي في تفسيره في المسائل الكونية،
- استطرد في المسائل النحوية إلى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسرا،
- إذا تكلم عن آيات الأحكام يستوفي مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم التعصب منه لمذهب معين،
- شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة،
- تعرض في تفسيره للقراءات والمناسبات وأسباب النزول، وكثير الاستشهاد بأشعار العرب.
- لم يفت الألوسي أن يتكلم عن التفسير الإشاري بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات، ومن هنا يعد بعض العلماء تفسيره هذا ضمن كتب التفسير الإشاري.

2. "تفسير التحرير والتنوير"، لابن عاشور

هذا التفسير ألّفه العالم والفقيه التونسي، الشيخ **محمد الطاهر بن محمد بن عاشور**، المتوفى سنة 1393 للهجرة. فسّر الشيخ ابن عاشور القرآن الكريم تفسيرا كاملا سماه: ***تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد***، واختصر هو نفسه هذا الاسم تحت عنوان ***تفسير التحرير والتنوير***.

ألف عشرات الكتب منها ما هو في العلوم الإسلامية ومنها ما هو في العربية وآدابها: مثل: كتابه الثمين والفريد من نوعه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، و"الوقف وآثاره في الإسلام"، و"كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ"، و"التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح" في أصول الفقه وهذا الكتاب هو شرح على كتاب تنقيح الفصول في الأصول للقرافي ، وغيرها من الكتب النافعة.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

ويعتبر هذا التفسير موسوعة من المعارف، ويعتبر من أفضل التفاسير المعاصرة التي تعكس سمات هذه المرحلة من محاولات التجديد في التفسير، فهو يمثل ما نشير إليه من رغبة علماء هذا العصر في التجديد في التفسير، بل يمكن أن يعد في ضمن مجموعة من التفاسير هي أفضل ما دُوِّن في تاريخ التفسير. اعتنى مؤلفه بشكل كبير بإظهار وجوه نظم القرآن وبلاغته وإعجازه، مع بيان مقاصد الشريعة الكبرى، وهو في الحقيقة معدودٌ ممن جدد في التفسير في العصر الحديث.

وقد بيّن ابن عاشور منهجه فيه في مقدمته فقال: " وَقَدِ اهْتَمَمْتُ فِي تَفْسِيرِي هَذَا بِبَيَانِ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ ، وَنُكَتِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ ، وَاهْتَمَمْتُ أَيْضًا بِبَيَانِ تَنَاسُبِ اتِّصَالِ الْآيِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ... وَلَمْ أُغَادِرْ سُورَةً إِلَّا بَيَّنْتُ مَا أُحِيطُ بِهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا ؛ لِئَلَّا يَكُونَ النَّاظِرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مَقْصُورًا عَلَى بَيَانِ مُفْرَدَاتِهِ وَمَعَانِي جُمَلِهِ كَأَنَّهَا فِقَرٌ مُتَفَرِّقَةٌ تَصْرِفُهُ عَنْ رَوْعَةِ انْسِجَامِهِ وَتَحْجُبُ عَنْهُ رَوَائِعَ جَمَالِهِ. وَاهْتَمَمْتُ بِتَبْيِينِ مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، بِضَبْطٍ وَتَحْقِيقٍ مِمَّا خَلَتْ عَنْ ضَبْطِ كَثِيرٍ مِنْهُ قَوَامِيسُ اللُّغَةِ. وَعَسَى أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْمُطَالِعُ تَحْقِيقَ مُرَادِهِ ، وَيَتَنَاوَلَ مِنْهُ فَوَائِدَ وَنُكَتًا عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ ، فَإِنِّي بَذَلْتُ الْجُهْدَ فِي الْكَشْفِ عَنْ نُكَتٍ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْجَازِهِ خَلَتْ عَنْهَا التَّفَاسِيرُ ، وَمِنْ أَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ الْفَصِيحِ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ هِمَمُ النَّحَارِيرِ ، بِحَيْثُ سَاوَى هَذَا التَّفْسِيرُ عَلَى اخْتِصَارِهِ مُطَوَّلَاتِ الْقَمَاطِيرِ ، فَفِيهِ أَحْسَنُ مَا فِي التَّفَاسِيرِ، وَفِيهِ أَحْسَنُ مِمَّا فِي التَّفَاسِيرِ ، وَسَمَّيْتُهُ : تَحْرِيرَ الْمَعْنَى السَّدِيدِ وَتَنْوِيرَ الْعَقْلِ الْجَدِيدِ مِنْ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ، وَاخْتَصَرْتُ هَذَا الِاسْمَ بِاسْمِ : التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ مِنَ التَّفْسِيرِ "[22]. انتهى .

3. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

من الكتب أيضا المؤلفة في هذا العصر: ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***، **لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي**، المتوفى أيضا سنة 1393 للهجرة، وهو من كبار العلماء المعاصرين، ممن برع في التفسير، والفقه، والأصول، والنحو، والسيرة، والتاريخ، ودرَّس وعلَّم وصار قاضيًا، حتى استقر به المقام ونزل في المدينة وكان من أهلها، ومن مؤلفاته المشهورة "منع جواز المجاز"، ومن مؤلفاته أيضا "دفع الاضطراب عن آي الكتاب"، وكتابه ***أضواء البيان*** توفي رحمه الله قبل إتمامه، فأتمه تلميذه الشيخ عطية سالم -رحم الله الجميع-، وقد أوضح في مقدمته مقصوده من التأليف؛ بأنه أراد بيان القرآن بالقرآن، ولأجل ذلك كتب في المقدمة كلامًا مطولًا عن تفسير القرآن بالقرآن فقال:

[22] "التحرير والتنوير" (1/8)

"واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران: أحدهما بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلاّ بالقراءة سبعية سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهادًا للبيان بقراءة سبعية، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات. والثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة في هذا الكتاب، فإننا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء في ذلك، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل، من غير تعصب لمذهب معين ولا لقول قائل، معين لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلامه صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيرًا. وقد تضمن هذا الكتاب أمورًا زائدة على ذلك، كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق ما يحتاج إليه فيه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث"

4. "تفسير المنار"، لمحمد رشيد رضا [23]

من التفاسير المهمة أيضا في العصر الحديث: تفسير القرآن الحكيم، المشهور بـ*تفسير المنار*، وألّفه الشيخ **محمد رشيد رضا**، المتوفى سنة 1354هـ. يعتبر محمد رشيد رضا مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي والنهضة الفكرية الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا. هو أحد أبرز تلاميذ الشيخ محمد عبده، أسس مجلة "المنار" على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده.

إذا تتبعنا ما كتبه الشيخ رشيد رضا من تفسير للقرآن الكريم لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الإمام محمد عبده إنتاجا في التفسير، ذلك أنه ابتدأ في تفسيره بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى في الآية 101 من سورة يوسف: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: 101]. هذا القدر من التفسير مطبوع في اثني عشر مجلدا كبارا، وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله. هذا وقد فسر الشيخ رشيد رضا من القصار: سورة الكوثر، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين.

[23] تم الاستعانة بكتاب "التفسير والمفسرون" للدكتور محمد حسين الذهبي، ج2، ص 422 – 425 في صياغة هذا الجزء من المحاضرة.

ربما لا نستطيع أن نستبين منهج الشيخ رشيد بشكل واضح في تفسيره لهذا الكتاب؛ لأنه لم يُؤَلِّف وهو يريد التفسير ابتداءً، كما أنه مكث مدةً طويلةً أكثر من ثلاثين سنة في تفسيره، ولهذا يصعب أن نضع منهجًا محددًا لهذا التفسير، وفضلًا عن ذلك، فتفسيره كان أصلًا دروسًا في التفسير ألقاها شيخه الإمام محمد عبده مشافهةً، فكان يكتب ما يسمع، ثم يزيد عليه بما يذكره من دروس الشيخ بعد ذلك، ثم يقوم بعد ذلك بنشرها في مجلة "المنار" بعد أن يحررها. ففي هذه الأثناء كان يسير على منهج الإمام محمد عبده في التفسير.

يوضح الدكتور محمد حسين الذهبي منهج الشيخ رشيد رضا في التفسير قبل وفاة الإمام محمد عبده، فيقول: " وأما منهجه فيه فهو عين ما نهجه الأستاذ الإمام، فلا تقيد بأقوال المفسرين، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن، ولا خوض في إسرائيليات، ولا تعيين لمبهمات، ولا تعلق بأحاديث موضوعة، ولا حشد لمباحث الفنون ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم، بل شرح للآيات بأسلوب رائع وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة، وتوضيح لمشكلات القرآن، ودفاع عنه يرد ما أثير حوله من شبهات، وبيان لهدايته، ودلالة إلى عظيم إرشاده، وتوقيف على حكم تشريعه، ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه، وبيان لسنن الله في خليقته."

ولكننا نجد أن الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة شيخه أكملَ تفسيرَه (تفسير المنار)، ولكن بعد أن أحاد عن منهج شيخه بعض الشيء واستقل بعمله - لأن شيخه كان يعتني بالمسائل العقلية، وكان يدع مجالًا للعقل بصورة أرحب وأوسع في النظر في الآيات - يحدثنا الشيخ رشيد بذلك فيقول: "وأنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه -رحمه الله تعالى- بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء أكان تفسيرًا لها، أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس.".

ومما يُذكر أيضًا، أن الشيخ رشيد رضا لما بدأ ينشر تفسيره في مجلته "المنار"، وهي يطلع عليها جمهور الناس بمختلف طبقاتهم العلمية والفكرية، اضطره ذلك إلى أن يستجيب لحاجات الناس وما يرغبونه، من تعطشهم للهداية بالقرآن الكريم، ورغبتهم في الرجوع إلى معانيه وهداياته، فجعله ذلك يعتني بعقد فصول إصلاحية، تركز على جوانب الخلل في المجتمعات وإصلاحها، وأدرجها في تفسيره.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **نهى الخشن**
قام بالمراجعة الأولى: **أحمد عبد الرحمن**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة.

حاولت باجتهاد متواضع أن ألقي بعض الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بكتاب ***التفسير والمفسرون***، للدكتور محمد حسين الذهبي، ومصادر أخرى تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.
رئيفة درويش

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد، كنا في المحاضرة الماضية قد بدأنا الكلام عن المرحلة الأخيرة من مراحل التفسير، وهي **التفسير في العصر الحديث**، وأشرنا إلى الاختلاف بين المختصين في تاريخ بداية العصر الحديث ، إلا أننا نعتقد أن سقوط الخلافة الإسلامية ودخول العالم الإسلامي في مرحلة الاستعمار الغربي، أن هذه علامة بارزة جدا ومؤثرة في المسار العلمي، ليس فقط في علم التفسير، بل في كل العلوم. كما أشرنا في المحاضرة السابقة إلى أبرز سمة من سمات التفسير في العصر الحديث، وهي محاولة التجديد، هذه هي السمة الغالبة جدا، وتجدها حاضرة في أذهان كل أهل العلم و المختصين والباحثين الذين يشتغلون بتفسير كلام الله عز وجل، وذكرنا بعض كتب التفسير التي تعكس طبيعة هذه المرحلة. في هذه المحاضرة بإذن الله سنستكمل الكلام عن ذكر بعض المؤلفات في التفسير التي تعكس طبيعة المرحلة الأخيرة من مراحل التفسير، وهي التفسير في العصر الحديث.

✓ تابع: أهم المؤلفات في التفسير في العصر الحديث

5. تفسير المراغي

من أهم كتب التفسير التي أُلِّفت في هذه المرحلة هو: ***تفسير المراغي*** الذي ألَّفه المفسر المصري الشيخ **أحمد مصطفى المراغي**، المتوفى سنة 1371 للهجرة، وهو شقيق لشيخ الأزهر آنذاك،الشيخ محمد مصطفى المراغي. الشيخ أحمد مصطفى المراغي من علماء اللغة العربية والشريعة الإسلامية، له عدد من المؤلفات منها: كتاب ***الحسبة في الإسلام***، وكتاب ***الوجيز في أصول الفقه***، وكتاب ***علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني***، وكتابه ***تفسير المراغي***، وهو أشهر كتبه.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

((شَرَح الشيخ المراغي منهجه في التفسير في مقدمة كتابه، والذي نستطيع أن نستخلص منه: أنه كان يذكر الآيات، ويشرح المفردات اللغوية، ويأتي بالمعنى الإجمالي للآيات، ويبين أسباب النزول، وكان يُعرِض عن ذكر مصطلحات العلوم من نحو وصرف وبلاغة إلى أشباه ذلك، مما أدخله المفسرون في تفاسيرهم، والتي كانت من العوائق التي حالت بين جمهرة الناس وقراءة كتب التفسير، كما قام بتمحيص الروايات في كتب التفسير.

وقد عمد الشيخ إلى التطور والتجديد في أسلوب التفسير ليناسب عصره وذلك لما رأى أن الأساليب التي كتبت بها كتب التفسير وضعت في عهود سحيقة بأساليب تناسب أهل العصور التي ألفت فيها، ولكنه في نفس الوقت أشاد بجهود السابقين معترفاً بفضلهم مستنداً إلى آرائهم، وذكر ذلك الأمر في مقدمته معلقا على ما يمتاز به أهل عصره قائلاً: "يمتاز هذا العصر بميل أهله لسهولة الكلام ليفهم الغرض المراد منه حين التخاطب، دون احتياج إلى النقاش وصنوف التأويل، ومن ثم كان أهم ما عنيت به أن أقرأ في الموضوع الواحد ما كتبه أعلام المفسرين على اختلاف نزعاتهم وتباين أزمنتهم حتى إذا اطمأننت إلى فهم ما قرأت وتمثلته وهضمته، كتبته بأسلوب العصر الحاضر، وهذا هو نهجي في تأليف هذا التفسير وما حملني على ركوب هذا المركب الخشن، واقتحام هذه العقبات إلا انصراف القارئين عن قراءة كتب التفسير التي بين أيدينا، بدعوى أنها صعبة المدخل مفعمة بكثير من المصطلحات التي لا يعلمها إلا من أتقن هذه الفنون، واستبدلت بأساليب المؤلفين أسلوبا سهل المأخذ قليل الكلفة في الفهم، حتى يستطيع القارئ أن يلمّ بأسرار كتاب الله دون كدّ ولا نصب.")[24]

إذن، يتميز تفسير المراغي بسمات هذه المرحلة، وهي أن عبارته سهلة وواضحة وقريبة للناس، أراد بها تقريب معاني القرآن الكريم من أفهام عامة الناس، وقد نص على ذلك في مقدمة تفسيره، مع انتقاده الشديد للروايات الإسرائيلية، وهو أيضا لا يخفي تأثره بمدرسة الشيخ محمد عبدُه، مع ما نجده من محاولات في تفسيره لتفسير آيات القرآن الكريم وفق ما وصل إليه أهل عصره وزمانه من علم ومعرفة، خاصة بالعلوم التجريبية.

6. في ظلال القرآن

من التفاسير المهمة في عصرنا الحديث - ولعلنا نختم به الكلام عن هذه المؤلفات - كتاب ***في ظلال القرآن***، الذي ألفه الأستاذ **سيد قطب**، المتوفى سنة 1385 للهجرة. الأستاذ سيد قطب هو كاتب وأديب مصري وأحد رواد الفكر الإسلامي المعاصر،و يعتبر من أكثر الشخصيات تأثيرًا في الحركات الإسلامية التي وجدت في بداية الخمسينيات من القرن الماضي. له العديد من المؤلفات والكتابات منها ما هو أدبي ومنها ما هو حول الحضارة الإسلامية، والفكر الإسلامي والتي تكشف عن طبيعة فكره ومنهجه، من هذه المؤلفات: كتاب ***نحو مجتمع إسلامي***، وكتاب ***معركتنا مع اليهود***، وكتاب ***معالم في الطريق***، ويأتي في تاج إنتاجه العلمي و فكره و نضوجه كتاب التفسير، ***في ظلال القرآن***. يُصنف تفسيره من بين التفاسير الموضوعية لأن له عناية كبيرة بالوحدة الموضوعية بين آيات القرآن الكريم في السورة، فهو يعتني بشكل كبير بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، "وذلك بالكلام عن السورة ككل، من ناحية أغراضها العامة والخاصة، مع ربط موضوعاتها، بعضها ببعض، حتى تبدو السورة، وهي في منتهى التناسق

[24] هذه الفقرة من خارج المحاضرة، مختصرة ومنقولة من تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، الجزء الأول، المقدمة، الناشر: مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى 1946م، ص15-19.

والإحكام، وكأنها عقد من لؤلؤ منظوم في غاية الإبداع" [25]. وأما تركيزه الكبير فقد كان لعلاج أوضاع الناس وإصلاح أحوالهم وفق ما يفهمه من القرآن الكريم، فكان يعرض واقع الناس وأحوالهم على آيات القرآن الكريم، يبين الخلل الذي وقع فيه الناس، ومقدار بعدهم عن منهج الله عز وجل الذي أنزله في القرآن، ثم يبين من خلال آيات القرآن الكريم ما يَعتقد أنه السبيل الأرشد لعلاج هذا الواقع والخروج بالناس منه، وبعد هذا فله عناية بمناقشة المستشرقين في بعض في آرائهم وأفكارهم والرد عليهم، وهو واحد من أكثر الكتب المعاصرة تأثيرا في الفكر المعاصر.

✓ هذه أيها الأخوة أبرز المؤلفات في مرحلة العصر الحديث. وبهذا نكون قد مررنا على المراحل التي مر بها علم التفسير، منذ نشأته و ظهوره إلى يومنا هذا، لعلنا - وهذا ما أرجوه وأتمناه - قد بان لنا الخط الزماني لعلم التفسير منذ أن بدأ، كيف بدأت بذرته ونشأت وازدهرت وتطورت وعلت حتى وصلت درجة الكمال في عصرها الذهبي، ثم ركدت، ثم كيف كانت في عصرنا الحديث، لعل هذا الخط الزماني يكشف لنا عن طبيعة التأليف في علم التفسير، وتاريخ التدوين فيه. وقفنا بإجمال كبير جدا على المؤلفات التي ألفت في هذه المراحل، وطبيعة المقرر تقتضي ذلك؛ لأنها هي في حقيقتها رصد تاريخي للتدوين في هذا العلم وليس المقصود منها دراسة تلك المؤلفات، بل دراستها لها مقرراتها الخاصة، والتي أرجو الله عز وجل أن ييسر لكم دراستها، أما وقد تكلمنا عن هذه المراحل كلها فيجدر التنبيه على ثلاث مسائل، ولعلي قد ذكرت ذلك في أول كلامنا عن هذه المراحل، ولكن لا بأس أن أعيد التأكيد عليها:

النقطة الأولى: أن هذا التقسيم لهذه المراحل، وجعل مراحل تاريخ التدوين في التفسير على خمسة مراحل هو أمر اجتهادي، تختلف فيه وجهات النظر، فالتقسيمات التي وضعتها هنا قد يأتي غيري فيزيد عليها أو ينقص منها.

النقطة الثانية: إن المقصود بهذا التقسيم هو توضيح المسيرة العلمية بشكل يقربها لأذهان الطلاب، بحيث يتصور الإنسان أن هناك مرحلة، وفي كل مرحلة سمة مميزة لها، وفي كل مرحلة هناك عدد من المؤلفات، هذا هو المقصود، أي أن تقرب الصورة الذهنية للخط الزمني لتاريخ علم التفسير لطالب العلم، وإلا فهذه المراحل التي ذكرناها ليست مراحل حدية، بمعنى: أن لها بداية دقيقة ونهاية دقيقة، كلا! فالعلوم تتشابك زمانا ومكانا، فيصعب التمييز بين زمن دون زمن، لكننا نقرب، فنقول هذه مرحلة النشأة والظهور إلى بداية التدوين، وبداية التدوين إلى القرن الرابع، والقرن الرابع إلى القرن التاسع، ثم بعد ذلك إلى سقوط الخلافة الإسلامية، المقصود بهذه هو فقط لتقريب الصورة للمتلقي وطالب العلم.

[25] الموسوعة القرآنية المتخصصة - الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (التابع لوزارة الأوقاف بجمهوريةمصر العربية)، طبعة القاهرة 1433 هـ 2003 / م ، ص 288.

النقطة الثالثة: هذه المراحل التي ذكرتها، وجعلت تاريخ التفسير مقسما عليها، وهي خمسة مراحل، لا يلزم أن تكون لكل العلوم، فلا يلزم أن يكون علم الفقه بهذه الصورة، أو علم العقيدة بهذه الصورة، أو علم الحديث بهذه الصورة، قد يكون لتلك العلوم مراحلها المختلفة، وأسماؤها المختلفة، وتواريخ كل مرحلة، فلا يلزم أن تكون هذه المراحل هي بعينها منطبقة على سائر العلوم الإسلامية، فقد يكون مثلا: ما هو عصر ازدهار لعلم التفسير، قد يكون عصر ركود لعلوم أخرى، والعكس؛ ما قد يكون عصر ركود في علم التفسير، قد يكون عصرا ذهبيا لغيره من العلوم.

الخلاصة

وبعد، أيها الأخوة الكرام، هذا مقرر تاريخ التفسير، تناولنا فيه عددا من المسائل التي هي - في الحقيقة - غاية في الأهمية، وربما كان بعض هذه المسائل يحتاج إلى مزيد تحرير؛ لأن الكتابة في تاريخ التدوين لعلم التفسير لم تلقَ العناية الواجبة، لصعوبتها، ولقلة المصادر التي تكلَّمتْ عنها، ولكننا حاولنا في هذه المحاضرات العشرين أن نستعرض عددا من الجوانب، وأن نلقي الضوء على بعض زوايا تاريخ التدوين في علم التفسير.

نحن تكلمنا عن **نشأة هذا العلم وظهوره**، سواء كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أو في عهد الصحابة، أو في عهد التابعين، والحقيقة إن هذه المرحلة - أعني **مرحلة النشأة والظهور** - هي الأساس الذي بني عليه عملية التفسير؛ ولذلك أخذتْ جزءا كبيرا من دراستنا ومدارستنا، وأشرنا في ثناياها إلى قضايا أساسية تتعلق، مثلا، بالموقف والمنهج من الروايات الإسرائيلية، تكلمنا أيضا عن مسألة الضعف في علم الرواية في علم التفسير، تكلمنا أيضا عن منهج نقد الروايات التفسيرية.

انتقلنا بعد ذلك إلى الكلام عن **المرحلة الثانية مرحلة التدوين**، وأشرنا في هذه المرحلة إلى عدد من القضايا الأساسية تتعلق بالتدوين في علم التفسير، متى بدأ؟ وكيف بدأ؟ ومن بدأه؟ وأشرنا في ثنايا ذلك إلى صعوبة رصد ذلك، أي صعوبة معرفة وتبيُّن أول من ألف في علم التفسير؛ لسبب بسيط، وهو أن كثيرا من تراثنا هو في حكم المفقود، أشرنا إلى مسألة الترابط بين علوم الشريعة، وأشرنا إلى قضية يكثر ذكرها وهي ارتباط علم التفسير بعلم الحديث، وأن هذا الارتباط المزعوم هو نظر غير دقيق في تاريخ العلوم، بحيث أن دعوى أن علم التفسير ارتبط في بدءه وظهوره بعلم الحديث، أن هذه الدعوى وهم، ولا يعكس حقيقة تاريخ التدوين في علوم الشريعة.

أيضا تكلمنا عن **مرحلة التطور و الازدهار** التي بدأت من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن التاسع الهجري، وأشرنا إلى أبرز سمة تميز هذه المرحلة، وهي اتساع التأليف، اتساع التأليف بشكل كبير في تفسير كلام الله عز وجل توسعا قل نظيره، ولم يأتِ بعده مثله، مع ظهور أثر التكوين العلمي على المؤلِف، فالمعتني باللغة تجد ذلك يظهر في تفسيره، والمعتني بالفقه تجد ذلك يظهر في تفسيره، وضربنا نماذج على ذلك.

ثم انتقلنا أيضا إلى **مرحلة ركود علم التفسير**، ركود التدوين في علم التفسير، وأشرنا إلى أننا نقصد بالركود هو عدم وجود تأليف يتميز بالجدة، بالأصالة، في علم التفسير، وأن غالب الكتب المدونة في تلك المرحلة - مع كثرتها وتنوعها - غالبها اجترار لما كان كتبه السابقون، إما اختصارا، أو جمعا بين متفرق، أو وضع حواش وتعليقات على تلك الكتب المتقدمة.

وختمنا حديثنا بالكلام عن **العصر الحديث**، وأشرنا إلى أن أبرز ما يميز العصر الحديث هو الرغبة في التجديد، التي مبعثها إرادة إحياء الأمة، وإفاقتها من نومها و سباتها الذي طال أمده بعد سقوط الخلافة الإسلامية، ودخول العالم الإسلامي كله في حالة استعمار غربي، يستنزف عقائد الناس، وأديانهم، وأخلاقهم، ومواردهم الاقتصادية والطبيعية، مع ما فيه من تغريب، وأشرنا إلى عدد من المؤلفات التي تعكس صورة هذا التجديد الذي يطمح له أهل العلم في عصرنا الحاضر.

أيها الأخوة بهذا نكون أنهينا الكلام عن مقرر تاريخ علم التفسير وتدوينه، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يكتب لنا ولكم الأجر والمثوبة، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع، كما أسأله أن يوفقنا للعمل الصالح، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **راجية الجنان**
قام بالمراجعة الأولى: **أخ في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة. وحاولت باجتهاد متواضع أن ألقي بعض الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بالمصادر التي تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.
رئيفة درويش

-- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات --

ما كان من توفيق فمن الله سبحانه وتعالى،

وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان

اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين أجمعين

أسأل الله العظيم لي ولكم التوفيق والهداية

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رئيفة درويش

15 صفر 1439 هـ / 4 نوفمبر 2017 م